١٩٠

[illegible]

قد دخل في نوبت الاحقر

٢

بسم الله الرحمن الرحيم وبه ثقتي

١ الحمد لله الذي افاض على قلوب اوليائه لآلي جواهر القرآن ودلائل كنوزه واشرق على ضمائر احبائه
لوامع اسرار التبيان وشواهد رموزه وانار ارواحهم بمعرفته وارائهم بهدايته ملكوت السموات
حيثما جن عليهم الليالي بحجب الاجسام ليكونوا من الموقنين وكشف عن ابصارهم وبصائرهم برياح رحمته
اغشية التعلقات المانعة عن شهود جلال رب العالمين وايد بنصره من شاء من عباده لتقوية
الدين ونصرة رجال المعرفة واليقين والصلوة على من انزل عليه التنزيل بلسان جبرئيل المنعوت
اسمه في التورية والانجيل محمد واهل بيته المكرمين العالمين بتاويل الاحاديث العارفين باسرار التاويل
المطهرين عن ارجاس المذاهب الجاهلية للائق بالجليل المقدسين عن ادناس العقائد الباطلة من التشبيه
والتعطيل اما بعد فيقول افقر خلق الله واحوجهم المستغني بتاييد مولاه عما عداه والمكتفي به
عن من سواه محمد الموسوم بصدر الدين القواجي قويه الله بلطفه الاعتصامي اوصيكم ايها
الاخوان الباحثين عن دقايق معرفة الله وملكوته بقوة الفكر والاشتغال المتحيرين ان تقصدوا نحو
الملكوت وتطيروا في سماء قدس اللاهوت بجناحي الوهم والخيال عليكم بحبل القرآن اذا اردتم ان تتعلقوا
في الاشتغال فان من لم يعتصم بحبله فهو جند ما هنالك مهزوم من الاحزاب محجوب عند اولى البصاير و
الالباب عن جميع الطرق ومقفل الابواب وان من لم يحكم اولا قواعده ظواهر التنزيل واركان ايماناته ولم يتمرن

بالعمل

بالعمل باحكامه وادابه عند سماع اياته حق اللغة والقراءة والتنزيل فهو حري بان لا يبلغ نهاية اذ بل
عليه ان يقف عند ظواهر الشريعة موهنا خوفها اذ لم يرزق من لوامع انوار الطريقة سرها وبرقها
والا ينقطع الشيطان طريقه بدقايق كيده وحبايله وكلاليه الى اي واد يهلكه او بعيد شركه وحباله
ثم اقول لطائفة اخرى من اخوان الايمان رزقهم الله فطنة تمكن لهم بها الارتقاء الى مدارج العلم
والعرفان اذا سلكوا طريق الصدق في الايقان الى كم ترغبون عن لباب القرآن الذي هو شفاء ورحمة
للقلوب والصدور الى التبن والقشور الذي فيه متاع لكم ولانعامكم واجسامكم التي هي الات القبور
وتتسلون بالقرطاس المنقوش عن الرق المنشور وحتى تطوفون على سواحل ظواهر التنزيل وتعرضون
عن غوص بواطن التاويل احاحان لكم ان تغطوا لمن غاص في عمق بحر التنزيل لنيل جواهرها اودعه الله
على لسان جبرئيل الى كم تقصرون عن الوصول الى معرفتها ورموزها بادمان النظر والفكر الى سواحلها
وظواهرها الم يان للذين آمنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله وان تصرفوا هممهم في التقرب اليه والابتغاء
لوجهه عمن سواه فهذه اخلاقي في الكشف واليقين بلغكم الله الى اقصى اماناتكم في معرفة لباب
الدين طائفة من قواعد اسرار القرآن المجيد متعلقة بتفسير سورة الحديد ذكرت فيه لب التفاسير المذكورة
في معانيه ولخصت كلام المفسرين الناظرين في مبانيه ثم اتبعته بزوايد لطيفة تقتضيها الحال والمقام و
اردفته بفوايد شريفة تقتضيها المفضل المنعام وستعين به في انه يمهلني الزمان للاتمام ويباعدني
الحدثان في الاختتام فاعلم ان هذه السورة مشتملة على المقصد الاقصى واللباب الاصفى من كيفية
ارتقاء العباد من حضيض النقصان والخسران الى اوج الكمال والعرفان وبيان السفر الى الله تعالى طلبا
للقائه تعالى والارتحال من اسفل سافلين وتحت الثرى في البعد والحرمان عن مجاورة الرحمن الى اوج
عوالي العليين ومن فوق السموات العلى من قرب رب الانس والجان وخالق النيران والجنان فان خلاصة
دعوة العباد وقيادة سياقهم الى الملك الجواد منحصرة في اقسام ستة ثلثة منها كالدعائم والاصول المهمة
وهي تعريف الحق المسوق اليه المقصود وبيان الصراط المستقيم الذي يجب سلوكه للوصول اليه وبيان الحال
عند الوصول فالاول هو معرفة المبدأ والاخر هو معرفة المعاد والاوسط هو معرفة الطريق واما الثلثة

٣

الاخيرة فهي كالمعينة المتممة التي كالنوافل والقرب الحاصل بالبعد من الحق هو قرب النوافل كما ان القرب
الحاصل بالثلثة الاول هو قرب الفرايض المشار اليه في الحديث المشهور فاحدها تعريف السالكين الى الحق
المحجوبين دعوة العزيز الوهاب ولطايف تربية الرب لهم ودقايق صنعه فيهم لصفاء جواهرهم وطهارة اعيانهم
عن الخبث والشين وكدورة وحجرانهم من الطبع والرين وتنبيهم لقبول صورة الحق وتوصيف الناكبين عن
الطريق الضالين وكيفية غضب الله عليهم وكيفية تنكيله بهم لسوء استعداداتهم وخبث جواهرهم وغلظ حجبهم
وتراكم الرين والطبع على مراتهم والمقصود فيه اما التشويق والترغيب كما في احوال المحبوبين او الاعتبار والترهيب
كما في احوال المغضوب عليهم وثانيها حكاية افتضاح حال الجاحدين وكشف عواقبهم وتسفيه عقولهم وتجهيلهم في
تحريهم طريق الضلالة والبطلان بالمجادلة والمحاجة على طريق الحق والمقصود فيه في جنبة الباطل الافضاح والتحذير
والتنفير وفي جنبة الحق الايضاح والتثبيت والتقرير وثالثها تعليم عمارة المراحل الى الله تعالى وكيفية اخذ الزاد والاهبة
والاستعداد والمقصود فيه ان معاملة الانسان مع اعيان هذه الدنيا يجب ان يكون مثل معاملة المسافر مع اعيان
مرحلة من مراحل سفره البعيد الذي يطلب به تجارة لن تبور فهذه هي المقاصد الستة المشتمل عليها المعظم من سور
القران واياته وهذه السورة الواحدة لغاية فضلها وشرفها عقلا ونقلا حيث روي عن النبي صلعم ان في المسبحات
اية افضل من الف اية تشتمل على المقاصد الستة كانها تشتمل عليها وتحصر فيها جميع القران ولنشرع في استنباط هذه
النفايس الشريفة من هذا البحر المنشيم بقوة العزيز الحكيم ولنسم كل واحد من المعارف الثلث القرانية التي هي الاصول باسم
يناسبه كما فعله بعض اكابر العلماء وقد وجدناه في بعض مصطلحات العرفاء وذلك لانه يطلع هذه المعارف في درجات
متفاوتة من الشرف والفضيلة مع اشتراك الجميع في الخير والمنفعة فان معرفة ذات الحق وصفاته وافعاله بمعرفة عظمة
الدانة وسعيها في طريق السفر اليه فشرح المعارف الالهية المشتملة على معرفة ذات الحق الاول ومعرفة صفاته ومعرفة
افعاله هو المصطلح عليه بالكبريت الاحمر الحاصل من الخوض في لجة بحر القران والبحث والغوص في اعماقها وشرح طريق
السلوك الى الله تعالى وتعريف التبتل اليه والانقطاع عن الدنيا هو المسمى بالعنبر الاشهب في العود لانه يستخرج
من السباحة في سواحل هذا البحر المحيط المنشعب عنه علوم الاواخر والاوايل كما يستخرج من البحر الاسمار والجواهر
وشرح احوال المسافرين عند الوصول الى المهيمن المتعال هو الملقب بالترياق الاكبر والمسك الاذفر الحاصل من

المتعلق

واستعدادهم

حلولهم

المتعلق الى جوابه عند استعدادهم من جيوا نا ته وذلك ان تسمى الثلثة الرواردف واقسام كل قسم منها باسم
يناسبه ولا يخفى على الزكي المتبصر مناسبة كل قسم بما وقعت التسمية به عليه واياك وان تحمل هذه الاسامي على
الاستعارات الرسمية والتكلفات الجارية لمعقوبة عند ذوي الجد من ابناء الحقيقة على ان تحتها رموزا واشارات
الى معان خفية يعرفها من يعرف الموازنة والمحاذاة بين عالمي الملك والملكوت والشهادة والغيب ولو لا صعوبا
التحقيق الموازنة بين هذه الامثلة الحسية وحقايقها الغيبية لارباب الالباب فلنشرع في المقصود في الخوض في الكتاب
مستمدا من العزيز الوهاب بقوله تعالى بسم الله الرحمن الرحيم سبح لله ما في السموات والارض وهو العزيز الحكيم
لا اخ لك ان المعارف الالهية المشتملة عليها القسم الاول يتفرع الى معرفة
الذات ومعرفة الصفات ومعرفة الافعال وهي الكبريت الاحمر فاعلم ان هذه الثلثة ليست على رتبة واحدة فكما ان
واب الكبريت هو الياقوت الاحمر لانه اجل قدرا واعز وجودا لا يجمع الا القليل منه بيد الملوك والسلاطين
يظفر بما دونه بالكثير وكذلك معرفة الذات لكونها اجل قدرا ورتبة واعظم رفعة لا يظفر بشيء منها الا الملوك الا
وسلاطينها مثل الانبياء والاولياء عليهم الصلوة والدعا حجاب الحق عن ان يكون شريعة لكل وارد او يطلع
عليه الا واحد بعد واحد وتكون معرفة الذات اضيق المعارف الالهية مسلكا ومجالا واصعبها على الفهم
اعتقادا ووصفا ولا واعصاها على الروية والفكر اذعانا وابعدها عن الحفظ والذكر ضبطا فلذلك لا
يشتمل القران منها الا على اشارات وتلويحات يرجع اكثرها الى السلوب والتقاديس كقوله تعالى بعد ما ختم
الواقعة بالامر بالتسبيح سبح لله اي نزهه وقدسه عما لا يليق بشانه مما يوجب الكثرة او التغير ويراه من كل
نقص ما في السموات والارض وهو العزيز الحكيم في افعاله لكونها على احكم ترتيب واتقن نظام والصيغة
تدل على حينئذ ان ما اسند اليه الفعل ذلك بجهرة وديدنه ويؤكد ذلك مجيئه على صيغة المضارع في بعض
الفواتح وهذا الفعل يتعدى باللام تارة وبنفسه اخرى واصل التسبيح لانه منقول من سبح اذا ذهب وبعد
فمعنى سبحه بعده عن الشين فاللام فيه اما ان يكون كاللام في نصحته ونصحت له او يكون معنى الكلام احدث
التسبيح ابتغاء لوجه الله خالصة كما فيهما قال المقاتل يعني كل شيء من ذي الروح وغيره وكل خلق فيهما ولعل الغرض
ان العقلاء يسبحونه قولا واعتقادا وما اليه عاقل من سائر الحيوانات والجمادات فيسبح بلسان من الادلة الدالة على

في تمام

الملوك

في ذا قدم

مبدعه وصفاته التي تخصه فعبر سبحانه عن هذه الدلالة بالتسبيح كما هو القرابة منهم بلسان الحال من جهة امكانها
وحدوثها على الصانع القديم الواجب لذاته ويجوز ان يحمل التسبيح على المشترك بين اللفظ والدلالة لاسناده الى
ما يتصور منه والى ما لا يتصور منه وعليها عند من جوز اطلاق اللفظ على معنييه وجوز بعضهم ان يكون تسبيحها ههنا
بصوت ويؤيده ما حكى ابو يزيد ان الجهانيين كانوا اذا سمعوا الرعد قالوا سبحان ما سبحت له وقيل المراد كل
ما يتاتى منه التسبيح هذا تمام كلام الاعلام في هذا المقام ولا يخفى عدم ملائمة كل من التاويل والتخصيص لمستفاد من
كلامه الكثيرة من الآيات القرآنية والاحاديث النبوية الدالة على تسبيح جميع الموجودات حتى الحجر بالجماد والنبات منها
قوله تعالى الم تر ان الله يسبح له من في السموات والطير صافات كل قد علم صلوته وتسبيحه ومنها قوله تعالى الم تر ان الله
يسبح له من في السموات ومن في الارض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب وكثير من الناس وفي
هاتين الآيتين اشعار بان هذا التسبيح فطري وسجود الحق تجلى على الحق بكل من خلق الله له وانطقه الذي
انطق كل شيء فاجوه وتواضعوا الامر غير تكليف بل اقتضاء طباعي والذي يمنع من هذه العبادة الذاتية
الافكار الوهمية والتضليلات الشيطانية التي تكون لاكثر الناس التي بها يحق كثير منهم العقوبة والعذاب كقوله
وكثير حق عليه العذاب والنكتة في ان المراد بها بصيغة خطاب المفرد ان غير النبي صلعم لم يشهد ذلك شهودا عيانا
ولنا ايمان ومنها قوله تعالى اولم يروا الى ما خلق الله من شيء يتفيؤ ظلاله عن اليمين والشمائل سجدا لله وهم داخرون
وكذا امثالها فظاهرها من الآيات الدالة على وقوع التسبيح من جميع الموجودات حقيقة تستلزم الشعور والادراك عن وجه م
وكفانا في هذا التعميم والشمول قوله تعالى تسبح له السموات والارض ومن فيهن وان من شيء الا يسبح بحمده ولكن لا
تفقهون تسبيحهم وحكاية تسبيح الحصى في كف النبي صلعم وسماعه واسماعه غيره مشهور عند اهل السنة الرواة مذكور
بالاسناد الصحيح مقبول عند الجمهور وفي صحيح البخاري عن ابن مسعود انه قال كنت مع رسول الله
بمكة فخرجنا في بعض نواحيها فما استقبله حجر ولا شجر الا وهو يقول السلام عليك يا رسول الله صلعم وامثاله كثيرة في الروايات
فلا وجه للعدول عن الظاهر المنقول المتلقى بالقبول عند ارباب الكشف والشهود واصحاب الايمان والتسليم
فان قلت التسبيح بالمعنى الظاهر منتف من الجماد لعدم الادراك فيه قلنا لا نم ذلك العدم ما يدل على نفي الشعور فيه
مطلوب الدليل قال ثم في بعض العلوم العقلية على ان الطبايع المودعة لها غايات طبيعية مرتبة على اجلها

وفيها علل غائية واسباب مستدعية لوقوع الفعل المنبعث منها الا ان غير اهل الكشف والحال اذا لم يقتنعوا بمجرد
التقليد في العقايد والاقوال الثابتة قلوبهم عن الايمان بهذا التسبيح وتقاعست عن دركه افكارهم الى ان يأتيهم الله
بالفتح او امر من عنده **مكاشفة** واعلم ان اثبات الشعور والادراك لجميع حتى العناصر والافلاك عادل على ذلك البراهين
البرهانية وشهدت بها العلوم الذوقية وايدته المقامات الكشفية كما اشرنا اليه وهو مذهبهم غير من الراسخين
في العلم واليقين ورأى طائفة عظيمة من الكاشفين منهم الشيخ العارف والمحقق المكاشف محيي الدين الاعرابي
واتباعه وتلامذته قال قدس سره ان المسمى بالجماد والنبات لهم ارواح بطنت عن ادراك غير اهل الكشف
حيوان بل الحق عند ان هذا المزاج الخاص يسمى انسانا لا غير ونحن زدنا مع الاحياء بالاخبار الكشف فقد سمعنا بالجماد
تذكر الله رؤية عين بلسان نسمعه اذاننا وتخاطبنا مخاطبة العارفين بجلال الله مما ليس يدركه كل انسان انتهى
وتحقيق هذا يستدعي بسطا في الكلام لا يسعه هذا المقام وربما يؤدي ذلك الى تشنيع الجهال واللئام عند سماعهم
شيئا يخالف ما تلقفوه من احد دانه تعصبا وتقليدا والذي يليق ذكره ههنا ان لكل نوع من الانواع
الجسمانية ملكا هو كالعلة مدبرا لاحاده ومتعينا بتربية افراده كما ذهب اليه افلاطن وحكما المشرقين ولنا
في الشريعة الحقة من تسمية بعض ملائكة الله المدبرين لانواع الاجسام بالاضافة الى نوع ما يتعلق به تعلق التدبير والتسخير
ما ورد به العليم الخبير كملك الجبال وملائكة البحار وملك الرياح وملك الامطار فمنه ضرب من التكلم وكلا يجنس
الاجسام ونسبة كل منها الى افراده المظهرة الذي يقال له في عرف بعض الحكماء الطلسم ثم في باب المعنى من ذلك النفس
الى بدنها بل نسبة المهية الى حقيقة الشيء وذاته المطلقة عن العوارض الخارجية الى فرد الشيء فكما ان الافعال الصادرة
عن الانسان بالاختيار انما يصدر عن هويته وذاته الباطنة عن ادراك الحس وهو نفسه المدبرة له والبدن في ذلك
من حيث هو بدن لا شعور له بل لا وجود له كما حققنا في موضعه فكذلك هذه الاجسام الطبيعية انما يصدر
ما ينسب اليها من الحركة والسكون والتغذية والتنمية والتوليد وغيرها عن ملكوتها وباطنها الذي هي صورة حقيقتها
ومقوم ذاتها الا من جسميتها ومادتها ثم انه قد ثبت في المعارف الربوبية ان كل ما يصدر من المبادي الذاتية فهو انما
يصدر منها لتضرعها ورجوعها الى باريها العالي لا التفاتا الى السافل وحقيقة التسبيح ليست الا ما يستلزم الخضوع
والتمجيد سواء كان باللسان او بآلة اخرى فاتضح ان العالم باسرها في هذه العبادة الذاتية وهذا الشهود الفطري متذللة

اياها في العبارة فلا يحس بها مثل ما يحس من الحيوان في الكل عند اهل الكشف م

منام

هوم

بنفاذ دين الاعلى الذي قام به وواظب عليه الجميع لا كل مخلوق له قوة الفكر والروية وليس كلا النفوس الناطقة
الانسانية والحيوانية خاصة من حيث اعيان نفوسهم لا من حيث هياكلهم فانها كلهم كسائر العالم في السجود
والتسبيح له الا ترى انه شهد على النفوس المحترقة بما يوم القيمة من الجلود والايدي والارجل والالسنة والسمع والبصر
وجميع القوى فحكم هذا العلم الكريم فان قلت فما تقول في الاستثناء الواقع في قوله تعالى فسجد الملائكة كلهم اجمعون الا ابليس ابى
واستكبر وكان من الكافرين فان السجود المأمور به لادم في الحقيقة سجود لله تعالى وطاعة لامره فلا ابليس
سجد لادم عين ابائه من سجدة ربه ولهذا كان من الكافرين فيها في ذلك تخصيص لظاهر عموم الايات المنقولة في
الحكم ببيان ان كل موجود من حيث هو موجود عبادة جبلية قلنا ان اباء ابليس عن السجود واستكباره وعصيانه بحسب
ظاهر الامر عين سجوده وطاعته وخدمته وتواضعه لربه باعتبار القضاء الازلي فان العزيز الجليل اقامه في حجاب
العزة والجلال ذليلا محجوبا حتى يكون ابليس مطرودا ملعونا محترقا بنار البعد والضلال في الدنيا وبعد بنار
الجحيم والنكال في الاخرى بحسب ما جرى عليه القضاء فلم يكن له بد من موافقة علمه تعالى الذي هو عين ارادته ولذلك
اقسم بعزته بقوله فبعزتك لاغوينهم لان الاغواء من مقتضيات العزة والاحتجاب بحجب الجلال ولعله في قوله وهو العزيز
الحكيم في هذه الاية ايماء بان طاعة الموجودات وتسبيحها الجبلية على النهج الطباعي التحولي الذي جرى عليه القضاء الازلي
ولا يكون لاحد النقص عنه والعدول الى غيره [illegible] العصاة وتمردهم عن الطاعة والائتمار للحكم الانشائي [illegible] اهل
الحجاب وعباد الكثرات لا يجيبون دعوة التوحيد ومن كان في مرتبة الجمع يطلع على سرائرهم ويعد الكل [illegible] عليه السلام
يعلم ان انكارهم عين الاقرار وفرارهم عن الاجابة لدعوة العزيز الجبار كما قال سيد الاولياء امير المؤمنين علي عليه السلام
انه قال يتجدد له اعلام الوجود على اقرار قلبي ذي الجحود قوله عز وجل له ملك السموات والارض يحيي ويميت
وهو على كل شيء قدير لما كان الشيء هو المتصرف في [illegible] وجاز ادراك المعرفة وهذا بالحقيقة لا يكون الا لمن له ذلك
الشيء بحيث يحييه ويميته اذا اراد والا كان تصرفه متوقفا على تاثير سبب مباين فلا يكون له التصرف باي وجه شاء
بل ببعض وجوه التصرف فالملك بالحقيقة لمن له ذلك كل شيء فخص الجميع بالاسم العظام الا ان الجلية المكشوفة في
عالم الشهادة في قوله تعالى وهو على كل شيء قدير باستدلال لطيف باركة برهان شريف لان الموجودات مرتبطة
بعضها ببعض متوقفة بعضها على بعض كاعضاء بدن واحد فلو لم يكن البارئ موصلا للكل لم يكن مالكا للبعض بالحقيقة

الواقع تقدم عليه

مكاشفة

مكاشفة واعلم ان الموجود قد يكون وجوده لنفسه وقد يكون لشيء آخر كالاعراض والصور لان وجودها
ليت الا حلولها وصفاتها لغيرها لا لذاتها بخلاف الاعيان الجوهرية لان هوياتها ليست نعوتا لغيرها والتحقيق
ان وجود الموجودات في انفسها ليس الا وجودها له تعالى لان حيثيتها فعل الحق والفعل من حيث هو فعل لا قوام له
في نفسه الا بالفاعل وما وجد من الافعال والاثار مستقلة دون ما استند عنها فليست هي بالحقيقة
اثارا لها بل يتعلق بما على نوع من التعلق وموضع يحيي وما يعطف عليه اما مرفوع على انه خبر مبتدا محذوف
او منصوب على انه حال من الضمير المجرور في قوله ويحتمل عدم تعلق هذه الجملة لشيء فلا يكون لها محل من الاعراب
ومعناه يحيي النطف والبيض في الدنيا والموتى يوم القيمة ويميت الاحياء في الاخرة وعن امير المؤمنين علي عليه
السلام يحيي بالطاعة ويميت بالمعصية وعن ابي بكر الوراق يحيي بالعلم ويميت بالجهل وعن ابن عباس يحيي الحي عند البعث
ويميت في الدنيا وهذه الاقوال الثلثة متقاربة في المعنى لان حيوة العلم والطاعة من قبيل حيوة الارواح
في الاخرة وموت الجهل والمعصية من قبيل موت الاجسام في الدنيا مكاشفة ان نوع الاحيا مختلف في
النشاتين لان في الاولى [illegible] يجيء في الاخرة دفعي يدل على ذلك قوله تعالى وهو اهون عليه مع كونه على كل
شيء قدير بنسبة واحدة من قبيل [illegible] من المقدرات كلا يعزب عن علمه مثقال ذرة في الارض ولا
في السموات فان قلت ما وجه صدور الاماتة منه تعالى لكونها مستلزمة للايجاب على وجه القوة [illegible]
بالقضاء بكونه موجب الحيوة على وجه اكثر واسبغ [illegible] قوام الروح [illegible]
محض الرحمة ومنبع الخير والجود [illegible] الامامة [illegible] موجودة بالفعل وان كانت [illegible]
الموجود [illegible] الموت من كل مكان وما هو بميت [illegible] بان الحيوة الاخرة نوع اقوى من الحياة
الدنيا قوله فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد اذ حكم البصر بالبصيرة تدل على قوة الحيوة والوجود قوله
عز وجل هو الاول والاخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم الواوات الثلثة للجمعية
لكن الاول للدلالة على انه تعالى يجمع صفتي التقدم والتأخر والثالثة على انه يجمع الظهور والبطون والوسطى على
انه الجامع ما بين ذينك المجموعين مجموع الاولية والاخرية ومجموع الجلاء والخفاء وعن عبد العزيز ان الواوات
مقحمة والمعنى هو الاول الاخر الظاهر الباطن لان من كان منا اولا لا يكون اخرا ومن كان ظاهرا لا يكون باطنا
وهذا يلائم القول بان اوليته عين اخريته وظاهريته عين باطنيته وعن ابن عباس الاول قبل كل شيء بلا ابتداء والاخر

اخره
ومنع من الاعراب

مع كونه محض الرحمة ومنبع الخير
والجود تفاعل الامامة منه تم

بعيقاء كل شيء بلا انتهاء فهو الكائن لم يزل والباقي لا يزال والظاهر الغالب العالي على كل شيء فلا شيء دونه والباطن
العالم بكل شيء فلا احد اعلم منه وتوجيه هذا المنقول واكثر عدوله عن الظاهر المفهوم انه ماخوذ من بطن الشيء بمعنى
علم باطنه وهذا ارسخ بقوله بكل شيء عليم لان العالم بوجوه الشيء عالم بما سواه وعن الفضال هو الذي اول الاول بلا
واخر لا اخر وظهر الظاهر وبطن الباطن وقال البلخي هو كقول القائل فلان اول هذا الامر واخره وظاهره وباطنه
اي عليه بدء الامر وبه تم وقيل هو المستمر الوجود في جميع الاوقات الماضية والاتية الظاهر في جميعها بالادلة الشاهدة
الباطن عن ادراك الحواس واشارة الطبيعة فيكون حجة على من جوز رؤيته تعالى في الاخرة بحاسة البصر وقيل الاول
والاخر صفة الزمان بالذات والظاهر والباطن صفة المكان كذلك والحق تعالى منزه عن المكان ظاهرا وباطنا وعن
الزمان اولا واخرا وهو منزه عن الافتقار الى المكان والزمان فانه كان ولا مكان ولا زمان مكاشفة الاولية
قد يكون بمعنى كون الشيء فاعلا والاخرية بمعنى كونه غاية مترتبة على وجود الفعل في العين وان كانت الغاية
يجب وجوده في العلم متقدمة اليه فالله سبحانه اول كل شيء بمعنى ان وجوده حصل منه وبمعنى ان الغرض في
ذلك الشيء منه هو علمه بالمصلحة وكونه تاما في الجود والرحمة فياضا على الاشياء بلا عوض واخر كل شيء بمعنى انه
الغاية التي تطلبه الاشياء وتقصده طبعا وارادة والعرفاء المتالهون حكموا بسريان نور المحبة له والشوق اليه
في جميع المخلوقات على تفاوت طبقاتهم فالكائنات السفلية كالمبدعات العلوية على اغتراف شوق من هذا المجرد الاعظم
واعتراف شاهد بوحدانية الحق العليم ولكل وجهة هو موليها هو الحق الاول الذي منه ابتدا امر العالم وهو الاخر
الذي اليه ينتهي وجود الاشياء سيما بني ادم اذ منه صدر الوجود ولاجله وقع الكون وهو الاخر اليه
المرتبة م المسير للسائرين اليه فانهم لا يزالون مترقين من رتبة الى رتبة حتى يقع الرجوع الى تلك الحضرة بفنائهم عن ذاتهم وهويتهم
واندكاك وجودهم وابنيتهم فهو اول في الوجود واخر في المشاهدة والله عز اسمه حيث ابانا عن غاية وجود العالم
قال وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون اي ليعرفون وقوله كنت كنزا مخفيا فاحببت ان اعرف فخلقت
الخلق لكي اعرف دلنا على ان غاية القصوى لوجود العالم معرفته كما انه الفاعل له موجدا ودلنا ايضا على بعض
الغايات المتوسطة العرضية بقوله لولاك لما خلقت الافلاك فالمبدا والغاية لوجود العالم وبقائه الاخرى هو
الله سبحانه لذاته لا لبني العالم ولا لاجل نظم النظام قال بعض الحكماء ولو ان احدا من الخلق عرف كمال الذي هو الخير الاقصى
ثم كان نظم الامور التي صدرت منه على الوجه الذي هو صدرت عليه وعلى شاكلته حتى كانت الامور على غاية النظام

والنظام

مجال م والنظام غرضه بالحقيقة هو ذات الباري فهو الاول والاخر بحسب العرض ايضا **تتميم** قد انكشفت ان الموجودات
العالمية كلها بحسب فطرتها التي فطرها الله عليها متوجهة نحو غايات حقة واغراض صحيحة بل الغاية في
غايات م الجميع امر واحد هو الخير الاقصى الا انه لما ذهبت زينت لطوايف من المكلفين فهم سالكون اليها في البين
غاية من غير بصيرة وعمايه فهولاء الطوايف مع ولي الوجود ومنبع الرحمة والجود في شقاق فليسوا عباد الله
في الحقيقة ولا الله مولاهم الحق وحيث ما يتولونه فلا بد لهم من ولي فهو شيطان من الطواغيت ولما كان
فعل الشيطان الوسوسة والاضلال ولا يطيعه الانسان الا بقوته الوهمية التي من جنود الشيطان فان
شئت سمهم عبدة الهوى وان شئت سمهم عبدة الطاغوت فقد نزل بكل منهما القران ففي قوله الله
واحب لقاءه وجرى على ما اجرى عليه النظام فقد تولاهم ومولاهم الحق وهو يتولى الصالحين من
كان لله كان الله له ومن كان يرجو لقاء الله فان اجل الله لات ومن تعدى ذلك فطغى وتولى الطاغوت
واتبع الهوى فكل نوع من الهوى طاغوت فتختص كل الى معبوده ومحبه اليه كما في قوله تعالى افرايت
من اتخذ الهه هويه وذلك لتعلمن النظام الوهمية والغايات الجزئية بفضحك ولا تبقى فاهل من كان
الهه هويه ووليه الطاغوت والطاغوت مرجعهم هذه النشاة الدنياوية التي هي دار الغرور
وموطن الزور فكلما امعنت هذه النشاة في العدم ازداد الطاغوت اضمحلالا فيذهب به معنا
في ورطة العدم متقلبا به في الدركات حتى يحله دار البوار عصمنا الله واخواننا في الدين
من متابعة الهوى والركون الى زخارف الدنيا وجعلنا من عباده الصالحين الذين يتولاهم رحمته يوم
الدين واما كونه ظاهرا فلكونه نور السموات والارض والنور حقيقته الظهور كما انه ما ليست حقيقته
النور فانه ما يظهر بالنور والنور بنفسه ظاهر وبذاته متجلي واما كونه باطنا اي مختفيا فلشدة ظهوره
وغاية وضوحه ولاجل ذلك يختفي على الضماير والانظار ويحتجب عن العقول والابصار فذاته بذاته متجلي
للاشياء ولاجل قصور بعض الذوات عن قبول تجليه محتجب في الحقيقة لا حجاب الا في المحجوبين والحجاب هو القصور
والضعف والنقص وليس تجليه الا حقيقة ذاته اذ لا معنى لبيانه الا صريح ذاته لان صفاته ليست زائدة

على انه كما اوضحه الواضحون اولا ترى الشمس التي هي اشد الانوار الحسية واقوى الاضواء البصرية كيف احتجب
لفرط ظهورها على ابصار البصرية حتى لا يمكن للبصر لاجل ضعف قوته ملاحظتها الا من وراء الحجاب كالمرآة او الماء
او السحاب الرقيق كما قال الشاعر كالشمس يمنعك اجتلاؤك وجهها فاذا اكتست برقيق غيم امكنا فكذلك الحق
سبحانه فانه نور الانوار لا يحيط بحقيقته العقول والافكار ولم يدرك ذاته البصائر والابصار الا انه ليس لوجهه نقاب الا
النور فلا له حجاب الا الظهور ولم يمنع القلوب عن الاستنارة والاستجلاء بعد تزكيتها عن كدورات الشهوات
الا شدة الاشراق وضعف الاحداق فسبحان من اختفى عن بصائر الخلق بنوره واحتجب عن عقولهم لفرط
الوضوح ظهوره وهو بكل شيء عليم لانه بنوره فانه يظهر جميع الاشياء على انه العالم بالشيء ليس الا طلوع
عند شيء آخر ومثول بين يديه والاشياء كلها حاضرة عنده فلا يخفى عليه شيء في الارض ولا في السماء اذ بيده ملكوت
الاشياء ومنه ينشأ حقائق الاشياء **هو الذي خلق السموات والارض في ستة ايام ثم استوى على**
العرش اصل الخلق التقدير وفي الاستواء الاعتدال والاستقامة ونقيضه الاعوجاج والعرش السرير و
منه وطا عرش عظيم والعرش الملك يقال ثل عرشه والعرش السقف ومنه قوله فهي خاوية على عروشها اي سقوفها
انه لما ذكر ان جميع الموجودات يحمدونه ويسبحونه ويعظمونه كل منها على قدر وعاء وجوده وحوصلة
ادراكه وشعوره لعظمته ومجده وجلاله وبين ذلك بان له التصرف في الجميع بالملكية والافادة والاحياء
والاماتة فانه اول كل شيء وآخره وظاهره وباطنه والمملوك لا محالة يكون خاضعا ساجدا لربه ومطيعا
لخالقه فاراد ان يشعر بان كونه بهذه تخصيص ويحمده الجميع ليس لاجل جذبها او لقهرها او حكما اجباريا من
غير استحقاق على هواه بل يليق بشأنه وواقع في مقابلة لطفه واحسانه وكرمه وامتنانه حيث نظم امور العالم
على ابدع نظام وافاض وجود كليات الجواهر وجزئيات الاجرام على اشرف وضع واتم انتظام اذ انشأ اعيان السموات
واودع فيها من كل شيء تقتضيه واعلى شأن المحتد به ثم امسكها بلا عماد وانشأ الارض ووحدها بلا اعتماد
في ستة ايام ولم يخلقهما في لحظة واحدة وان كان مقدورا له لان خلقهما في هذه المدة اصلح واليق بحال
الكائنات وانسب بنظم المخلوقات وبناها على ايام الاسبوع فابتدأها بالاحد وختم بالجمعة فجمع الخلق في
الجمعة فلذلك سمي جمعة جعل ذلك مجاهدة حتى يعقل ان ايجاد الحوادث على انشاء شيء شيء على التدريج والترتيب ادل على
بعدم

كون فاعله عالما مدبرا يصرفه على اختياره كيف يشاء حريا بان يعبده ويحمده ويطيع امره جميع عباده ومن
كان في ملكه وملكوته وقوله تعالى ثم استوى على العرش اي استوى امره الى ملكه لان الامور والتدابير
تنزل منه وعن الحسن يعني استقر ملكه واستقام بعد خلق السموات والارض وظهر ذلك للملائكة وانما
اخرج هذا على المتعارف في كلام العرب كقولهم استوى الملك على عرشه اذا انتظمت امور مملكته واذا اختل
امر مملكته قالوا ثل عرشه ولعله لذلك الملك لا يكون له سرير اصلا ولا يجلس على سرير ابدا قال الشاعر اذا
ما بنو مروان ثلت عروشهم واودت كما اودت اياد وحمير وقيل معناه ثم قصد الى خلق العرش على الفر
وجماعة واختاره القاضي ابو بكر ويلزم منه ان يكون خلق العرش بعد خلق السموات والارض وليس بذلك المع
بعده عن اللفظ وروي عن مالك بن انس انه قال الاستواء غير مجهول وكيفيته غير معلومة والسؤال عنه بدعة
وعن ابي حنيفة انه قال اقرؤه كما جاء اي لا تفسروه **مكاشفة** اعلم انه تعالى خلق العالم على ترتيب قويم
وتدبير محكم فابدع الافلاك ثم زينها بالكواكب مع نفوسها المجردة المحركة اياها باوامر بارئها طاعة ومحبة لمبدعها
وشوقا اليه جاعلها كما اشار اليه بقوله فقضاهن سبع سموات في يومين واوحى في كل سماء امرها وعدل الى
ايجاد الاجرام السفلية فخلق جسما قابلا للصور المتبدلة والهيئات المختلفة ثم قسمها بصور نوعية متضادة
الآثار والافعال واشار اليه بقوله ثم خلق الارض اي ما في جهة السفل في يومين ثم انشأ انواع المواليد الثلثة
بتركيب موادها اولا وتصويرها ثانيا كما قال بعد قوله وخلق الارض في يومين وجعل فيها رواسي من فوقها
وقدر فيها اقواتها في اربعة ايام اي مع اليومين الاولين لقوله في سورة السجدة الله الذي خلق السموات
والارض وما بينهما في ستة ايام ثم لما تم له عالم الملك امره عمد الى تدبيره كالملك الجالس على عرشه لتدبير المملكة
فدبر الامر من السماء الى الارض بتحريك الافلاك وتسيير الكواكب وتمزيج القوى والكيفيات فيما يلج في الارض وما
يخرج منها وامدادها بما ينزل من السماء وهداية ما يعرج فيها وهو اقرب الى كل شيء من حبل الوسائط لان له
التأثير والايجاد ومنها التهيئة والاعداد فهو كل شيء انما كان وهو القائم على كل شيء بما كسب **مكاشفة**
اعلم ان المكشوف عند ذوي البصائر ان الحق سبحانه وتعالى خلق السموات والارض في ستة ايام من الايام الالهية
التي كل يوم منها الف سنة مما تعدون وهي من زمان آدم الى زمان محمد صلى الله عليه وآله وسلم جميع دور خفاء الذات

٧

واحتجابنا بالاسماء وظهور الاسماء في مظاهر الاشياء كل يوم منها بميلاد واحد من الانبياء العظام من آدم
ونوح وابراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلوات الله عليهم اجمعين ثم استوى على عرش الذات وهو اليوم
الاعظم باسم الرحمن في يوم السابع وهو الجمعة لحشر الخلايق فيه وجمعهم وحسابهم وجزائهم انفسهم ونفخ الصور
مجموع له الناس وقد اشتهر فيما بين الناس في جميع الاعصار ان مدة الدنيا سبعة الآف سنة على عدد الكواكب
السبعة فكل الف سنة يوم من ايام الله لقوله وان يوما عند ربك كالف سنة مما تعدون فالستة منها هي التي خلق
الله فيها السموات والارض وما بينهما لان الخلق حجاب الحق فمعنى خلق احتجب بها فاظهرها وبطن ويوم السابع هو
يوم الجمع وزمان الاستواء على العرش والظهور بالاسماء وهذا الظهور بالاسماء وهذا الظهور يبتدئ في السابع
مع ظهور محمد صلى الله عليه وآله ولذلك روى انه قال بعثت انا والساعة كهاتين وجمع بين السبابة والوسطى وينتهي
الى تمام سبعة الآف سنة من لدن آدم الى الدنيا الى زمان خاتم الاولياء المهدي صاحب الزمان عليه السلام فتقتضي
الخفايا بالظهور التام لقيام الساعة ووقوع القيمة الكبرى وعند ذلك يظهر فناء الخلق والبعث والنشور والحساب
والميزان ويتميز اهل الجنة واهل النار ويرى عرش الله بارزا ان كشف الغطاء عن شهوده وتمام الظهور هذا اليوم
في الآخرة وان كان العارفون يشاهدونها في دار الدنيا فابتداء يوم القيمة الذي قد طلع فجره ببعثة نبينا صلى
الله عليه وآله فالجمعة يوم الكون من جزائه اوجب الناس اهل الجمعة محمد ص صاحبها وخاتم النبيين واتفق اهل الملل
كلها من اليهود وغيرهم ان الله فرغ من خلق السموات والارض في اليوم السابع الا ان اليهود قالوا انه السبت في
ابتداء الخلق كان جميع دور النبوة دور الخفاء وفي السادس ابتداء الظهور وازدياده في الخواص كما ذكرنا انه يوم خلق
آدم اي الحقيقة ويوم الساعة ويوم المزيد حتى ينتهي لتمام الظهور بارتفاع الخفاء في آخره عند خروج المهدي عليه السلام
ويتم الظهور في السابع الذي هو السبت ولزيادة توضيح هذا المقام نمهد مقدمة من الكلام فنقول ان الوجود المعلوم
بحكمته البالغة ونظمه البديع لا يخرج عن قسمين اما امور طبيعية جسمانية واما امور الهية روحانية اما الامور
الطبيعية الجسمانية فحدوثها وانشاؤها لا يكون الا على سبيل التدريج ومرور الدهور والازمان اذ المعنى بالطبيعي هو
ما يصدر عن الطبيعة والطبيعة بالتعريف ما هو حقيقتها الحركة والسكون في الجسم الطبيعي
زمانيات كما حقق في مظانه والطبيعي اذ التدريج ... العالم الجسماني ... تدريجي لا حقيقتها

من الأحد وعلى ما ذكرنا يكون هو الجمعة ومن جعلنا الاحد اول الايام ووقت ابتداء الخلق

مسبوقة

مسبوقة بالتغير فلو تأمل لبيب ذا فكر في كيفية ايجاد الاجسام الطبيعية وعوارضها وصفاتها الطبيعية يعلم ويتحقق
انها واقعة في مقدار من الزمان ويتيقن ان هيولى الكل قد اتى عليه دهر طويل وامد مديد الى ان تمحض وتميز
اللطيف منها من الكثيف والعالي منها من السافل والفلكي منها من العنصري والنير من المظلم وتقبل الكرات الفلكية وتولد
الكوكبية ويحيط بعضها ببعض والى ان استعدادات الاجرام الكلية والكرات الكوكبية ودكرت على مراكزها والى
ان تميزت الاركان الاربعة وترتيب ... ترتيبها بالنظم الكلي كلما تحصن احد وتعاون بعضها
ببعض وينتفع بعضها من بعض كما يحتاج بدن واحد انسان في مدة من العمر والدليل على ذلك قول الله سبحانه خلق السموات
والارض في ستة ايام وان يوما عند ربك كالف سنة مما تعدون واما الامور الربانية والاشياء الالهية فهي كانها من رب
على الازل وعالم قضائه وامره وسرادقات ربوبيته وسرادقات عزته لا يطلع عقول البشر كنهها وقد يعبر عنها في لسان
الشريعة بعبارات ورموز لا يفهم معناها الا من ايده الله بتوفيق خاص وهي المشار اليها في قوله وما امرنا الا واحدة
كلمح بالبصر تشبيها على عدم تجددها وتغيرها وارتفاعها عن عالم الزمان والتغير وقد وقع في بعض شرايع السابقين
ومللا الاقدمين اشارة الى كيفية حدوث الافلاك وما في جوفها من امر الله سبحانه على حسب الزمان قد اتى دهر طويل كان
النفس الكلية اي الملك الاعظم الحامل للعرش المستوي على عرشه الجاعلة للتدبيرات النفسانية قبل تعلقها بالجسم ذي الابعاد وكانت
عالمها الروحاني ومحلها النوراني متجردة عن ملابستها ... والفضايل الكبيرة وكانت متنعمة
ملتذة مستريحة فرحانة من تلك الفضايل والخيرات فاحبت علتها الخاص ففاضت ... بما اجتمع عليها من تلك الخيرات و
كان الجسم بحسب هيوليته فارغا قبل ذلك من الاشكال والصور والنقوش فاقبلت النفس على الهيولى بتمييز اللطيف
من الكثيف من اللطيف ... تلك الفضايل والخيرات فلما رأى الباري جل ذكره ذلك اعانها من الجسم تقبلها
تخلق من ذلك الجسم عالم الافلاك واطباق السموات من لدن العرش الى قرار الارضين على احسن نظام وترتيب ثم علم
الآن ... الحكمة ان ... تلك الفضايل والخيرات من الصور والكيفيات متجددة متعاقبة في ازمنة متطاولة ودهور كثيرة
لاستحالة الجمع بين الصور ... في زمان واحد ... استوفت ... الصور والكيفيات المقدرة في قضاء الله و
قدره على المواد الفلكية والعنصرية بحركة الافلاك عن الدوران والكواكب عن السير والاركان عن الاختلاط والامتزاج
وكملت القوى الجسمانية والالات وبلى الحيوان والمعادن والنبات وخلع الجسم الصور والاشكال والنقوش وانفطرت السموات

والشقت وهدمت الجبال وعبت ويبقى فارغة كما كانت بديا من حجبت النفس المجردة الكلية الى عالمها الروحاني
ومحلها النوراني ومقامها الاول واعرضت عن شغلها الذي كان وانقطعت تحول عنها الشفقة ولحقت بها الان مثل
النفس في اقبالها على الجسم واشتغالها بتدبيره واصلاحه بعد ما كانت مقبلة على عبادة ربها مستفيدة منه الفيض
كمثل الرجل الخير العاقل المقبل اولا على استاذه الحكيم الموحد في تعليمه العلوم والحكم والمعارف والتخلق باخلاقه
الجميلة وآدابه الصحيحة برهة من الزمان حتى استكمل الخيرات والفضائل وحصل اياها فاذا وجد تلميذا للعلم او سبيله
ودينهم عند علمه وحكمته اقبل عليه بالفيض والارشاد والافادة طمعا في اصلاحه وحرصا على تعليمه وتأديبه تشبيها
باستاذه الاول فاذا فرغ من تعليمه وتأديبه اقبل بهمته الى عبادة ربه وطلب الخلوة بمناجات ربه وشوق الخروج
بالسلامة والقرب والدخول في زمرة الملائكة فهكذا كانت سيرة الانبياء عليهم السلام وكذلك كانت سيرة الحكماء المتقدمين
الذين اخذوا الحكمة من مشكوة النبوة كما قالوا التشبه بالله في اظهار حكمته وبحبهم فضائله على بريته واعطاء هدايته
على خليقته **كلام** من الحكماء شبه ومن ذكروا ان ملكا عظيم الشان عزيز السلطان واسع المملكة كثير الجنود
والعبيد ولد له من بعض ولاية ذكر كان اقرب الخلق به شبيها واليه اقرب طبعا وخلقا فلما تربا ونشأ وكمل ولاه
ابوه بعض مملكته وامر اجناده وعبيده بطاعته واوصاه بحسن سياستهم واباحه جميع النعم غير انه نهاه عن شجرة
فكث ذلك الابن زمانا طويلا قد رضي بيوم متنعما ملتذا الا انه كان ساهيا فخدع بعض عبيد الملك من كان
مثيبا قبله فقال الا دللت تعرف نعمة ولا تجد لذة الا ان تصنع من الشجرة حتى عن النهي فاغتر بقوله وطلب اليه له
ان يتناوله قبل حينه فسقطت مرتبته وانحطت درجته عند ابيه وحدث له سوأته وحسر واستبان خطيئته
فهرب حتى امر ابيه الى هباق مملكته شبيه المشتري فاصابه العنا ولقيه البأساء والضراء والجهد والبلاء فتذكر ما كان
فيه نعمة ابيه فحزن لحاله مدة بكى ساعات فنعس فنام فحمل الى ابيه فقال دعوه نائما الى يوم الجمعة ثم انه ولد في اليوم الثاني
ابن آخر اشبه الناس باخيه فتربا ونشأ وكمل وبلغ وكان حكيما وقورا شكورا صبورا فولاه ابوه بعض مملكته وامرهم
بطاعته واوصاه بسياستهم فدعاهم وامرهم ونهاهم فلم يسمعوا ولم يطيعوا له امرا لانه كان شبيه زحل بالى اذوده فنظر اليهم
ثم شكى الى ابيه فغضب عليهم وردهم الكثير في البلاء فلاقوا ما ابتلاهم اغتم وحزن ونعس فنام وحمل الى ابيه فقال اتركوه
نائما الى يوم الجمعة ثم انه ولد في اليوم الثالث ابن آخر وكان اشبه باخيه الذين تقدم ذكرهما وكان حزانا سليطا

والعلوم والحكم اخذ عنه ذلك
شبيه الخاص واستمع وتمنى
وطلب من حيث فيض عليه من تلك
الخيرات والفضايل

فولاه

فولاه ابوه مكان اخويه وامرهم بطاعته واوصاه اليه ما اوصى الى اخويه من قبل فدعاهم وامرهم ونهاهم فلم يسمعوا
ولم يطيعوا لانه كان يشبه المشتري فازعجوه بالنار فذهب الى ابيه وبال له هاهنا كلا فقد ولد قربانا ودعاهم فاسكنوا وبادي
في الناس فقالوا الراي له والامر فاطاعوه وتبعوا امره ثم تبعوا امره ثم نام فحمل الى ابيه فقيل اتركوه نائما الى يوم الجمعة فبقي
في مسامع النفوس وتواتر بغيه من عدوان سمعوا وترى عيون الهيكل فرضت ظاهرهم وبرواه مما لا يبصرون
يفعلون شيئا فهنا سكروا ولكن اكثرهم لا يفقهون لانهم بكم لا يعقلون ثم انه ولد في اليوم الرابع ابن آخر فنشأ
وكمل ونما وكان حليما تقيا مقداما فولاه ابوه مكان اخوته وامرهم بطاعته فدعاهم وامرهم ونهاهم فلم يسمعوا
ولم يطيعوا لانه كان يشبه المريخ وبارزهم وبارزوه وناوشهم وناوشوه وكان معه اخوته ابيه فعلمهم وبين لهم
وفرق جمعهم وشتت شملهم وصمتهم في البر والبحر ثم بقى وحيدا كالغريب ليه طول فلا يجاب ولا يبرح فاغتم
وحزن ونعس فنام وحمل الى ابيه فقيل دعوه نائما الى يوم الجمعة ثم ولد في اليوم الخامس ابن آخر اشبه الناس باخيه
الاول فربا ونشأ وكمل ونما وكان عالما بارشد الجبار ربيعا فولاه ابوه مكان اخوته فدعاهم وامرهم ونهاهم
فلم يسمعوا له الا قليلا ولم يطيعوا له الا يسيرا لانه كان يشبه الزهرة ثم وثبوا عليه فاخذوا القميص الذي البسه
له فذهب الى ابيه فاستقر عليهم بجنوده وايدهم بروح منه في نفوسهم ويحكم في لاهوتهم بكلا قضاء
لا يحكموا في ناسوته وارادوا ان يتخذوا الرأس فقال ابوه اصبروا الى يوم الجمعة ثم قال الملك يوم السادس للمنجمين
اختاروا الابن الذي يشبه عطارد يوما انزل الى عالم الكون والفساد فتبينت اخوته اليه وبادروا اليهم فقد
رضيت عنهم وامرهم بالاستعداد للصلوة فان هذا هو يوم العيد يوم الجمعة فيه القضاء فيحكم بينهم كانوا
فيه يختلفون فاجتمعت سادة النجوم ورؤساء الكواكب في بيت المريخ وتشاوروا فيهم فقال زحل شيخ الكواكب وملكها
انا اخترته من قوتي وازوده من فضائلي العظمة والجلالة والرياسة والسلطان والعز والرفعة والبهجة
والبهاء والمجد والثناء والبذل والعطاء وقال المشتري يكون انا اخترته من قوتي وازوده من فضائلي للعلم والحلم
والصبر والثبات وبعد الغور وعلو الهمة والحفظ والامانة والفكر والروية وقال جبل الحسن العاقل انا اخترته
من فضائلي وازوده من قوتي الدين والورع والخير والصلاح والعدل والانصاف والصدق والديانة والورع
وقال المريخ صاحب الجيوش انا اخترته من قوتي وازوده من فضائلي العزم والصرامة والنجدة والشجاعة والانفة

والظفر والغلبة والبذل والسخاء والبقظ والاضه وقالت ناهيد اخت النجوم انا اختار له من رفيقي وازوده من فضائلي
الحسن والجمال والكمال والتمام والرائحة والوجه الحسن والزينة والنظافة والحب والمودة والسرور واللذة وقال الاخوهم عطارد
الاصغر وهو اخفاهم منظرا واجلهم مخبرا الذي صنعه اظهر وعلومه اكثر وعجائبه اشهر انا اختار له من رفيقي وازوده
من فضائلي واوزيده من مناقبي النطق والفصاحة والتمييز والفطنة والقراءة والعلوم والحكمة قال تمام النجوم القمر اضعفهم
وادناهم وانا اختار له من رفيقي وازوده من فضائلي النور والبهاء والزيادة والنماء والحركة في الاقطار والتنقل في
الاسفار وبلوغ الامال والسير والاختبار وعلوم مواقيت الاجال ثم انه دارت الافلاك بعد تمخضت تولى الى جانب
اهل السموات فنزل الى عالم الكون والفساد في ليلة القدر قبل طلوع الفجر طلب السلام لينفخ في الصور فمكث هذا
المولود في الرحم اربعين يوما من ايام الشمس وعشرين يوما في الرضاع حتى تربى ونشأ وكمل ونما وكان اشد ابنائه
شبها بالجد الثالث لانه كان يشبه العطارد الذي هو اخ المشتري فصار هذا المولود من بين اخوته اتمهم بنية
واحكمهم صورة وكان اديبا عالما حكيما ملكا عزيزا رحيما اماما عادلا نبيا مرسلا فولاه ابوه مملكته ثم اصابته
العين فاعتل وبقي على الفراش نحو يوم من ايام القمر مريض الجسم عليل النفس ثم تحول الى دار اخرى ونهض ظللا
ومشى ونشط وانبسط ودخل الى كهف ابيه ونام مع اخوته فلبثوا زمانا اهل الكهف وعدد الرقاد وتقارب المعاد
ناداهم الملك لربانكم ان تنتبهوا من نومكم واستيقظوا وتذكروا ما نسيتم من ارض مبدأكم واذكروا معادكم من اسفاركم وترجعوا م
وما يوعدون اليوم بعد ما كم عن ربكم فقدم خلق السموات السبع في ستة ايام وعند الجمعة يستوي ربكم على العرش ليحكم
بين ... ثمانية فانتبهت كذلك لاخوة الدين قبل انهم سبعة وثامنهم كلبهم بعد رقدتهم ثلثمائة وتسع وعشرين
من ايام الشمس بحساب القمر تبلغ الوف كما لبثتم في الكهف فقال لهم لا جرم فلا تمار فيهم الا مراء ظاهرا ولا تستفت
فيهم منهم احدا فاختلفوا في عدتهم وكتم اسرارهم لانه لا يكون من نجوى ثلثة الا هو رابعهم ولا خمسة الا هو سادسهم
الى قوله تعالى وهو معكم اينما كنتم ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيمة وهو يوم جمع الخلائق كلهم للجزاء وكان الملك مدينة
فيها جنوده وعساكره وتنبه اهل المدينة عمال وصناع لهم اجرة وارزاق وفيها تجار وتباع يتاملون ...
ومكاتب وظلم ومظالم وخصومات وظلم فيها قضاة وعدول ولهم فقه واحكام وفصول ولذلك تسعة الف البروز
والحلول في كل سبعة ايام كلها يوم العرض لعرض الخلائق على العزيز الجبار الواحد القهار لفصل القضايا بينها بالاحكام

يوم واحد فهكذا يجري حكم النفوس الكلية
وملائكة الله تعالى العالم باذنه في
الانفس الجزئية في كل سبعة ايام

ملائكة العالم

ملائكة العالم باذنه فلا تظلم نفس شيئا وان كان مثقال حبة من خردل اتينا بها وكفى بنا حاسبين وورد عن
النبي صلعم انه قال عمر الدنيا سبعة الاف سنة بقيت في اخرها الف وقال صلعم لا تبقى على هذه الامة تقوم وهو يوم العرض الاكبر
ما امنا واليه تقوم واذ اخذ ربك من بني ادم من ظهورهم ذرياتهم واشهدهم على انفسهم الست بربكم قالوا بلى
شهدنا ان تقولوا يوم القيمة انا كنا غافلين وبين اليومين مدة سبعة الاف وكان ان في المدينة لاهلها جنان
وميادين وانهار وبساتين فيها مجالس ومساكن ومساجد فالاولى لنزاهة النفوس في بهجتها وسرورها
ولذاتها ونعيمها والثانية لعقوبتها وعذابها على قدر جرايمها وذنوبها وهكذا في طبقات الوجود ومراتب الكون
فسحة وسعة اهلها في جنات النعيم وروح وريحان وتحيات وصلوات ومجالس وكانت اهلها في عذاب اليم
عقاب شديد وغصة عظيمة كما ذكره الله في التوراة والانجيل والفرقان في مواضع كثيرة من نعت الجنان
ولذاتها ووصف النيران وافاتها هذا الحظ وبعد نامز كلام الاكابر العظام فاوردناه توضيحا للمقام ليقف
بعض اعلام الانام من اولي الدراية والاهتمام في الخروج عن طورهم بعد المرام والله ولي الهداية والنهاية قوله
عز وجل **يعلم ما يلج في الارض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم اينما كنتم والله بما
تعملون بصير** اي يعلم ما يدخل في جوف الارض ويستتر فيها من البذور وغيرها وما يبرز من الارض ويكون منها
يعلم ما يترتب في الارض من المعادن والنبات والحيوان وما يكون يخرج منها ويكون على ظهرها من هذا فيعلم
اعيانها واطوارها وتقلباتها واحوالها من القوة والفعل في الكون والبروز ومدة بقائها ووقت فنائها
ويعلم ما ينزل من السماء من مطر وطل وحر وبرد والحر القوى والكيفيات وصادياتها عليها وارزاق الخلق الى
الجميع مما ينزل من السماء الموكل بها وفي السماء رزقكم وما توعدون وما يعرج اي يصعد اليها من الملائكة الحفظة وما
يكتبون من اعمال الخلائق كلها وهو معكم اي عالم بكم اينما كنتم وفاق حال من احوالكم وصفاتكم التي انتم عليها واعمالكم
واقوالكم التي فعلتموها وقلتموها والله بما تعملون من خير وشر بصير اي شهيد فيجازيكم على وفق اعمالكم **مكاشفة**
يعلم ما يلج في الارض العالم الجسماني التي هي تحت عوالم الارواح الصعود الموعبة لانها مرجع معلولة الكل وما يخرج من
الارواح التي يفارقها والصور التي يزيلها عند الفناء والفساد وهي بعينها هي التي ينزل من سماء عالم الغيب
الى ارض عالم الشهادة وتعرج فيها عند الاستكمال وتطهر اليها تجاها الى عالم العالم او ما ينزل من سماء الروح الكلي

يوم العرض الثاني كما ان آدم

في البدء ايام

من العلوم الكلية والانوار العقلية الفائضة على القلب من غير اعمال الارض النفس جزئية بحيث يعرج فيها من
المنتزعة من الجزئيات المحسوسة وهيات الحال المرتكبة والاول اشارة الى العلوم الموهبية التي تفيض اولا على القلب
بتمثيلها الخيال حكاية عن المحسوسات والثاني اشارة الى العلوم الكسبية التي يرتقي الى العقل بعد ان يقع
الاحساس بالجزئيات الجسمانية ويتنزع منه الكليات لاجل المشاركات بينها وبين المباينات والاول طريق المراد
والثاني سبيل النظار وهو معكم اينما كنتم لان موجودية اعيانكم انما هي بظهوره في مظاهرها وتجليه في مراتبها
والله بما تعملون بصير لكونه شهود الحاضر اعتبره منقوشا في الالواح العالية وملكوتا بحضرته لعقد المهتد
ان معية الحق للاشياء ليست كمعية جسم لجسم او جسم لعرض او عرض لعرض وبالجملة ليست تلك المعية معية في الوضع
ولا في الزمان والان ولا في المحل والحال ولا في الفعل والانفعال ولا في الحركة والانتقال تعالى عن هذه الاوصاف
والاشباه والامثال وليست ايضا معية في الوجود لكونه قبل كل موجود وقبلية تجليه لا يعقل المعية التي يقابلها
معيته لشيء نحو اخر من المعية مجهول الكنه وانما يعرف الراسخون في العلم لمعرفتهم مشهوده والحجة بكيفيتها ان اراد
ان يعرضوا على غيرهم من المستعدين شيئا منها مثلوا لهم مثال المراة وقالوا ان الله تعالى يتجلى للاشياء كما يتجلى صورة
الشخص في المرايا المتعددة المختلفة صغرا وكبرا واستقامة واعوجاجا وصفاء وكدورة وقربا وبعدا من المرئي
التجلي من قبله حاصل لا انه تمام الجميع الاشياء لانه نور والنور من حقيقته التجلي والظهور على الجدار والمظاهر لا
لكن عدم ظهور هذا التجلي اما لضعف فيها وصغرها اذ انها لا تطيق احتمال النور العظيم الباهر كما لا تطيق
نور الشمس ابصار الخفافيش وعيون العميان الاطلاء ضعيفا منهم وهذا مثال الاجسام والنفوس الناقصة
كالجمادات والنبات وغيرها اطلق من الحيوان والناقص من الانسان واما لكدورتها في المراة واما الكدورة في المراة كالامر
التي عليها غشاوة وهذا مثال نفوس العصاة من الناس الذين ختم على قلوبهم وعلى ابصارهم غشاوة اي على عقولهم
وعلى بصائرهم التي بها يحصل بها معرفة الله وملكوته غشاوة المعاصي والشهوات التي بها يقع الحجاب عن شهود
معرفته تعالى واما الاعوجاج والكسارة المرات يقع الصورة فيها على خلاف ما في الواقع كما هو في الحالة عن حالها
الامزجة الغير العينية التي يقع بسببها الغلط في رؤية ما تتنور بنور الشمس من خارج الاجسام وهذا مثال نفوس
الجاحدين من الحق المتعصبين للمذاهب تقليدا التي رسخت في نفوسهم من اوائل الامر بحيث لا يمكن زوالها الا

حجر

فيظهر بصيرته الحق ويخطئهم العمى عما سوى الحق اي المشاهد فيجد الله تعالى عند كل شيء على ما هو عليها والانفلى متجليا لكل شيء
كقوله وهو اصدق القائلين ونحن اقرب اليه من حبل الوريد وفي الحديث النبوي صلى الله عليه وآله انه تعالى فوق كل
شيء وهو الاخر ليس بعده شيء وهو الظاهر وليس فوقه شيء وهو الباطن ليس دونه شيء فلو دل على الارض السفلى
لدل على الله وفي طريق اهل البيت عليهم السلام احاديث كثيرة متقاربة المعنى قريبة من معنى هذا وكذا حديث
النوافل وقد روي ان موسى على نبينا وعليه السلام اقريب انت فاناجيك ام بعيد فاناديك فاني احس حسن
صوتك ولا اراك فاين انت فقال الله تعالى انا خلفك وامامك وعن يمينك وشمالك انا جليس عند من يذكرني
وانا معه اذا دعاني فاعلم ايها المتقي عن المعاصي البدنية والقلبية الان شق عن عين عقلك كدورته بالتخلي
عن الرذائل وتقوى حدقته بكحل الطاعات والعبادات والقيام في الليالي والاوقات مع استقامة الفهم
في المعاني العقلية والايات فاذا هو فيك اذ ليس هناك اينما غير فاذا غاضت تجليه ولست هناك فاذ
قلت انه غير كما نقل عن الجويني بالحق عن مراتب مظاهر الالهية وعن الاسماء ما في الان يبتل انه القول
فنقول ان الصورة ليست في المراة ولا المعية بينهما كمعية الحال المحل ولا المتمكن بالمكان ولا بنوع من انحاء المعية بل
تجلت لها وظهرت فيها ولو حلت الصورة ان تحل صورة واحدة لمرائي كثيرة مختلفة في حالة واحدة بل كانت اذا
حلت في واحدة ارتحلت عن الاخرى وهيهات فانه يتجلى لجملة من العارفين دفعة واحدة ثم يتجلى في بعض المرائي
اصح واظهر واقوم واوضح وفي بعضها اخفى واميل الى الاعوجاج عن الاستقامة وذلك بحسب صفاء المرائي
صقالتها وصحة استدارتها واستقامة بسطها وجهها وكما يتجلى حقيقة الحق لجملة العارفين من الملائكة المقربين وعباد
الله الصالحين كذلك يتجلى بوجه على الاشياء جميعها على تفاوت درجاتهم في الضعف والقصور ولهذا المعنى
واحد الحكماء المتقدمين ان المحسوسات كلها تتشبه بالحق الا انها لكثرة قشورها وظلمة نورها لا يقدر على حكاية
الحق من وجه او بالجملة لا يخرج ذرة من ذرات الكائنات من نور الحق وتجليه له وظهوره فيه لكن تحصيل هذه
والوصول اليها حتى هذا التجلي هو الاكبر الاهم المستفاد من بحر عميق من بحار القران قوله عز وجل له ملك السموات
والارض والى الله ترجع الامور اي يتصرف فيها كيف شاء الان مشيته تعالى تعلقت بتحريك الافلاك
وتسيير الكواكب وتسكين الارض في وسطها لكل قبولها الاثار الناشية من السماء من الانوار والامطار وتتولد منها المركبات

ويكون منها الكائنات من المواليد الثلثة وغيرها الحاصلة من الاسباب الفعلية والانفعالية السماوية والارضية
ثم يرجع اليه الامور ليوم القيمة ليجزي كل واحد بالعمل فيحيل جميع من ملكه شيأ في الدنيا من ملكه وينفرد هو وحده
بالملك كما كان كذلك قبل ان خلق الخلق **مكاشفة** اعلم ان ما يصدر عن فاعل مختار فهو يرجع اليه كما
لنا في امثلة الجزئية فان من بنا بيتا ليسكن فيه فالداعي له في بنائه هو الراحة التي يتصورها عند تمام البيت فموضع
هذا التصور فاعل الفعل الذي يحصل صورته منه ثانيا اليه فكل من فعل شيأ فانما يفعل لنفسه فلما افادنا النظر في خلق
السموات والارض وما فيها اثبات فاعل لها موجد لها كذلك افادنا اثبات غاية يرجع اليه الجميع ويجب ان
يكون تلك الغاية هي بعينها ما هو الفاعل لوجودها الا انا لو جعلنا الغاية امرا معلولا لكان لوجودها غاية غيرها
كما ان لها فاعلا فيتسلسل وهذا لا يكون ما من غاية الا وله غاية ان الكلام في الغاية الحقيقية ولكان الباري محتاج
في فعل الابداع ليتوصل اليه ويحصل فيها نفعا واضا لا يمكن ان يكون ما اضاف في عليه مستكملا بغيره ما من غاية لذاته
امرها باطلة هكذا المتقدم ثم انا لو صفنا كلامنا في الفاعلية والغاية بالمناسبة الكلية تقتضي ذلك قصد الباري ويقتضي
ايضا سلسلة هاهنا ليحصل وجود شيء من كل منها الاسباب له فاهو الاول الذي يبتدي منه الامور واخر
الذي يرجع الامور فيه يحصل الاشياء في الابتداء واليه ينساق الوجودات في الانتهاء فهو الفاعل الوجود
والغاية له في الشهود فان قلت كيف يكون ما هو الفاعل علة غائية والفاعل قبل الشيء لينبعث منه الشيء
والغاية بعد الشيء ويستتبعها الشيء قلنا ان العلة الغائية اذا ما لت في الحقيقة هي العلة الفاعلية
لا بخذه المادة خاصة فان الجائع اذا اكل ليشبع فانما اكل لانه تخيل الشبع فحاول ان يتكمل له وجود الشبع
فيصير من حد التخيل وهو موجود ضعيف الى حد العين وهو وجود قوي فمن حيث انه شبعان تخيلا هو الذي
يأكل ليصير شبعان وجودا فالشبعان تخيلا هو العلة الفاعلية والشبعان وجودا هو العلة الغائية فكل
من الشبع ومصدره للشبع فالشبع هو الذي كان علة فاعلة للاكل وعلة غائية له لكن باعتبارين فهما باعتبار
الوجود العلمي فاعل وعلة غائية وباعتبار الوجود العيني غاية لكن يجب التعارف البصيران يفرق بين الفاعل
الواقع تحت الكون وبين الفاعل التام المرتفع عن الكون المقدس عن التثنية والتركيب لا في الذات ولا في الاعتبار
لان فاعليته تامة ليست له غاية زائدة على ذاته وعلمه بالاشياء كما في صفاته عين ذاته فاما في الجزئيات فحط

تتبع

العلة

المهيات انما هي لكونها بذاته جوادا وجعله يوجد الخير في النظام بنشأته الاشياء على احسن الانحاء وافضلها في
النظام قوله عز وجل **يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وهو عليم بذات الصدور** اي يدخل بعض
من كل منهما في الاخر حسب ما دبره فيه من مصالح العباد والبلاد كما نقل عن عكرمة وابن عباس وهو عليم بمكنونات
اسرار خلقه وخفيات ضمائر عباده كما يعلم وجه الخير في نظام العالم كيف ولو لم يكن عليما بخفيات الامور
لم يوجد بعض المخلوقات على افضل ترتيب واحسن نظام فانظر ايها المتفكر في حكمة الباري وجوده انه لو لم
يخلق الاجرام النيرات على الوضع الذي يقع به التفاوت بين الليالي والايام والتفاضل بين السنوات
ما بين لجانب احديهما في الاخرى تارة والعكس تارة اخرى كذلك على نسق مضبوط ونظام محكم من غير اختلاف
ولا قصور لما انضبط حال الخلايق والانام على هذه الكيفية والنظام الم تر كيف خلق الله النيرات العلوية على هيأت
واوضاع ينتفع بها الكائنات السفلية فلو ثبتت انوارها او لازمت ما بين واحدة لاحترقت باطرافها
خاليا او من ما ورائها ولو لم يكن لها حركة سريعة لضعفت بانفعال السكون واللزوم ولو لم يكن الانوار
الكوكبية ذات حركة سريعة مشتركة واخرى بطيئة مختصة لم يحصل بوايت الحركات البطيئة وسموتها ما نلقى
عن سمت الحركة السريعة للمايلات تلك الانوار الى النواحي بالادرجوبا فلم ينتشر منافعها على بقاع الارض ولو
ان حركة الشمس على هذا المنوال من تخالف جهتها لسمت الحركة السريعة لما حصلت الفصول الاربعة التي بها
الكون والفساد ويصلح منها امزجة البقاع والبلاد قوله عز وجل **امنوا بالله ورسوله وانفقوا مما جعلكم
مستخلفين فيه فالذين امنوا منكم وانفقوا لهم اجر كبير** خاطب سبحانه كافة ذوي العقول من الانس
دون الملائكة لكونهم منتظمين بحظ العلم بالله ورسوله فقد ستين من نازلة الخبائث ليحتاجوا الى الزجر
بالانفاق وبين ساير الحيوانات فانها بعدا منها من الجهالة لا تستحق الحد وجيبا عن سماع هذه
الخطاب فقال فيها ما شاء لعقلاء المكلفين امنوا بالله اي اعتقدوا بوجود الحق الاول وكونه الخالق
بوحدانيته وتنزيهه وتمجيده ورسوله اي بكونه رسولا اياه او صدقوا رسوله واعترفوا بسالته لاتصافه
بخصايص الانبياء من خوارق العادات والعلم بالمغيبات وانفقوا تقربا اليه طاعة وتخلصا مما عليكم
من معصية وبعدكم عن جواره مما جعلكم مستخلفين فيه اي من مال الله وعبيده الذي خلقه لصلاح قبا

واناموالكم اياه ليكونوا خلفاء من قبل الله في صرفه لوجوه المنافع والمحاويج وخولكم الاستمتاع والانتفاع
به فليست الاموال بالحقيقة الا لمن خلقها الا لمن كان متصرفا فيها بنقلها من موضع الى موضع او مضافة هي اليه
فان مجرد الاضافة لا يوجب التسلط لانها نحو ضعيف من التعلق وانما يكون التعلق اقوى والتسلط التام
على شيء بالقدرة على ايجاده واعدامه والله ود على ما شاء وانما كان هو الله تعالى دون غيره فالاموال كلها
عارية في ايدي المتولين بها الا انه جعلهم الله برهة من الزمان منزلة مستخلفين فيها وانما ذكر الله سبحانه
كون المال عارية بيد صاحبه لبيان علة الامر بالانفاق منه كما يهون النفقة عليهم من مال غيرهم اذا كانوا
ماذونين فيه ماموربن به وعن الحسن انفقوا من المال الذي استخلفكم الله فيه بوراثتكم اياه عمن قبلكم
وفي هذا تنبيه على ان المال جميعا انتقل وصار اليكم من قبلكم وسيصير منكم الى من خلفكم فينبغي ان يعتبروا بحال من
سبقكم وعدم انتفاعه به نفسه وان تنفعوا انفسكم بالانفاق منها وان تبتغوا في ذلك البدنية والعقلية
والدنيوية والدينية منها قبل ان يخرج الامر من يدكم وينتقل المال الى غيركم ملكا مستقرا واعلم ان هذا الحكم كما
يشمل النعم الخارجية كذلك يشمل النعم الداخلية من الاعضاء والحواس والقوى التي اعطاها الله ايانا وخولنا الانتفاع
بها في الدنيا للانتفاع بها لاجل الاخرة باذا عمر فيها في عبادة الرب ومعرفته وسيرتحل ويتخلف عنا عن قريب
بل النعم الداخلية البدنية كالنعم المالية الخارجية في كونها مانية لا دوام لها وخارجية عن ذواتنا عارية في
تصرفنا الان بعضها نعم طبيعية متصلة بالبدن موجودة له وبعضها نعم خارجية عن البدن مباينة له كما
للروح وسيهلك البدن ويفنى كلما عليه وفيه من القوى والالات والمشاعر ويبقى الروح وحيدا منفردا عنها
عاملا الدنيا اماشاكرا واماكفورا قوله عز وجل فالذين آمنوا منكم وانفقوا لهم اجر كبير اي جزاء
عظيم وثواب جسيم لا يكون له افتراء ولا يقتصر زوال وانما يكون كذلك لان كمال الانسان منوط بالعلم
والعمل المتين في ذاته العقلية بالشهوات الموذيات باقتناء الفضايل والاجتناب عن الرذايل ولا شك
ان افضل المعارف معرفة الحق الاول وصفاته وافعاله وكتبه ورسله واليوم الاخر وهي المعني بالايمان
وافضل الاعمال المزكية للقلب هو الانفاق بالمال الذي هو الوسيلة الى جميع اللذات الجولية والشهوات
البهيمية ويمكن ان يكون الايمان كناية عن العلوم الحقة مطلقا والانفاق عن الزهد في الدنيا مطلقا

بهذين الامرين

بهذين الامرين المطهرين القلب بجناحيه للطائر القدسي وصعوده نحو ربه تعالى لهم اجر كبير باعلى الاجزاء الاخروية جزاء لانهم
وثمرة معنوية مترتبة على اقتناء الملكات العلمية والعملية بحيث لا يحتاج حصول الاجر الى سانقة
حديث كما اشير اليه بقوله ان الذين لو اوقع تعجيل الجزاء لا دوم لان الالام والعقوبات الاخروية لو احق ضرورية
لفعل المعاصي والشهوات الموجبة لرداة الاخلاق والملكات كما يدل عليه قوله تعالى سيجزيهم وصفهم وان جهنم لمحيطة
بالكافرين قوله عز وجل وما لكم لا تؤمنون بالله والرسول يدعوكم لتؤمنوا بربكم وقد اخذ ميثاقكم ان
كنتم مؤمنين قرا ابو عمرو واخذ بضم الهمزة وميثاقكم بالرفع والباقون بصيغة المعلوم ونصب ميثاقكم
على المفعولية والضمير يعود الى الله تعالى وجملة لا تؤمنون حال من ضمير الفعل في ما لكم حاصل وما تصنعون
كفارا بالله مع وضوح البراهين على وحدانيته والحال ان الرسول يدعوكم للايمان بتقوا طع الحجج والبينات
ويتلوا عليكم الكتاب الناطق والايات المبينات ففي الكلام حالان متداخلتان وفرعي وما لكم لا تؤمنون
بالله ورسوله والرسول يدعوكم اي داتي عذر لكم في ترككم الاعتقاد بوحدانية المعبود وما اتى به النبي
وقد اقيمت البرهان على ما تؤمرون به سمعا وعقلا اما الاول فلان الرسول يدعوكم لتؤمنوا بربكم والعقل
السليم عن الامراض والافات النفسانية مجبول على الاعتقاد بصدق قوله بما اظهره الله على يديه من المعجزات
التي هي خارجة عن طوق البشر واما الثاني فلنهوض البراهين القاطعة الدالة على الايمان بالله والرسول وكون
الغريزة الانسانية مركوزة فيها التصديق بحقايق الايمان مفطورة عليها كما اشار اليه بقوله تعالى وقد اخذ
ميثاقكم والحاصل انه اي عذر لكم في ترك الايمان بعد ما ازيحت عنكم العلل واوضحت لكم السبل بما ركب فيكم
من غرايز العقول ونصب لكم من معجز الرسول المؤيد بالدلايل والايات التي بنيها لكم على الايمان بمن
هو ربكم دون من هو ربوبيته مثلكم ان كنتم مؤمنين اي ممن يحكم التصديق بما يقوم البرهان الواضح عليه
صحته فقد قام ذلك عقلا وسمعا وهما فطرة العقول ومعجز الرسول هذا اذا جعل خطابا للمشركين
فان جعل خطابا للمؤمنين فمعناه اي سبب يمنعكم عن الايمان والرسول في اظهركم يدعوكم اليه ويتلو عليكم
وقد اخذ هو عليه ميثاقكم ان كنتم مؤمنين موقنين بشرايط الايمان وهو كقوله يا ايها الذين امنوا
ان تطيعوا فريقا من الذين اوتوا الكتاب يردوكم بعد ايمانكم كافرين وكيف تكفرون وانتم تتلى عليكم ايات

الله ربكم ورسوله وعلى الثاني الأول اخذ الميثاق من الله تعالى على عباده هو ميثاق الخلقة وثانيهما اخذ ميثاق
الذرية **مكاشفة** يحتمل ان يكون معنى قوله تعالى ان كنتم مؤمنين من يحتمى من المعرفة والايقان لا من
الذين انحطت درجتهم عن هذا فقيل فيهم اولئك كالانعام بل هم اضل سبيلا ولا من الذين طبع الله على قلوبهم
فهم لا يفقهون فالبراهين والدلائل العقلية والسمعية ليست نافعة في حق الاشقياء الناقصين بحسب الفطرة
لامتناع قبولهم الهداية لعدم استعدادهم رأسا كما لاهل الجحود والانكار لزوال استعدادهم ومسخهم
وطمسهم بالكلية لهذا اعتقادهم فهم اهل الخلود في النار الا ما شاء الله فالخطاب بجنبة الآية انما لاهل الفضل
والثواب سواء كانوا من المقربين والسابقين او من اصحاب اليمين على تفاوت طبقاتهم او كانوا من اهل الآخر
الباقين على سلامة نفوسهم وصفاء قلوبهم المستوفين درجات الجنة على حسب استعداداتهم من فضل ربهم لا على
حسب كمالاتهم من حيث اعمالهم او كانوا من اهل العفو الذين خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا سواء كان
العفو عنهم لقوة اعتقادهم وعدم رسوخ سيئاتهم او لكمال توبتهم عنها وانابتهم الى الله فاولئك يبدل الله
سيئاتهم حسنات ولاجل نجاتهم من الجحيم بعد ان ذاق بعضهم دون ما اكتسبوا من السيئات كالسبيكة من الذهب
التي تخرج من النار خالصة [illegible] اهل العدل والعقاب والذين ظلموا من هؤلاء سيصيبهم سيئات ما كسبوا لكن
الرحمة الالهية تداركهم وتنالهم بالآخرة قوله عز وجل **هو الذي ينزل على عبده آيات بينات ليخرجكم من**
الظلمات الى النور وان الله بكم لرؤف رحيم وفيه لطف تام حث سبحانه المكلفين على الايمان
بالله وملكوته من جهة ما ركب فيهم من فطرة العقول ومن جهة سماعهم من دعوة الرسول اخبر بانه لزمت دعوته
وقبولكم اياها لما اتاه الله به من المعجزات البينة التي اظهرها على يديه او الآيات القرآنية خاصة ليخرجكم الله
سبحانه بواسطة تلك الآيات من ظلمات الكفر والجهل الى نور الايمان والمعرفة او ليخرجكم الرسول بدعوته او ليخرجكم
المنزل باخذه من الحجج المنيرة والبراهين الواضحة وان الله بكم لرؤف رحيم حيث بعث الرسول وانزل الآيات لكم
وهذا يدل على كمال الرأفة والرحمة وللاشعار به اقترن الكلام بوجوه من التأكيد منها الجمع بين لفظين مترادفين
وقيل الرأفة على المعذور والرحمة على المحتاج وفي هذه الآية دلالة على بطلان قول المجبرة فان من ان الغرض
في انزال القرآن لا ايمان [illegible] هذا المقام يحتاج الى طول [illegible] المعارف [illegible] عليه السلام

ان كنتم

لكن يجب

لكن يجب على كل عاقل ان يتفكر انه من اي الغاية الاخيرة والمتوسطة وكذا ان الغاية بمعنى الداعي ما يسمى بالعرفية
الذي يلزم الفعل من غير ان يكون داعيا عليه كقوله تعالى فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا **مكاشفة**
ان الله تعالى كما ينزل على اشرف رسله محمد آيات بينات ليخرج الناس من ظلمة الجهالة والغواية الى نور الهداية والحكمة
فلا من عبد من عباده المهتدين الا وله آية من قبله تعالى اشارات وتنبيهات ينزل منه على قلبه انوار وتجليات
ليخرجه بها من ظلمة الحجب الدنياوية الى نور المعارف الاخروية ولكن الناس اكثرهم غافلون عنها لاشتغالهم بما يلهيهم عن
ذكر الله وينسيهم امر الآخرة فلا يبعد ان يكون هذه الآية بيانا لاخذ الميثاق المذكور في الآية المتقدمة فانه
سبحانه خلق عباده على فطرة التجرد والنقاء عن علائق الاجرام والتقديس والصفاء عن كدورات الآثام والتهيؤ
لقبول دعوة الحق والالهام واستعداد الترقي بواسطة العلم والعمل الى ارفع المنازل في دار السلام ثم اذا انشأهم في
الحياة الدنيا بابدانهم واكملهم واعطاهم العقول والتمييز وبعث اليهم الرسل وايدهم بالمعجزات فلا يزال ينزل على قلوبهم آيات
بينات من انوار معرفته ويفتح عليهم ابوابا من فنون رحمته ويهديهم الى صراط مستقيم ويخرجهم من ظلمات الجحيم
الى انوار النعيم وانما ينسى الناس ذكر ما تقدم لهم في الجبلة مع الحق وعهودهم الذاتية مع سكان ملكوته وبابه
ما كانوا مفطورين عليه من الطهارة لذواتهم المجردة مبدأ الفطرة [illegible] واستعدادهم للمعرفة واليقين لتعلقهم
بشواغل الكون لحضور قواهم البدنية وتشغلهم بها عن ورود على قلوبهم من انوار المعارف بالجنان وظاهرها ولهيهم عن
الطاف الحق الواصلة اليهم باخلادهم وجاء وركوبهم الخطيئات واقترافهم السيئات المبعدة لهم عن جوار الله وقربه
لان الملكات تغطي بصائرهم وتصم اسماعهم عن ادراك انوار الحق والمامات فاعرضوا بها عن ذكر الله وسماع آيات البينات
واشتغلوا بما يلهيهم من الشهوات عما يلهمهم به الرحمن لقوله تعالى ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا
فهو له قرين وتمام التحقيق في هذا المرام ان قلب الانسان ذو وجهين وجه الى عالم الملكوت وهو عالم المعرفة وعالم الآخرة
وعالم الالهام ووجه الى عالم الملك وهو عالم الجهل وعالم الدنيا وعالم الوسواس ثم ان الخواطر التي ترد على قلبه
وتبعثه على الافعال والحركات اما ان تنبعث من الجهة العالية وتدعو الى الخير كالعبادة والمعرفة وتنبعث
من الجهة السافلة وتدعو الى الشر كالمعصية والغفلة فهما خاطران مختلفان فافتقرا الى اسمين مختلفين لانهما
وهما حادثان فاحتاجا الى سببين مختلفين لان اختلاف المعلول الحادثة يدل على اختلاف عللها القريبة وان كان

الموثر في فيضان الوجود مطلقا هو الله تبارك وتعالى عن شوائب الامكان والدثور وسبب الخاطر الداعي الى الخير
يسمى في عرف الشريعة ملكا بل الخاطر الهاما وسبب الخاطر الداعي الى الشر يسمى شيطانا والخاطر وسوسة
والله تعالى خالق كل شيء خلق الملائكة لصفة رحمته ولطفه وخلق الشياطين لصفة قهره وغضبه وكان الجنة
اثر من آثار رحمته ونور من انوار لطفه ورافته وكذلك النار اثر من آثار غضبه وشعلة من شعل قهره فالانسان
متى اشتغل بعبادة ربه ومعرفة خالقه انخرط في سلك رحمته ودخل في زمرة الملكوتيين ومهما اشتغل بالمعاصي
والشهوات ومتابعة الهوى والشيطان استعد لمقته وغضبه وعد من جملة الشياطين فالالهامات من جانب الحق
بواسطة الملك لعباده الصالحين في مقابلة الوساوس من جانب الشيطان وانما يسلط الشيطان على قلب ابن آدم
بواسطة الخذلان الحاصل له من مخالفته الحق والعصيان والانغماس في لذات الهوى فيتسلط على الانسان وانما
يدفع كيده عنه بواسطة التوفيق الذي لا يحصل للانسان الا بفعل الطاعة والعبادة فاذا زال كيده واندفع وسوسته
عن القلب استعد لقبول الالهامات الداعية الى الخير والنور الصارفة له عن الشر وسد الظلمات فاهل الرحمة مآلهم
الى الجنة والنعيم واهل السخط مآلهم الى النار والجحيم وكل جنس يحن الى جنسه وكل طاير يطير مع شكله والاصل في معنى
الفطرى اما من جهة التوفيق والهداية او من جهة السخط والخذلان والكل بمشية الله وقدرته وقوله سبحانه هو الذي
ينزل على عبده آيات بينات يمكن ان يكون اشارة الى الواردات التي ترد من جانب الرحمن على قلوب السالكين
ملاتكرم
من عباده بواسطة الرحمة من الالهامات والمعارف الحقة الواضحة لديهم ايمانا من جانب الحق وقوله ليخرجكم من الظلمات
الى النور اشارة الى ثمرة هذه الالطاف والانعام في حقهم ورفع حجبهم اذ بها ينتقل النفوس الانسانية من
الهيولانية الظلمانية الى العقل بالفعل المتنور بانوار المعرفة والايمان بالله وآياته واليوم الآخر ومن ظلمات الصفات
الشيطانية الى انوار الاخلاق الملكية او الجمع بينهما ليكون الخروج بالنسبة الى القوة الانفعالية بحسب كمالات قوتيه
العلمية والعملية وكان الانسان بالتأمل في اسرار معرفة الله وسماع آيات ملكوته والتفكر في الآخرة يخرج من
ظلمات الجهل والنقصان الى نور المعرفة والكمال وكذلك بارتكاب شهوات الدنيا ومتابعة الهوى والشيطان
يخرج من نور الادراكات الحقيقية الى ظلمات الغي والحرمان من مشتهيات الدنيا لفقد الآلات عند الفناء
والبطلان ويدل عليه قوله تعالى الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور والذين كفروا اولياؤهم الطاغوت

يخرجونهم

يخرجونهم من النور الى الظلمات والله اعلم باسرار كلامه قوله عز وجل **وما لكم الا تنفقوا في سبيل الله ولله ميراث
السموات والارض لا يستوي منكم من انفق من قبل الفتح وقاتل اولئك اعظم درجة من الذين
انفقوا من بعد وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى والله بما تعملون خبير**
قرا القراء سوى ابن عامر وكلا وعد الله بالنصب على المفعولية لانه بمنزلة زيدا وعدت جملا وقرا ابن عامر وكل
بالرفع محتجا بان الفعل اذا تقدم عليه مفعوله لم يقع عمله فيه قوته اذا تأخر والدليل ان من قال زيد ضربت لم
يجب النصب مفعول ضربت فاذا تأخر المفعول ووقع بعد الفاعل يجعل اعرابه نصبا فكذلك في قوله تعالى وكل وعد الله
الحسنى يكون على ارادة الهاء وحذفها كما يحذف من الصفات والصلات واما معناه فقد حث سبحانه على الانفاق
الذي هو من الاعمال الحسنة الجامعة لتكميل الشخص وتهذيبه عن رذائل الاخلاق المنوطة بمحبة الامر الفاني مع
مصالح النوع اذ بالانفاق يتيسر امر تعيش الناس ويصرف في وجوه المصالح كتهيئة المجاهدين وعدتهم وحفظ
به الشريعة وقال وما لكم الا تنفقوا في سبيل الله اي اي شيء لكم في ترك الانفاق في طريق الحق والجهاد مع وسوله
مع كونه جزاء لانفاقكم ولغيركم والحال ان المال في معرض الزوال عنكم بحيث عن قريب اما بهلاك احدهما
او كلاهما في نفسه او في الآخرة ولله ميراث كل موجود في السموات والارض اذا الكل يفنى وهو يبقى فالله يرث
كل شيء منها من زاله عنه فمن اقبح العاقل ان يبخل بما يكون عارية ببيت من غيره وسينتقل اليه وهو باق بلا انفاق
الذي فيه صلاح له ولغيره فالآية من اعظم الحث وابلغ البعث على الانفاق ثم بين سبحانه مراتب المنفقين في
الفضيلة والاجر وتفاوت درجاتهم بحسب الانفاق في سبيله فقال لا يستوي منكم من انفق قبل فتح مكة وشوكة
الاسلام وكثرة اهله وقوتهم وفقد الحاجة الى القتال وقلة المقاتلين ومن انفق من بعد الفتح وحذف
لوضوح دلالة الكلام عليه وقرئ قبل الفتح واولئك المنفقون السابقون الاولون من المهاجرين والانصار الذين
انفقوا قبل الفتح وجاهدوا في سبيل الله اعظم درجة من الذين انفقوا بعد الفتح ثم سوى بين الجميع في الوعد
ومطلق الجزاء والمثوبة الحسنى وهو الجنة مع التفاضل في الرتب والدرجات والله سبحانه لكونه عالما لا يخفى
عليه شيء من الدقيق والجليل خبير بما تعملون من انفاقكم وجهادكم بحسب مجازاتها الاعمال والافعال ومراتب فضلها
بحسب الصعوبة والمشقة ودرجات شرفها بحسب النية والبصيرة والاخلاص والتربية **مكاشفة** واعلم انه

كما يتفاوت درجات المؤمنين بحسب اعمالهم البدنية واعمالهم الظاهرية قبل اتخاذ دعوة الاسلام و
ظهوره عزة وقوة اهله وبعد دخول الناس في دين الله افواجا وبعده كذلك يتفاوت درجات اهل الله واوليائه
معرفة بحسب سلوكهم الباطن فمنهم من يشهد معرفة الله ومهاجرتهم عن موطن النفس ابتغاء لوجه الله وجهادهم
مع اعداء الله واولياء الطاغوت تقربا الى الحق بحسب معارفهم وعلومهم الاعتقادية عن تحصيلها قبل الكشف فان
من كانت اعتقاداته حقة مطابقة لنفس الامر وعمل بموجبها من الانفاق والزهد والجهاد في سبيل الله قبل كشف
ومعاينة الحقايق الدينية بالموت الارادي فهو اعظم جلالة واعلى رتبة من الذين زهدوا في الدنيا وجاهدوا
مع النفس والهوى بعد ذلك اذ الانسان لو لم يكن مؤيدا من قبل الله تعالى بتاييد قدسي فهو يتساوى لما كان
حاله في ترك المشتهيات ومصادمة القوى النفسانية ومجاهدة الوساوس الشيطانية قبل كشف الغطاء وفتح مملكة
البدن من ايدي القوى الامارة لحاله بعده اذ الزهد الحقيقي والورع عن محارم الله صعب على الانسان وقت
الاحتجاب واما عند ظهور الحقايق معاينة فليس كذلك ويحتمل ان يكون في الاية اشارة الى تفاوت درجات
القوى التي للانسان وتفاضل بعضها عن بعض بحسب الصفا والكدورة والقرب من عالم القدس والبعد عنه فان
في العالم الصغير الانساني خلايق مختلفة وقوى متعددة بعضها ملكية شبيهة بضرب من الملائكة وبعضها
شبيهة بضرب من الشياطين وبعضها شهوية كالبهايم وبعضها غضبية كالسباع والجميع خلقت لتكون مطيعة
منقادة مسخرة للقوى العاقلة وهي مكلفة بالمجاهدة مع هذه القوى الجسمية الشهوية والغضبية والوهمية الفاسقة
الظالمة الكافرة ودفع معارضتها ومنازعتها مع القوة العقلية التي هي من اولياء الله اذ الكمالات بالعلم والعمل
فان من بعث من جانب الله لتسخيرها وارجاعها من متابعة الطاغوت الى متابعة الحق وعودها بالمجاهدة من
عالم الغرور الى عالم النور ومن معدن الكذب الى مقعد الصدق فالقوة العقلية التي ارسلت وخلقت من عالم
الملكوت مبعوثة على عالم البدن بجنوده وقواه مامور من قبل الله تعالى بمعاداة الشيطان ومطاردة حزبه
وجنوده لقوله تعالى يا ايها الناس ان وعد الله حق فلا يغرنكم الحيوة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور ان الشيطان لكم
عدو فاتخذوه عدوا انما يدعوا حزبه ليكونوا من اصحاب السعير فالانسان بقوته العقلية مامور باتخاذ
الشيطان وحزبه عدوا له وبالمناقضة معها والمغالبة عليها والحكم الغلبة عليها الا بتسخير القوى وهذا الامر

شيطانهم

الواجب المطلق الا به فهو واجب ولو تسخرها القوة العقلية مامورة من قبل الله بتسخير القوى البدنية وفتح هذه
البلدة المحروسة التي فيها بجنوده لم تزد هامن الاخلاق السليمة والصفات الملكية الحاصلة بتاييد سبحانه وا
في بعض الادميين وبجنوده منقادة لها من عالم الجسم والبدن وهي التي ليست من احد للقوة العقلية بعناية
الله ولطفه ليتسلط على المملكة والجنود فيصير القوى في جميع اوامرها ونواهيها طائعات وسالكات سبيل الله
مستقيمات بعد ما كانت عاصيات وتلك الاخلاق الحسنة كقوة الذكاء وسرعة التفكر والجود والكرم والعزم
والصبر والحلم والتوكل وغيرها مما يتفاوت ويتفاضل في الشرف بحسب انواعها المختلفة بالمجاهدة واشخاصها
المختلفة بالجهاد في المطاوعة والمتابعة ولو تفشيها وخليفة الله عليها في ارض البدن فلا يزال المطاردة والمقاتلة
بين جنود الملائكة وجنود الشياطين قائمة في معركة النفس الانسانية الى ان تفتح المملكة الادمية لاحدهما فليستوطن
فيها ويطرد الاخرى ويخرجها عن البلدة بحيث لا يكون لها الدخول فيها الا اجتيازا واكثر النفوس مما قد فتح
مملكتها البدنية وسخرها جنود الشيطان وملكوها فامتلأت بالوساوس الداعية الى ايثار العاجلة واطراح الاخرة
وقليل منها مما قد استوت فيها القوة العاقلة على القوى الشيطانية وسخرها فسلمت واطاعت كلمة الله و
امرها واجابت دعوة الحق وتحزبت مع ساير القوى السالمة المطيعة في حال طاعة ربهما المطلوبة منهما ومحمد
بامر الحق والنفس الانسانية لصفائها ولطافتها صالحة بحسب اصل الفطرة لقبول الاثار الملكية والشيطانية
تقلبها في النشآت وتطورها بالاطوار وتلونها بالالوان المختلفة كالاناء الزجاجي اللطيف الذي يتلون
بلون ما فيه كيف لو لم يكن لجام من الاطاقة وقبول الاثر لما يقبل كل صورة ولم يتنقش بكل نقش ولم يقبل اثار الملكية
ولم يتنقش فيها صور الحقايق الالهية فهي في اول الفطرة يصلح للاثار الحقة والباطلة صلوحا متساويا وانما
يترجح احد الجانبين على الاخر باتباع الهوى والشهوات او الاعراض عنها فان اتبع الانسان مقتضى شهوته
وغضبه ظهر تسلط الشيطان بواسطة اتباع الهوى والشهوات بالاوهام والخيالات الفاسدة الكاذبة وصار
المملكة اقطاع الشيطان وصار القلب عشه ومسكنه والحق من بعده وعدم مناسبة ما بينهما وان جاهد الشهوات
ولم يسلطها على نفسه فقابل بصفوف جنود الملائكة صفوف جنود الشياطين فيقابل الصفان ويقاتل الجندان
ويتدافع الحزبان فدفع كل من حزب الله ما يقابله من حزب الشيطان فبقوة البرهان اليقيني بوجود النشاة الباقية

عارض الاوهام الكاذبة والظنون الباطلة الداعية الى الشهوات والركون الى زخارف الدنيا والاخلاد الى
ارض البدن والاقتصار على هذه النشأة الزائلة وبقوة الصبر عارض الهوى وبقوة الخوف عن سوء العاقبة
عارض الامن من مكر الله وبقوة الرجاء عارض القنوط من رحمة الله وبالعزيمة طرد الكسل وهكذا ايدفع بكل جند
من جنود الرحمن جندا يقابله من جنود الشيطان حتى تنفتح القوة العاقلة اول بيت وضع للناس للذي ببكة
الصدر واول معبد ومسجد وضع للقلب الحقيقي ببكة الصدر المعنوي الذي هو منزع القوى المتوجهة الى
وهذا هو المسجد الحرام ودخوله على القوى المشركة الطبيعية الدهرية لقوله تعالى يا ايها الذين آمنوا خطابا للقوى
الذي انما المشركون من القوى الطبيعية نجس لمباشرتها الارجاس البدنية والقاذورات بالاحاطة والهضم
والنقل من موضع الى موضع فلا تقربوا المسجد الحرام وهو معبد القلب المتنور بنور المعرفة والاخلاص بعد عامهم
هذا اى عام الفتح وبعدما ندوا ان ختم من منعها عن الدخول فيه عيلة من عدم فعل الغاذية وعجزها فسوف يغنيكم
الله من فضله ان شاء بان يحصل لكم التقوت بالمعرفة والاستغراق في شهوده بحيث لم يبق لكم كثير حاجة الى فعل
هذه القوى كما يحصل لاهل الله وقوله تعالى ما كان للمشركين ان يعمروا مساجد الله شاهدين على انفسهم بالكفر لكونهم
جسمانية والتجرد شرط الايمان والمعرفة اولئك حبطت اعمالهم وفي النار هم خالدون انما يعمر مساجد الله بالذكر
والعبودية من آمن بالله واليوم الآخر واقام الصلوة اى ذكر الله وآتى الزكوة اى من الاخشا التي يقصر فيه تزكيتها
بتحليلها بالرياضات والعبادات في سبيل المعرفة ولم يخش الا الله لكونها ما بدا وانما يخشى الله من عباده العلماء فعسى
اولئك ان يكونوا من المهتدين الى طريق الآخرة وعالم القدس اجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام اللتان هما
فعل الغاذية والنامية اذ القوة الطابعة تكنس البيت الحرام في مسجد الصدر وانما تتقوى من فعل الغاذية وجعلتم
هذا المسجد انما يعمر بفعل النامية كمن آمن بالله واليوم الآخر وهي القوى العقلية وجاهد في سبيل الله بمحاربتها ومنعها
للواهمة ووساوسها الشيطانية لا يستوون عند الله والله لا يهدي القوم الظالمين الذين آمنوا وهاجروا من موطن الجسمية الى
الى عالم التجرد والملكوت وجاهدوا في سبيل الله باموالهم وانفسهم من المواد البدنية والقوى المحولة لها اعظم درجة
عند الله واولئك هم الفائزون يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم خالدين فيها ابدا ان الله عنده
اجر عظيم وكان الله قد يستعين المجاهدون في مجاهدة طائفة من الكفار بطائفة اخرى منهم كذا السالك في مجاهدة النفس

يقع

يقع نظره كما يدفع الافتنان بصورة الشهوة بالغضب فان بالغضب يكسر الشهوة كما ينهزم الخنزير من الفهد
فالحكيم يكسر ثائرة شره هذا الخنزير بتسليط الكلب عليه ومن يدفع ضراوة هذا الكلب بتسليط الخنزير عليه
ليجعل الكل مقهورا تحت سياسته متحرزا في سلك عباد الله الصالحين ويظهر العدالة في مملكة البدن ويجري الكل
على الصراط المستقيم اذا تحقق ما ذكرناه فنقول ان القوة العاقلة التي هي خليفة الله في مملكة البدن اذا
غلبت بجنودها التي هي من حزب الله هي كالمعرفة والتقوى والزكاة والصبر وغيرها على القوة الوهمية وجنودها
وخوادمها التي هي من جنود الشيطان في اول الامر وزمان الجاهلية الاولى وصارت مسلمة بيدها مقهورة
تحتها اذا جاء نصر الله والفتح اياها ودخلت ساير القوى في دين الله الذي هو طريق معرفة الحق والعمل بمقتضاها
افواجا عند هذا الفتح المعنوي الذي هو عبارة عن مشاهدة حقائق الاشياء كما هي فبعض هذه القوى منذ
صحبت القوة العاقلة بتحصيل حصول الكشف والشهود كانت مطيعة لاوامرها خادمة للقوة العاقلة الموقع
باوامرها منتهية بنواهيها متفقة بطاعتها البدنية وحملها للطويات انها الرحمانية الحاملة في طريق التفكر
في آيات الله وسبيل ملكوته والمجاهدة مع كثرة الاوهام الكاذبة الفاسدة وبعضها كانت عاصية اياها
بعد متمردة من اوامرها ونواهيها فلحقت بقوة الاسلام واطاعت اوامر الله واتفقت في طريق المعرفة بالمجاهدة من المواد
الجسمية وجاهدت في سبيل الله وعارضت مع الكفرة والظلمة والفسقة فهي بالاصحاب طاعة الحق قبل
الولاية المعنوية والولاية الحقيقية فهي اعظم اجرا واجل رتبة من ساير القوى واقربها الى افق المجردات
النورية وكل من هذه الجنود والقوى لما استحقت الحضور من عند الله والمثوبة اذ اسلمت وصارت مسخرة
للقوة العاقلة ثابتة في طاعتها لاوامرها ومتابعتها اياها في سلوك اليه تعالى واستنارت بنور المعرفة و
اهتدت بها بحيث فان قلت هذه القوى جسمانية قائمة بجوهر المادة العنصرية فهي داثرة هالكة بموتها وفي تعب
خراب البدن فانى يكون لها المثوبة والسعادة قلت هذه القوى البدنية الداثرة ادراكية كانت كالحواس و
تحريكية كالشهوة والغضب كلها اظلال واثار للقوى والمشاعر التي هي في ذات القوة العاقلة فان هاهنا
ذاتها سمعا وبصرا وذوقا وشما ولمسا من وجود الحاجة الى البدن وكذا الهالا ذاتها محبة وقهرا وقبضا وبسطا
وبدا معنوية وجوارح روحانية وهذه تمثيلات للعقليات والآثار فتلك وكان الحواس البدنية كلما ترجع الى

ويجري الكل على الصراط المستقيم اذا
تحقق ما ذكرنا نقول ان القوة العاقلة
التي هي خليفة الله في مملكة البدن

حاسة واحدة هي الحس المشترك فجميع حواس النفس ترجع الى قوة واحدة هي قوتها النظرية التي بها تنال
المعقولات وتتصرف فيها وتحضرها عند العقل بقدرتها التي لها في ذاتها من دون البدن الا ترى ان الانسان
في حالة النوم التي تشبه حالة الموت في تعطل الحواس البدنية يبصر ويسمع ويذوق ويلمس ويتحرك مع ان حواسه
الظاهرة وكثيرا من قواها العملية معطلة عن الادراكات والافاعيل فللنفس الانسانية قوى وخوادم وذواتها
وجنود معنوية والات روحانية باقية معها في النشأة الاخروية وكما ان لها في الدنيا صورا واشكالا وهيئات
يناسبها فكذلك لها يحشر يوم القيمة ويظهر بصور وهيئات مناسبة لصفاتها واعمالها حين تشهد عليهم سمعهم و
ابصارهم وجلودهم والسنتهم وايديهم وارجلهم بما كانوا يعملون قوله عز وجل **من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا**
فيضاعفه له وله اجر كريم قرئ فيضعفه وقرئ بالنصب على جواب الاستفهام وبالرفع عطفا على يقرض او على
الخبر اي فهو يضاعفه قد شبه تعالى الانفاق في سبيله بالقرض الحسن فاطلق هذا اللفظ عليه مجازا لعلاقة اشتراك
من اعطاء شيء واخذ شيء لغرض الاخذ [illegible] ليعطيه الله اجره على انفاقه مضاعفا باضعاف من جهته
وجوده وله اجر كريم في نفسه وقد ينضم اليه الاضعاف **مكاشفة** القرض الحسن عند اهل الله والعرفاء
انفاق الانسان في طريق معرفة الله وسبيل ملكوته والتفكر في الايات جوهرية مواده الدماغية وارواحه النفسانية
وقواه الطبيعية التي هي اعز من نقود هذه البلدة واجناسها ليعوض عنها ويحصل في قلبه من نفائس [illegible] العزيزة
وشرائف نقود المعارف الالهية التي [illegible] الانسان [illegible] الاخرة واغنياها [illegible] الاشياء والادراك
مخلصا من بحر الحرص والحرمان [illegible] اسباب المعرفة والعبادة للناس
[illegible] الاكياس [illegible] هذا القرض الحسن [illegible] بتضعيف اجرهم واجرائهم هذا الاجر
كريم في نفسه لان المعارف الالهية جليلة عظيمة لان شرف العلم وكرامته بنسبة شرف المعلوم وكرامته واشرف
الوجود ما هو اكرم واشرف من ذات المعبود وصفاته واسمائه وافعاله فالسعي في طريقه وصول والانفاق في
ابتغاء وجهه يكون شريفا كريما لان وسيلة الشيء يناسبه قوله عز وجل **يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى**
نورهم بين ايديهم وبايمانهم بشريكم اليوم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ذلك هو الفوز العظيم
الظرف متعلق بقوله وله اجر كريم او منصوب بتقدير اذكر تعظيما لذلك اليوم فعلى الاول معناه [illegible]

الاجر

الاجر الكريم اليهم يوم القيمة وهو يوم يسعى للمؤمنين نورهم بين ايديهم وبايمانهم الى الجنة فان الطريق الى الجنة
للمقربين انما يكون على الوجه الاعلى لانها عقلية واقعة في سلسلة الاسباب العودية الى وجود الانسان
يسلكها العالم الرباني مرتقيا اليها بانوار المعارف العقلية والى الجنة السعداء على الوجه الثاني لانها
واقعة في السلسلة العرضية المعلولية فيتوجه اليها اهل النسك والصلاح واصحاب اليمين منقطعا اليها
بنور العبادة وقوة الاعمال الحسنة وهذا المعنى قبل اليمين طريق الجنة وقد صرح بعض اهل الكشف والعرفان
بان البرزخ الذي يكون الارواح فيها بعد المفارقة من النشأة الدنياوية غير البرزخ الذي بين الارواح
المجردة والاجسام لان مراتب تنزلات الوجود ومعارجه دورية لكنهما يشتركان في كونهما عالما روحانيا وموطنا
ملكوتيا فان السعداء [illegible] صحائفهم [illegible] كما ان الاشقياء يؤتون [illegible]
ووراء ظهورهم وقوله بشريكم [illegible] اي يقول لهم الملائكة الذين يتلقونهم بشريكم
اليوم وهذه للملائكة المبشرين بالجنات مختلفة الدرجات في القرب اليه تعالى حسب تفاوت منازل اهل الجنان
في القدس والحذو مع اتفاقها في اصول الحقائق وصورها [illegible] جنات تجري من تحتها الانهار
خالدين فيها ذلك هو الفوز العظيم اي الخلاص عن كل مرهوب والظفر بكل محبوب فان كل واحد من اهل الجنان
لما اشتهيه ووصل اليه همته الا ان الهمم متفاوتة حسب تفاوت الاحوال قال ابن عباس رضي الله عنه
النور يكون على الصراط وقيل في عرصة القيمة [illegible] الانوار الايمان والطاعة وكل يعطي نورا على قدر
عمله **مكاشفة** هذا النور المشار اليه في هذه الاية هو نور المعرفة واليقين فان النفس الانسانية من عالم
النور والمعرفة لكنها بسبب التعلق بعالم الاجسام الكثيفة صارت ظلمانية محجوبة عن الادراكات فاذا ارتقت
ذاتها بالرياضات الدينية والاعمال الشرعية من الافكار والاذكار والعبادات وخرجت من مرتبة القوة الهيولانية
الى مرتبة الفعلية حصل لها العقل المستفاد وهو نور [illegible] ويضيء في المعاد نورا على نور وهذا
النور العارض انما يقذف في قلب المؤمن من عالم الملكوت بسبب اكتساب العقليات واليقينيات الحقة
عند تصورها الخبر الحقيقي او بسبب اكتساب الاعتقادات المحمودة والظنون الحسنة عند تصوره الخبر المظنون
فالاول نور عقلي يختص بالمقربين يسعى بين ايديهم ويصعدهم الى جوار الله وجنات المعارف العقلية

قيل في وصفها ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر والنور الآخر يختص بعضهم من
السعداء يسعى بايمانهم ويذهب الى الجنات جسمانية منورة غايتها بتصور فيها انهم في حجتهم من الصفا
والنورية والضياء واشراق نور كل احد بقدر قوة معرفته وايمانه وهذا وقع في الاخبار ان نور الابرار
والاخيار مختلفة في الاضاءة والانارة قال قتادة ان المؤمن يضيء له نوره كما بين عدن الى صنعاء ودون
ذلك حتى ان من المؤمنين من لا يضيء له نوره الا موضع قدميه وقال عبد الله بن مسعود يؤتون نورهم
على قدر اعمالهم فمنهم من نوره مثل الجبل وادناهم نورا نوره على قدر ابهامه قدميه فيضيء مرة ويطفى
اخرى فاذا اضاء قدم مشى واذا اطفى قام وهكذا كانت الحركة والادراك ملازمين لقوله تعالى كل نفس
معها سائق وشهيد فالاول اشارة الى قوة التحريك والثاني اشارة الى قوة الادراك ثم على الادراك
حركتنا سيدهم نورهم على الصراط على قدر نور ايمانهم ومن كان نوره كالشمس كان مروره كطرفة العين في
من كان نوره ما دون ذلك كان مروره على قدر نوره فمنهم من يمر كالبرق ومنهم من يمر كالسحاب ومنهم كانقضاض
الكواكب ومنهم من يمر كشد الفرس والذي اعطي نوره على ابهام قدمه يحبو على وجهه ويديه ورجليه
يجر يدا ويعلق اخرى ويجر رجلا ويعلق اخرى ويصيب جوانبه النار فلا يزال كذلك حتى يخلص وهذا ايضا
تفاوت ناش من تفاوت المعارف ولذلك جاء في الخبر انه تعالى يخرج يوم القيمة من النار من في قلبه مثقال من الايمان ونصف
مثقال وربع مثقال وشعيرة وذرة كل ذلك تنبيه على تفاوت درجات الايمان بحسب قوة اليقين واثره في
سرعة التقطع والتخلص بمجاهدة واسراع وان هذا للقادر من الايمان لا يمنع دخول النار وقال بعض
العلماء في مفهوم هذا الخبر ان من ايمانه يزيد على مثقال فانه لا يدخل النار اذ لو دخل لامر باخراجه اولا
وان من في قلبه مثقال ذرة لا يستحق الخلود في النار وان دخلها وقوله تعالى وانتم الاعلون ان كنتم مؤمنين
تفضيل للمؤمن العارف على المسلم وهو المقلد مع سلامة قلبه عن النفاق واما قوله تعالى يرفع الله الذين
آمنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات فاراد ههنا بالذين آمنوا الذين صدقوا تقليدا من غير علم ببرهان
او كشف وميزهم عن الذين اوتوا العلم ويدل ذلك على ان اسم المؤمن يقع على المقلد وان لم يكن تصديقه عن
بصيرة وكشف وفسر ابن عباس قوله تعالى اوتوا العلم درجات قال يرفع العالم فوق المؤمنين بسبعمائة درجة

والذين م

بين كل

بين كل درجتين ما بين السماء والارض وقال صلى الله عليه وآله اكثر اهل الجنة البله وعليون لاولي
الالباب وقال صلى الله عليه وآله فضل العالم على العابد كفضلي على رجل من اصحابي وفي الكتاب الكافي عن ابي عبد الله
قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله فضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر النجوم ليلة البدر
هذه الشواهد يتضح بها تفاوت درجات اهل الجنان بحسب تفاوت قلوبهم في الاشراق والكدورة
ملخص القول ان اكتساب العلوم الحقة وفعل الحسنات في الدنيا ينتج تقرر الاخلاق والملكات ورسوخ
المعارف والاعتقادات والمعرفة اذا اشتدت صارت مشاهدة عند رفع الحجب بالموت فمشاهدة
كل احد بقدر معرفته وهي المراد من النور الا ان المعارف اليقينية الدائمة البرهانية تورث المشاهدات
والمكاشفات العقلية في جنة الكاملين في العلم والمعارف الظنية الخيالية تورث المشاهدات الجسمانية
في جنة اصحاب اليمين والصور الحسان التي فيها انما هي بمنزلة تمثالات وعلامات لما في الجنات
العلى لان العوالم متطابقة والنشآت متوافقة مع تفاضلها في الشرف والرتبة قوله تعالى وللآخرة اكبر
درجات واكبر تفضيلا قوله عز وجل يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا انظرونا نقتبس من نوركم قيل
ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب ينادونهم
الم نكن معكم قالوا بلى ولكنكم فتنتم انفسكم وتربصتم وارتبتم وغرتكم الاماني حتى جاء
امر الله وغركم بالله الغرور فاليوم لا يؤخذ منكم فدية ولا من الذين كفروا
مأواكم النار هي موليكم وبئس المصير
قرا حمزة انظرونا بقطع الهمزة وفتحها وكسر الظاء من النظرة وهي الامهال اطلق على الاتئاد والتبطي في المشي
للحوق الى ان يدرك المتاخر المتقدم وقرا الباقون انظرونا بهمزة الوصل المضمومة اي انتظرونا لانهم كالبرق
الخاطف مسرع بهم على ركاب تدف وهؤلاء مشاة حفاة بجشة السير اي انظروا الينا وتستقبلكم
بوجوهكم فنستضيء بكم لان النور قدامهم فيحصل الاقتباس منهم عند المواجهة وقرا ابو جعفر
وابن عامر ويعقوب لا تؤخذ منكم بالتاء لتانيث الفاعل وقرا الباقون بالياء للفصل الواقع
بين الفعل والفاعل ولان التانيث غير حقيقي وقرا الغرور بضم الغين معناه الاغترار بتقدير المضاف

الاغترار اى سلامة

اى وعدكم بالله سلامة حالكم مع اغتراركم وقال الزجاج الغرور كل ما غرك من متاع الدنيا وقوله يقول بدل
من يوم ترى بعضه لدالبوم يوم يقول اهل النفاق للذين امنوا ظاهرا وباطنا انظرونا او انتظرونا
نقتبس من نوركم ونبصر الطريق فنخلص من هذه الظلمة فان المنافقين اذا خرجوا من قبورهم اختلطوا
في قبورهم فيسرع المؤمنون بقوة ايمانهم فيبقى عند المنافقون عنهم بالتخلف فيقطع نورهم عنهم قيل ارجعوا
وراءكم القائل اما المؤمنون او الملائكة الهادين لهم ارجعوا الى الموقف خلفكم فالتمسوا هنالك النور
حيث اعطيناه فمن ثم يقتبس فيرجعون فلا يجدون نورا فظنهم انهم اخذوا النور من موضع هنالك
ولا يعلمون ان هذا النور يكتسب في الدنيا بتحصيل سببه وهو الايمان بل هذا النور هو نفس الايمان والمقر
يظهر اشراقه عند القيامة وقولهم ارجعوا توبيخ في صورة الامر لاستحالة هذا الرجوع والتماس او ارجعوا
تهكما خائبين فالتمسوا اخر فلا سبيل لكم الى هذا النور وهو اقناط وتخييب لهم لانهم يعلمون ان لا نور
وراءهم ويحتمل ان يكون للمنافقين رتبة ضعيفة من النور غير كافية للمشي الى الجنة وهم يدعون الزيادة فو
المنع لهم من المؤمنين ليس لكم الا ما اكتسبتم من خلفكم اى الدنيا فارجعوا من هذا الاطلاع الى ما وراءكم فالتمسوا
نورا من عملكم واكتفوا به فيكون امرا تحقيقيا فضرب بينهم اى بين الفريقين بسور والباء مزيدة اى
بحاجز حائل بين شق الجنة وشق النار وقيل هو حائط بين الجنة والنار وقيل هو الاعراف له باب اى لذلك السور
وقيل اى طريق لاهل الجنة يدخلون منها باطنه الجنة او الباب الذى يلي الجنة فيه الرحمة وظاهره الذى
يلي اهل النار من قبله اى من عنده ومن جهته العذاب وهو الظلمة والنار ينادونهم اى ينادى المنافقون المؤمنين
الم نكن معكم في الدنيا في المنازل والمساجد نصلي كما تصلون ونصوم كما تصومون بناء على انهم وافقوا المؤمنين
في الاعمال الظاهرة من الصلوة والصيام ونحو ذلك قالوا بلى كنتم معنا في ظواهر الاعمال دون بواطن النيات و
العقائد ولكنكم فتنتم انفسكم اى محنتموها بالنفاق واهلكتموها وقيل اثمتم وتربصتم اى انتظرتم بالمؤمنين الدوائر
او بالنبي صلى الله عليه وسلم كما قالوا نتربص به ريب المنون وقيل [illegible] الا وقت بالايمان بالله ورسوله على الاخلاص وقيل اخر
تم التوبة وارتبتم اى شككتم في حقيقة الاسلام او في البعث وغرتكم الاماني الكاذبة والامال الطويلة حتى جاء
امر الله وهو الموت والبعث وغركم بالله الغرور اى الشيطان بان الله لا يعذبكم انه عفو كريم ولم يفتقوا ان

... العذاب بحسب جهدهم ويقع بسببهم او الاغترار والطمع في الدرجات الاخروية من غير سعي كما حكى الله عن
بعضهم ولئن رددت الى ربي لاجدن خيرا منها منقلبا فاليوم لا يؤخذ منكم فدية اى ما يفتدى به ولا من
الذين كفروا مجاهرة بالكفر مأواكم النار هي مولاكم اى هي اولى بكم كما في قول لبيد فغدت كلا الفرجين تحسب انه مولى المخافة خلفها وامامها
او هي ناصركم اى لا ناصر لكم سواها والمراد نفي الناصر على القطع من هذا القبيل قوله تعالى يغاثوا بماء كالمهل ونحو قول
العلماء الحق نعم موجود لذلك [illegible] اى ترى لا نعيم ولا [illegible] وقيل تتولاكم كما توليتم في الدنيا اعمال اهل
النار **مكاشفة** اعلم ان الدرجات الاخروية اعدد كلها بتوزيع على الحسنات والسيئات فان مبادى احوال الاخرة
احوال الدنيا عبارة عن حال ما قبل الموت والاخرة عبارة عن حال ما بعد الموت وقد [illegible] الله فيه الدنيا و في الاخرة
صفات [illegible] واحوال التي [illegible] والمتاخرة اخرة [illegible] الاخرة والانتقال
من الاولى الى الاخرى كالانتقال من الحصول الى المعلوم وهذا المعنى قيل من مات فقد قامت قيامته [illegible] الاخرة نشأة
علمية وكان في هذه الى العلوم غايب والمحسوس حاضر وفي يوم الاخرة على عكس ذلك يظهر الغايب ويخفى الظاهر
لانها يوم تبلى السرائر ونحن الان [illegible] في هذه النشأة الدنيا الحسية من النشأة الاخرة العلمية ولا يتصور
النشأة الاخرى العلمية لمن هو في عالم المحسوس من حيث هو في عالم المحسوس الا بالمثال فان من تفطن بالعقليات فهو
انما يعقلها من حيث كونه في عالم المعقول [illegible] وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون و
هو الان في هذا العالم نوم بالاضافة الى ذلك العالم كما قال الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا وما سيكون في اليقظة
لا يبين في النوم الا بضرب الامثال المحوجة الى التعبير كذا ما سيكون في يقظة الاخرة لا يبين في نوم الدنيا الا في كسوة
الامثال على طرز ما يثبت في علم التعبير فان التعبير من اوله الى اخره [illegible] علم طرق ضرب
الامثال ولهذا ليس للانبياء عليهم الصلوة والسلام ان يتكلموا مع الخلق الا بضرب الامثال لانهم كلفوا ان يكلموا الناس على
قدر عقولهم لانهم في النوم والنائم لا يكشف له شيء الا بمثل فاذا ماتوا انتبهوا وعرفوا ان المثل صادق ومعنى
بالمثل اداء المعنى في صورة ان نظر الى معناه وجده صادقا وان نظر الى صورته وجده كاذبا فاذا عرفت هذا فنقول
هذه الاية مثال [illegible] بسوء عاقبة حال اهل النفاق ووخامة مال المغرورين من الجهال المتشبهين باصحاب
الكمال لانهم لاشتغالهم بظواهر اعمال الحسنة الممدوحة عند الجمهور كمدارسة العلوم وفعل الطاعات ظنوا انهم

على باختيارهم مع ذلك من الحق الا شرادهم عند انفسهم من المقربين وفي نفس الامر من الجهال الناقصين
والله يشهد انهم لكاذبون وذلك لانهم لم يراقبوا قلوبهم ولم يجردوا اعمالهم من الاغراض الدنياوية والشهوات النفسية
فاذا انكشف الغطاء وانقشع الاشتباه والمغالطة ظهرت قلوبهم من انوار المعرفة خالية وايديهم من آثار الهداية صفر
وهم في ظلمة الجهل والاغترار معرضون وفي مضايق عالم الجهل محبوسون لا ينكشف لهم من طريق الحق موضع قدم
لفقد نور البصيرة عنهم اصلا لكلال باطنهم وقوة السلوك اليه رأسا وذلك لعدم قصدهم وتوجههم شطر الحق
خالصا اما الاولون فلم يدركوا الا اعتقادات مصححة تعصبية مبتنية على اغراض نفسانية ترسخت في
قلوبهم وصارت سابقة مؤكدة لان طباعهم كانت البقية الباقية في مبادي النشو انبثت وقامت وصار معلميهم من اهل الظن
في اوائل التعليم فصارت حجابا لهم عن ادراك الحقايق للفقر فيقولون انها مستثنية لا دخل فيها والعلوم انها مرتع العلم
حتى لم يكن المعبود في التصور معبودا حقا لم يكن العبادة له عبادة الحق فلم ينتج ذهابا اليه وتقربا بل انه فقد قوله
سبحانه انظرونا نقتبس من نوركم مثال الحال بعض المشبهين بالعلماء من اهل الظاهر حيث اشتبه عليهم احوال حجب
جمود حرارة الشهوات والاغراض الدنياوية وانطفاء انوار الحواس وخطور القوى على افتقاد نور المعرفة ووجود
اليقين في قلبه ومع ذلك مغرور من جهة انه يظن انه بادر الى اشتغال التعلم وطلب استفاضة انوار المعارف من
حاملها من العلماء على الحقيقة بصيرة ذا علم ومعرفة ونور عظيم فيتوجه بحق المؤمنين حقيقة والعلماء حقا منتظرا لهم
وامرهم بالتوجه اليه والالتفات نحوه قائلا انظرونا نقتبس من نوركم ظنا منه ان ذلك منة عليهم لا انه من جملة
المعتبرين عند نفسه وعند بعض الحمقى الجاهلين فالعلماء حق الحسن ارشادهم وغاية اشفاقهم على الناقصين
يهدونهم طريق السلوك الى الحق ويرشدونهم الى كيفية استفاضة المعارف بان كلا يسلكون السبل الاقربية وسواء
انما هو بتهيئة مبادي ومقدمات لا يمكن التفطن لها الا بمشقة الا بعد التفطن بها سواء كان بمجرد حركة عقلية
كما هو طريقة الانبياء والاولياء وذوو الابصار او بفكر وحركة بطيئة كما هو طريقة العلماء والنظار واهل الاعتبار
وقبل الخوض في العقليات واستحصالها يجب الاشتغال بعلم الفقه والنحو والصرف وعلم الاخلاق وعلم الحلال والحرام
ومن لم يحصل شيئا منها على وجه مع بينة تامة وما لزم العمل لا يمكنه الدخول في نقد الاسرار وعلم الانوار والعلم
وأتوا البيوت من ابوابها فقوله سبحانه قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا اشارة الى هذا الحال ومن هذا القبيل ما حكاه

[illegible]

اقتناعهم

الله سبحانه عن حال الجاهلين المغرورين من اصحاب النار واستغاثتهم للعارفين من المطلعين والروحانيين الذين هم
الجنة م

من اصحاب الجنة بقوله سبحانه ونادى اصحاب النار اصحاب الجنة ان افيضوا علينا من المعارف والانوار مما رزقكم الله اي من
ماء المعارف الالهية التي بها يكون الحيوة الاخروية العقلية او شيء من سائر العلوم العقلية التي رزقكم الله تعالى
من ابوابها لكمال وصالهم قالوا ان الله حرمهما على الكافرين الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا وغرتهم الحيوة الدنيا فاليوم
ننسيهم كما نسوا لقاء يومهم هذا وما كانوا بآياتنا يجحدون ومثال هذه الحكاية ان رجلا تجاهل الجهال الذي
كان بليدا في اصل الفطرة فاشتغل في ايام عمره بشيء من العلوم التي لا يسمن ولا يغني ثم تصدى الامور الدنياوية
كالقضاء وتولية الاوقاف وغيرهما من الاعمال التي يتقلده المتشبهين باهل العلم في اكثر الازمان من غير
استيهال ووجد الشيخ الجاهل البليد يتعلم بعض من المقدمات شيئا يعود عليه في اكتساب العلوم اليقينية ولا
يمارس المقاصد الالهية اصلا فيقول العالم الرباني الذي انت من فنون من العلوم العقلية وعجزها افيض
على قليلا من دقايق علوم الالهية فيقول ان الله حرمهما على الجاهلين معناه ان الاستعداد لقبولها انما يكتسب
بذكاء اصلي وممارسة طويلة بعد تعلم ما يتوقف عليه من العلوم الآلية وعجزها مع اخلاص النيات وتنزيهها
من الحسد والمكر والبغي الاغراض الشهوية والغضبية والشيطانية واذا بطل الاستعداد وفاتت المناسبة
الاصلية فاتت الاستفاضة وحرمت كما لا يحصل افاضة العقلية على اجسام البهايم والسباع التي لا شغل
لها سوى طاعة الشهوة والغضب التي امرها بنفوسهما لان الناطقة التي جذبت القوة الشهوية منزلتهما منزلة
البهايم المطيعة لنفوسهما بل انزل منهما رتبة كما بيناه في تفسير قوله تعالى اولئك كالانعام بل هم اضل سبيلا وما في
تفسير بعضهم [illegible] الى آخره ومثال الصورة الشرعية الحقة التي ظاهرها حسن يحجر الناس على القاصد
العقايد الباطلة والاعمال القبيحة ومن تفرق اهواء المضلين والشياطين من اهل البدع والمذاهب الجاهلية
وباطنها اسرار حقة وانوار محضة بها يصل العبد الى رحمة الله ورضوانه فالشريعة سوط الله بها يسوق عباده
الى رضوانه فمن نظر الى صورة السوط الذي لاجل تاديب المستعد من لم يرشد الاعتناء بايهم ومن نظر الى الغرض
المكنون في باطنه يعلم انه محض الشفقة كذا ان اغتر بظواهر الشريعة من عند التدبر في اسرارها وحقايقها لم يرفعها
الا تعب الجوارح ورياضة الجسد الموجب لطلاب الاعيان الاسير الفكر الموجب لزيادة النور في قلوب العقلاء فتنقل

عليه جملها والعمل بالعدم اطلاعه على المقصود منها اولا ترى الى الصلوة وانها لكبيرة الا على الخاشعين فانها قرة
عيونهم كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله وجعلت قرة عيني في الصلوة ظاهرها يرى لسلمان بنيه باطنها بره احكامه
بنيه وما قوله تعالى الم نكن معكم حكاية الحال المنافقين المغترين باعمالهم التي يعاونون اعمال المستبصرين في الصورة
الا انها كانت مشحونة بانواع الاغراض الشيطانية والشرك الخفي من طلب الجاه والمنزلة عند الناس والتفوق على اهل
الله لسبب التقرب الى الظلمة والامراء وتعجيبهم من تخلفهم عن ارباب الرجال وسلوكهم طريق الصلاح تواضعهم مع هؤلاء
في الافعال والاعمال وقوله تعالى قالوا بلى ولكنكم فتنتم انفسكم الى آخر الآية كشف عن فضايحهم وايضاح احوالهم
وهتك استارهم لان الآخرة يوم الحساب ويوم تبلى السرائر اي جعلتم انفسكم بسبب مباشرة تلك الاعمال محنة
تفتنون الاغراض الدنيوية والحظوظ الشهوية حالا او مالا كالذ الطالبين الها الوهمي ومنها كحفظ الرياسة الخيالية والبسط
في البلاد والشهرة عند العباد وتربصتم الفناء والهلاك ولو ضرا المؤمنين فكم ولم يصدقكم في اذاكم المرجلة
ولم يمكنكم في طلب الترفع وان كانوا على الحق واضمرتم النفاق والعناد لاهل الحكمة والمعرفة وهم المؤمنون حقا
وشككتم في دينكم مذ كنتم لتصادم الشكوك وتعارض الادلة التي لا يخلص منها الا المخلصون وهم على خطر عظيم
وخوف ووجل شديد وغرتكم الاماني التي منتها طواهر الاعمال وغركم بالله الشيطان وشركه وحبائله وجنده
وغروره اكثرها العترى المنتسبين الى العلوم الدينية من غير تهذيب الباطن عصمنا الله واخواننا المؤمنين
حيث ما كانوا وعلى ما ذكر يكون شديد المناسبة لقوله عز وجل أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ
اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ
عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ قرأ نافع وما نزل بتخفيف
الزاي والباقون بالتشديد فعلى الاول يكون الموضوع ضميرا عائدا الى الموصول وعلى الثاني وهو عائد الى الله والعائد
الى الموصول ضمير منصوب محذوف عن الصلة فقري وقرس ولا يكونوا بالتاء على الالتفات وعلى النهي عن مماثلة اهل
الكتاب في قسوة القلوب والباقون بالياء عطفا على تخشع الم يأن من انى الامر يأني اني اذا جاء اناه اي وقته
اي والخشوع لين القلب والانقياد للحق ومثل الخضوع والقسوة غلظ القلب بالجفاء عن قبول الحق والتمادي عا
الى العقل السليم من الاغراض النفسانية وهو الذي من علامه يجي ومن على بخلافه هل وهذه الآية ترجمان هذه الآية

نزلت

نزلت في المنافقين بعد الهجرة لسنة وقيل انها نزلت في المؤمنين قال ابن مسعود ما كان بين اسلامنا وبين
ان عوتبنا بهذه الآية الا اربع سنين فجعل المؤمنون يعاتب بعضهم بعضا وعن ابن عباس ان الله استبطأ
قلوب المؤمنين فعاتبهم على راس ثلث عشرة من نزول القرآن بهذه الآية وعن الحسن اما والله لقد استبطأهم
وهم يقرؤن من القرآن اقل مما تقرؤن فانظروا في طول ما قرأتم منه وما ظهر فيكم من الفسق وقيل كانت الصحابة
بمكة مجدبين فلما هاجروا اصابوا الرزق والنعمة سنين ففتروا وتغيروا عما كانوا عليه وينبغي للمؤمن ان
يزداد يقينا واخلاصا في طول صحبة الكتاب والمعنى اما حان للمؤمنين اي المتسمين بالايمان ان تخشع قلوبهم
وترق لذكر الله ما يذكرهم الله وصفاته وافعاله وكيفية تكونه مبدء العباد ومعادهم يوم الميعاد
وما نزل من الحق من الآيات والنذر القرآنية والمراد من الخشوع لها خشية القلوب عند ذكر الله وتقوى ايمانهم
عند تلاوة الآيات كقوله اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا ومن شدة
فالمراد ما نزل الله من المعارف والحقوق ولا يكونوا كاهل الكتاب الذين كانوا في العهد الاول فطال عليهم الامد اي
الزمان بينهم وبين نبيهم او الامد للجزاء اي لم يعاجلوا بالعقوبة او بمجيء القيمة وقيل في امتداد الوقت الاطول
فغروا بذلك فقست قلوبهم اي غلظت وجافت وكثير منهم فاسقون خارجون عن دينهم منحرفون عن المعا
معاندون بما فكانوا بحيث لا ينفعهم نصح الانبياء ولا ينجع فيهم وعظ الواعظين ومن لا ينفعه في الدنيا نصح
الناصحين لا تنفعهم في الآخرة شفاعة الشافعين فلا تكونوا مثلهم فيحكم الله فيكم بمثل ما حكم فيهم ويحتمل
ان يكون هذا الخطاب متوجها الى جماعة مخصوصين من اهل الايمان ومعلوم الذين لم يجد منهم خشوع فخشوا
على الرقة كما يدل عليه قوله الم يان اي اما حان وقت الخشوع منهم وكيف فعلى في الآية تشبيه عظيم واشعار
بليغ على سبيل الكناية للمخصوصين بفساد بواطنهم وقساوة قلوبهم حيث نهوا عن مماثلة اليهود والنصارى الذين كانت
اغلظ الناس قلبا واسوأهم ضميرا واظلمهم بالنفاق قسوة القلوب بعد ان تجاوزوا عن الطاعة ان يواسوا
الحق بحيلهم ومتشابهاتهم واذا اسمعوا التورية ولا انجيل خشعوا لله ورقت قلوبهم فلما طال عليهم الزمان غلب
عليهم الجفاء والقسوة فاختلفوا واحدثوا ما احدثوا من التحريف وغيره والاكثرون من هذه القسوة بهاتين الطائفتين
في خوضهم في القرآن والحديث هم العلماء الذين تقدم من الاطلاع على معالم الدين وتعلم مناهج الشرع المبين

قسيهم

استمتع بالدنيا والتوصل الى الجاه والمنزلة عند اهلها وبينهما فقد دلت الاخبار والآثار من المصطفين الاخيار
وشهدت بذلك ارباب اصحاب الاستبصار وانوار البصائر وارباب الافكار المتفكرين في ثمرات الصنع والايجاد الفائضة
عن الله القهار على ان اشد الاشرار عذابا في النار هم العلماء السوء الذين ظواهرهم ظواهر الاخيار وبواطنهم بواطن الكفار
قال النبي ص ان اشد الناس عذابا يوم القيمة عالم لم ينفعه الله بعلمه والسر في ذلك انهم يعبدون الدنيا و
يتوسلوا باشرف الاشياء وهو العلم بالله واحكامه الى اخس الاشياء وهو الجاه والمنزلة في الدنيا والتفاخر
بما فيها والركون الى زخارفها والاخلاد الى الارض وهذه امور دنية باطلة قال الله تعالى وما هذه الحيوة الدنيا
الا لهو ولعب وان الدار الآخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون وقال تعالى انما الحيوة الدنيا لهو ولعب وزينة وتفاخر
بينكم وتكاثر في الاموال والاولاد كمثل غيث اعجب الكفار نباته ثم يهيج فتريه مصفرا ثم يكون حطاما وفي الآخرة
عذاب شديد فقد مثل الله تعالى الدنيا ومتعها ونحوهما في كثير من آيات القرآن بامور دنية باطلة يغتر بها
نفوس الجهال والناقصين كما في قوله تعالى والذين كفروا اعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى اذا
جاءه لم يجده شيئا ويقال بعد تفسير العلماء وفق الحقيقة من الحق للمغترين بلامع السراب الذين اتخذوا الجاهلين م
دينهم لهوا ولعبا وغرتهم الحيوة الدنيا ونزلت القاسية قلوبهم من ذكر الله ومثل الله تعالى في القرآن بلعم بن باعوراء
لو كان عالما فاتبع اخلد الى الشهوات بالكلب حيث قال سبحانه واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها
حتى قال فمثله كمثل الكلب الاخلاد الى الشهوات سواء وافق بالحكمة او لم يؤت فهو مصر فيها مخلد اليها وقيل
مثل علماء السوء مثل قناة الحش ظاهرها جص وباطنها نتن ومثل القبور قبور الكفرة والظلمة ظاهرها
معمور وباطنها اللعنة والعذاب ظاهري بحسن كوره كان من يطلل وقد روي عن عيسى عليه وعلى نبينا
قيل ان اقل درجات العالم ان يدرك حقارة الدنيا وخستها وكدورتها وزوالها وانصرامها وعظم امر الآخرة
ودوامها وصفاء نعيمها وجلالة ممالكها ويعلم انهما متضادتان ويعلم انهما متضادان متفاسدان كالضرتين
احدهما افسدت الاخرى وانهما كالضرتين مهما ارضيت احدهما اسخطت الاخرى فان من لم يعلم حقارة
الدنيا وكدورتها وامتزاج ما يصفو منها بما يكدرها فهو فاسد العقل فكيف يعد من العقلاء ومن لا
يعلم عظم امر الآخرة ودوامها فهو كافر مسلوب الايمان فكيف لا يكون من لا ايمان له من العلماء ومن لا يعلم مضادة

الدنيا والاخرة

الدنيا للآخرة وان الجمع بينهما مستحيل فهو جاهل بشريعة الانبياء كلهم صلوات الله عليهم اجمعين بل كافر
بالقرآن من اوله الى آخره فكيف يعد من زمرة العلماء ومن علم هذا كله ثم لم يؤثر الدنيا على الآخرة فهو اسير الشيطان
قد اهلكته شهوته وغلبت عليه شقوته فكيف يعد من احزاب العلماء من هذه درجته في الخسة فهذا هو دليل
واضح على ان من اثر الدنيا على الآخرة فهو جاهل مغرور قد ركب جهله جهل الجهال وفتنة الدجال وكتب رجل
الى اخ له انك قد اوتيت علما فلا تطفئن نور علمك بظلمة الذنوب فتبقى في الظلمة يوم يسعى اهل العلم في نور علمهم
وقال عيسى ع كيف يكون من اهل العلم من مسيره الى آخرته وهو مقبل على دنياه وقال صالح بن حسان البصري
ادركت الشيوخ وهم يتعوذون بالله من الفاجر العالم بالسنة وروي عن رسول الله صلى الله عليه وآله انه
قال اوحى الله الى بعض الانبياء ع قل للذين يتفقهون لغير الدين ويتعلمون لغير العمل ويطلبون الدنيا بعمل الآخرة
ويلبسون للناس مسوك الكباش وقلوبهم كقلوب الذئاب السنتهم احلى من العسل وقلوبهم امر من الصبر اياي يخادعون
وبي يستهزؤون لافتحن لهم فتنة تذر الحكيم حيرانا واليه اشار بقوله تعالى يخادعون الله ورسوله وما يخدعون
الا انفسهم وما يشعرون في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا ولهم عذاب اليم بما كانوا يكذبون وقوله تعالى الله يستهزئ
بهم ويمدهم في طغيانهم يعمهون اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين وفي
طريق اهل البيت عليهم السلام احاديث كثيرة في ذم علماء الدنيا المعرضين عن الآخرة منها ما رواه الشيخ الجليل
محمد بن يعقوب الكليني في كتاب الكافي عن سليم بن قيس قال سمعت امير المؤمنين ع يقول قال رسول الله صلى
الله عليه وآله منهومان لا يشبعان طالب دنيا وطالب علم فمن اقتصر من الدنيا على ما احل الله له سلم ومن
تناولها من غير حلها هلك الا ان يتوب او يراجع ومن اخذ العلم من اهله وعمل بعلمه نجا ومن اراد به الدنيا فهي حظه
وعن ابي عبد الله ع من اراد الحديث لمنفعة الدنيا لم يكن له في الآخرة نصيب وعنه ع قال اذا رأيتم العالم
محبا لدنياه فاتهموه على دينكم فان كل محب لشيء يحوط ما احب وقال ع اوحى الله الى داود ع لا تجعل بيني وبينك
عالما مفتونا بالدنيا فيصدك عن طريق محبتي فان اولئك قطاع طريق عبادي المريدين ان ادنى ما انا صانع
بهم ان انزع حلاوة مناجاتي من قلوبهم وعن ابي جعفر ع انه قال من طلب العلم ليباهي به العلماء او يماري به السفهاء
او يصرف به وجوه الناس اليه فليتبوأ مقعده من النار ان الرياسة لا تصلح الا لاهلها وعن علي بن ابراهيم

رفعه الى ابي عبد الله عليه السلام قال طلبة العلم ثلاثة فاعرفوهم باعيانهم وصفاتهم صنف يطلبه للجهل والمراء
وصنف يطلبه للاستطالة والختل وصنف يطلبه للفقه والعقل فصاحب الجهل والمراء موذ ممار متعرض
للمقال في اندية الرجال بتذاكر العلم وصفة الحلم قد تسربل بالخشوع وتخلى من الورع فدق الله من هذا
خيشومه وقطع منه حيزومه وصاحب الاستطالة والختل ذو خب وملق يستطيل على مثله من اشباههم
ويتواضع للاغنياء من دونه فهو لحلوائهم هاضم ولدينه حاطم فاعمى الله على هذا خبره وقطع من آثار العلماء
اثره وصاحب الفقه والعقل ذو كآبة وحزن وسهر قد تحنك في برنسه وقام الليل في حندسه يعمل ويخشى وجلا
داعيا مشفقا مقبلا على شانه عارفا باهل زمانه مستوحشا من اوثق اخوانه فشد الله من هذا اركانه
واعطاه يوم القيمة امانه وعن الحسين الصيقل قال قال سمعت ابا عبد الله عم يقول لا يقبل الله عملا
الا بمعرفة ولا معرفة الا بعمل فمن عرف دلته المعرفة على العمل ومن لم يعمل فلا معرفة له الا ان الايمان بعضه
من بعض وعن امير المؤمنين عم يحدث عن النبي صلعم انه قال في كلام له العلماء رجلان رجل عالم اخذ بعلمه فهذا
ناج وعالم تارك لعلمه فهذا هالك وان اهل النار ليتاذون من ريح العالم التارك لعلمه وان اشد اهل النار
ندامة وحسرة رجل دعا عبدا الى الله تبارك وتعالى فاستجاب له وقبل منه فاطاع الله فادخله الله الجنة وادخل
الداعي الى النار بترك علمه واتباع الهوى وطول الامل اما اتباع الهوى فيصد عن الحق وطول الامل ينسي الآخرة
فمن هذه الاخبار يتبين ان العالم الذي هو من ابناء الدنيا احرى ان لا اشد عذابا يوم القيمة من الجاهل وان
علماء الآخرة هم الفائزون المقربون ولهم علامات منها ما مر ذكره خاصة اعراضهم عن الدنيا وزخارفها
زهدهم في شهواتها واقبالهم الى الآخرة ورغبتهم في درجاتها ومعارجها وحقايقها ومنها ان يكون اكثر اهتمامهم
بالمعارف الباطنة ومعرفة العالم الملكوتية والروحانيات واسرار المبدأ والمعاد ومعرفة النفس الانسانية وكيفية
ارتقائها الى الكمال وخلاصها من القشر وطريقها الى الآخرة حتى يصير نفسها عالما معقولا موازيا للعالم المحسوس
مشاهدا لصورة الكل ناظرا هيئة الوجود من المبدأ الاول الى الاقرب منه والصادر منه ثم الذي يليه والعروج
اليه وكيفية استكشاف هذه الامور بالمجاهدة والمراقبة ومباشرة العبادات والاعمال الظاهرة والباطنة
والجلوس مع الله في الخلوة مع حضور القلب بجمع الفكرة والانقطاع الى الله عما سواه فذلك مفتاح الالهام

ومنبع الكشف

ومنبع الكشف فلا يكون من اهتمامهم بالعلوم الشرعية الظاهرة اكثر من اهتمامهم بالمعارف الالهية بل لم يعطوا
حظا وافرا منها لم يشتغلوا باستقصاء مسائل الحرام والحلال الا ما هو الواجب العيني بقدر ما لا بد منه دون
الواجب الكفائي الذي يقوم كل احد فيه مقام الآخر وذلك لوجوب الاشتغال اولا بالاهم والاهم هو العلم
بالله وملكوته وصفاته وافعاله وكتبه ورسله واليوم الآخر دون العلم باوامره ونواهيه كما قال الشيخ الفاضل
والفقيه الكامل زين المجتهدين رحمه الله ناقلا في بعض مؤلفاته عن بعض المحققين العلماء ثلثة عالم بالله
غير عالم بامر الله فهو عبد استولت المعرفة الالهية على قلبه فصار مستغرقا بمشاهدة نور الجلال والكبرياء فلا
يتفرغ لتعلم علم الاحكام الا ما لا بد منه وعالم بامر الله غير عالم بالله فهو الذي يعرف الحلال والحرام ودقائق
الاحكام لكنه لا يعرف اسرار جلال الله وعالم بالله وبامر الله فهو جالس على الحد المشترك بين عالم المعقولات
والمحسوسات فهو تارة مع الله بالحب له وتارة مع الخلق بالشفقة والرحمة فاذا رجع من ربه الى الخلق صار
معهم كواحد منهم كانه لا يعرف الله واذا خلا بربه مشتغلا بذكره وخدمته فكانه لا يعرف الخلق فهذا
سبيل المرسلين والصديقين وهو المراد بقوله عم سائل العلماء وجالس الكبراء والمراد بقوله سائل العلماء وخالط الحكماء
العلماء بامر الله غير العالمين بالله فامر بمسائلتهم عند الحاجة الى الاستفتاء واما الحكماء فهم العالمون بالله
الذين لا يعلمون اوامر الله فامر بمخالطتهم واما الكبراء فهم العالمون بهما فامر بمجالستهم لان في مجالستهم خير
الدنيا والآخرة ثم قال ولكل واحد من الثلثة ثلاث علامات فللعالم بامر الله الذكر باللسان دون القلب
والخوف من الخلق دون الرب والاستحياء من الناس في الظاهر ولا يستحيي من الله في السر والعالم بالله ذاكر خائف
مستحي اما الذكر فذكر القلب لا اللسان والخوف خوف الرجاء لا خوف المعصية والحيا حيا ما يخطر على القلب
لا حيا الظاهر واما العالم بالله وامره فله ستة اشياء الثلثة المذكورة للعالم بالله فقط مع ثلثة اخرى كونه
جالسا على الحد المشترك بين عالم الغيب وعالم الشهادة وكونه معلما للمسلمين وكونه بحيث يحتاج الفريقان
الاولان اليه وهو مستغن عنهما فمثل العالم بالله وبامر الله كمثل الشمس لا تزيد ولا تنقص ومثل العالم بالله
فقط كمثل القمر يكمل تارة وينقص اخرى ومثل العالم بامر الله كمثل السراج يحرق نفسه ويضيء لغيره انتهى كلامه
ومنها ان لا يكون مسرعا الى الفتوى مشتاقا اليه بل يكون متوقفا متحرزا ما وجد الى الخلاص سبيلا فان سئل عما

تحقيقا بنص كتاب او نص حديث او اجماع او مشاهدة باطنية جلية افق وان سئل عما شك فيه قال
لا ادري وهذه اللفظة كان علماء هذا الزمان حرموا على انفسهم التلفظ به عند الاستفتاء منهم مع
ان الخيزان العلم نشر كتاب ناطق وسنة قائمة ولا ادري وقيل من نكث حيث لا يدري لله فليس اقل اجرا
ممن نطق لان الاعتراف بالنقص اشد على النفس فهو ابرا لها وهكذا كانت عادة السابقين وكان
بعضهم يقول حين سئل عن الفتوى اتريدون ان تجعلونا جسرا تعبرون علينا الى جهنم قال ابن مسعود
ان الذي يفتي الناس لمجنون ومنها ان يكون اكثر بحثه في علم الاعمال عما يفسدها ويشوش القلب ويهيج
الوسواس ويثير الشر وذلك التوقي عنه والاحتراز من الشر لا الدراية والمهارات كما ان منبع علم الظالمين
في المنطق انما هو كان يحترز الانسان من الغلط لا لان يوقع غيره في الغلط واما علماء الدنيا فاكثر اهتمامهم
بتتبع غرائب التفريعات في الاقضية والحكومات والتعب في استنباط الصور الدقيقة والاحتمالات البعيدة
التي يقتضي الدهور ولا يقع مثلها وان وقع كان لغيرهم لا لهم ومع ذلك لا يخلو الارض عن قوم باستنباطها
والشغف بتحصيلها طلبا للجاه والشهرة جمعا لله تعالى واودع في غريزة كل احد ما يناسب وتتميم
امور غيره في عالمه وما الحيد عن السعادة من باع سهم نفسه للاذى بهمهم غيره النادر اتباعا للخلق
وقبولهم على القرب من الله وحضوره عنده وهذا كان عطايا بطالون فاضلا عن البلاد فليتق وحرا في
من الله تعالى ما ذكر بقوله تعالى اولئك لا خلاق لهم في الآخرة ولا يكلمهم الله يوم القيمة ولا يزكيهم
من علامات علماء الآخرة واولياء الله ومجامع نعوتهم انهم لكونهم منبعثين من موت الجهالة منتبهين من
رقدة الغفلة عارفين بحقائق الاشياء مشاهدين حقائق الدين قوم استوى عندهم الاماكن والازمان
وتغاير الامور وتناقض الاحوال فقد صارت الايام كلها عيدا واحدا وجمعة واحدة وصارت الاماكن كلها
مسجدا واحدا والجهات كلها محرابا واحدا وذلك لخروجهم بعقولهم الصافية وارواحهم العالية عن مطمورة
عالم الزمان والمكان وتوجهت قلوبهم شطر الحق وتولت وجوههم وجه الله فصارت حركاتهم كلها عبادة
لله وسكناتهم كلها طاعة له واستوى عندهم مدح المادحين وذم الذامين لا يأخذهم في الله لومة لائم
قائمين لله بالقسط شهداء هم على صلواتهم دائمون وتحققوا بقوله تعالى انما تولوا فثم وجه الله لكلات سوا

كلمات ...

على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتيكم وصارت عادتهم سيجا بالا انهم لا يسئلون الا ما يكون ولا يكون الا ما قد كان في
سابق العلم فقلوبهم في راحة من التعلق بالاسباب وارواحهم فارغة من التكلف بما لا يعنيهم ونفوسهم ساكنة
من الوسواس في راحة من الغموم والناس منهم في راحة وامان لا يريدون لاحد سوءا ولا يضمرون لاحد
شرا عدوا كان او صديقا وذلك لعلمهم بحقارة الدنيا وخسة شركائها ودنو اهلها وارتفاعهم عن
الالتفات الى هذا المنزل الادنى كما قال امير المؤمنين ع والله لدنياكم عندي اهون من عراق خنزير
في يد مجذوم وانهم قال ع والله ما دنياكم هذه عندي الا كعفطة عنز وان اردت ان احصيها لك بشيء
عليك الفرق بين علماء الدنيا المغترين بلامع السراب الذين ضل سعيهم في الحيوة الدنيا وهم يحسبون
انهم يحسنون صنعا وبين علماء الآخرة الناجين من عذاب يوم الحساب الفائزين بشهود رب العالمين
فتامل فيما وصفناه فقد ذكرنا ما ذكرناه من خواص اهل الله لتعرف منه خواص اضدادهم واضداد خواصهم
وان شئت زيادة التميز بين هاتين الطائفتين فتامل في حكاية وقعت بين رجلين احدهما من اولياء
الله وعباده الصالحين الذين انجاهم من عذاب جهنم واعتقهم من اسرها وخلص نفوسهم من علائق
اهلها وارواح قلوبهم من الام المعذبين فيها والآخر من الهالكين المعذبين فيها بالوان العذاب
المحترقة قلوبهم بحرارة علائق اهلها المؤلمة نفوسهم بعقوباتها قال الناجي للهالك كيف اصبحت يا
فلان قال اصبحت في نعمة من الله طالبا للزيادة راغبا فيها حريصا على جمعها ناصر الدين الله معاديا
لاعدائه محاربا لهم فقال له الناجي من اعداء الله قال كل من خالفني في مذهبي واعتقادي قال ان ظفرت
بهم ماذا تفعل قال ادعوهم الى مذهبي وطريقتي واعتقادي قال فان لم يقبلوا منك قال اقاتلهم واسفك
دمائهم واسبي ذراريهم قال فان لم تقدر عليهم قال ادعوا عليهم ليلا ونهارا والعنهم في صلوتي كل
ذلك قربا الى الله تعالى قال الناجي فهل تعلم انك اذا دعوت عليهم ولعنتهم لا يصيبهم شيء قال
ولكن اذا فعلت ما وصفت لك وجدت لقلبي راحة ولنفسي لذة ولغليل صدري شفاء قال
الناجي اتدري لم ذلك قال لا ولكن قل انت قال لانك مريض النفس معذب القلب معاقب الروح
لان اللذة انما هي في الخروج من الالام ولتنج هذا الذي ذكرته من احوالك تصلب في الدين من

وابدانهم

ولا تقوية للشرع المبين وانما هي هدمة لقوتك العضبية التي تسلطت عليك وجعلت قلبك مسخرا اياها
في دواعيها رهينا لمآربها السبعية وقد استهزأ بك الشيطان حيث غرك بان هذا ترويج للدين وخدمة للشرع
المبين وبه تمتثل سيد المرسلين عليه وآله الصلوة والسلام تنبيها حكاه الله سبحانه عن بعض المنافقين بقوله تعالى
يمنون عليك ان اسلموا قل لا تمنوا علي اسلامكم واعلم بانك محبوس في طبقة من طبقات جهنم وهي الحطمة نار الله الموقدة
التي تطلع على الافئدة فان ما تشاهده لك عذابها يوم القيمة عيانا الان تتخلص منها بالفكر الصحيح والعقل السليم وتخلص
بفضله من عذابها وتنجو بفضله من عقابها انشاء الله تعالى كما وعد بقوله ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا
ثم قال الها الملك الناجي فاخبرني انت عن رأيك ومذهبك وحال نفسك قال اللهم اما انا فاني قد اصبحت في نعم الله
واحسان لا احصي عددها ولا يؤدي شكرها واحبها ما اقسم لي وحضضا بلا احكام لا اريد لاحد من الخلق سوءا ولا لهم
ولا لاحد لا اوذي نهم شر انفسي في راحة وقلبي في فسحة والخلق مني في راحة اساد اسئلت لرأيك مذهبي وديني دين ابراهيم
الخليل كما قال فمن تبعني فانه مني ومن عصاني فانك غفور رحيم ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك انت
الغفور الرحيم واعلم ايها السالك المجادل ان امثال هذه الامور انما الاعتقادات كثيرة واكثر هذه المجادلات تعصبية
للنفوس معتقديها او متعصبة لقلوبهم وهو جزاء لنفوسهم وعقوبة لهم في الدنيا الا حق معلوم واحد معدود دون الاخرة
اشد واذهى واذا اشتدت في الاخرة بحسب الظهور والتحقق ادت بهم الى نيران ملتهبة نزاعة للشوى وحرارات مستعلية
قطاعة للقلوب كما اشار اليه بقوله فاذا جاءت الطامة الكبرى يوم يتذكر الانسان ما سعى وبرزت الجحيم لمن يرى وقوله
كلا لو تعلمون علم اليقين لترون الجحيم ثم لترونها عين اليقين فاعلم انه الاصل الانسان المعرفة الله على الحقيقة الا بعد
جوازه على بعض هذه الآراء الفاسدة المذاهب اما صباه او بعد ذلك ثم ان الله ينجي من يتق الشرك به وينجيه منها كما قال
وقال وان منكم الا واردها كان على ربك حتما مقضيا ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا فقوله عز وجل
اعلموا ان الله يحيي الأرض بعد موتها قد بينا لكم الآيات لعلكم تعقلون
قيل يحييها بالنبات بعد جدبها او حبوبتها كذلك لا يجوز الطباء الكافر بالعدل الى الايمان بعد موته بالضلال والكفر وقيل
هذا تمثيل لاثر الذكر في القلوب وانه يحييها كما يحيي الارض الغيث وقيل معناه ان الله يلين القلوب بعد قسوتها
بالالطاف والتوفيقات قد بينا لكم الآيات من شواهد العقل والنقل كالحجج الواضحات والدلائل الباهرات لعلكم تعقلون

وقد دم

لعلكم م

تعقلون

فتعلمون بمقتضاها وترجعون الى العبودية التامة مكاشفة اعلم ان مرجع هذه الاقوال الثلثة الى شيء واحد
في المثال والمثل له جميعا فان الارض مثال النفس الناطقة الانسانية المعبر عنها بالقلب للطيفة تقبلها الاحوال كالجسم
الصنوبري الموجود في الحيوانات البهائم ومن تمثلها لكونها هيولانية ليس فيها شيء من المعارف والعلوم الحقة التي بها
يتم حقيقة الانسان وبتوسطها واعدادها يستعد بالحجج العقلية والآيات البينة اشارة الى المقدمات التي يتوصل
بها الى تحصيل الكمال العقلي وصيرورتها عقلا وعاقلا بالفعل بتأييد من الحق الاول بواسطة بعض الملائكة العلامة الفعالة
الفعال تعالى ذاتهم وهذه الحجج العقلية هي التي وقعت الاشارة اليها بقوله ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله اموات
بل احياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتيهم الله من فضله وظاهر ان المراد من الحيوة التي يكون عند الله هي الحيوة المعنوية
دون الحسية والمراد من رزق الله لمن يكون عنده رزق المعارف والعلوم التي بها يتغذى وبها تتقوى الارواح المقدسة
لا الاغذية الحسية التي يتقوى بها الاجسام الحيوانية كما في قوله وفي السماء رزقكم وما توعدون وان اردت حقيقة المقال في
بيان النفس الانسانية ودرجاتها في الاستكمال وبلوغها الى حد الكمال فعليك بما القينا اليك في معرفة النفس في كتاب المبدأ
والمعاد فانها من الغوامض التي قل ما يصل اليها الا من ايده الله تعالى بنور الكشف والشهود ولا يذكر من علم النفس
في كتب الحكماء الا قدر يسير يدرية ناز لا وهذا ما يشبه لمباحث الطبيعيين واحوال البدن وذلك القدر اليسير ايضا مما هو
الساكين قد غفل عنه الجمهور لغفلتهم عن امهات المعارف الصحيحة في سلوك سبيل الحق وما يجب الاطلاع عليه
عاقل ان يعرف من احوال النفس التي هي مرقاة الى معرفة الله سبحانه اذ انما هو ما يكون من شأننا ان نعرف ربنا ونتقرب الى الله
تعالى ونعلم ان من الله مبدأها واليه منتهيها اذا سلكت طريق الحق واكتسبت المعارف الحقيقية والعلوم ونعلم
انها من الكتب الذي وله نطفة مدة واخرى جهة قدرة وصورها بيده حامل العذرة ونعلم ايضا ان حياتها مرتبطة
وهلاكها في الآخرة كما ذهب اليه كثير من الحكماء والعرفاء وان حيوتها الاخروية عبارة عن وجودها مستفاد هو مبدأ
المعقولات ومنشأ مفعل الجزئيات كما ان حيوتها الدنيوية البدنية عبارة عن كونها منشأ للاحساس والتحريك وغيرها
بقدرة من الحق الاول حيا فينفعل منه كما ينفعل من نور الشمس وجه الارض فاشرقت به كما اشرقت الارض بنور ربها
ذلك يظهر بها الحقائق والمثالات الترابية معقولة بذاتها كما يظهر بضوء النهار الاجسام الارضية المظلمة الذوات
المستترة بنور الشمس وبه يستعد للاتصال بالملأ الاعلى وعالم القدس وما كان كلما يخرج من القوة الى الفعل ومن النور الجسمي

اليقينية م

ورالظلمات الى النور يخرج بسبب متوسط بينه وبين الله لكونه نفس في غاية الوحدة والاشراق والعظمة لا يحصل
شدة نورية الشائبة في العالم صعفا البعاية والانهما الا بتوسط عقلانى وعالم ربانى ورسول من الخواله
الخلق كالملائكة للانبياء والانبياء للخلايق فحيث لما يخرج هذه القوة المنية الهيولانية لتى يكون كالمادة الذات فعالة
للمعقولات والانوار العقلية كالشمس الفعالة للانوار الحسية ليسرى فيها شرف نورية وقوة الا الامكان الذاتى الذى
هو اعتبار في الذهن وقد صار مخفيا تحت سطوع النور الاول الحق بحيث يمتنع ظهوره من كتم الخفا فتحقق
الفعل بالوجود الحقانى والفاقه بالوجود الا دينا ولكونه نعم فيما للعدم بالوجود والتحصيل جبارا لها بالقوة
بالفعل والكميل فما يفيض منه سبحانه على سنة الابداع هى اوايل الموجودات المبدعات فى ملاحظة جاله وجلاله الا
لهم الى ذواتهم النورية بنور الاول الحق فضلا عن غيرهم من عالم الاجسام والظلمات فاولئك الطبقة العليا من الجواهر
المفارقة الانوار عقلية لا ظلام فى عالمها ومباهات لا ليالى لها واما فوجدت الطبقة الثانية العرضية التى هى نحو
آخر من صنوف العقول والملائكة القادسة وهم المدنون فى ترتيب اسافل العالم الجسمانى بالاختيار عن الالتفات منها الا
ما دونها بل بعد التفات منهم الى ذواتهم الشديدة بنور الحق الاول المشاهدة لديها فوقعت منهم ظلال الاشباح الكلية ومنها
الهيولى العنصرية للافلاك وواحدة للعناصر وما يتركب منها وكلما يفيض عليها منهم والاقرب الى الطبائع الباقية هو هذا
العالم السفلى فكذلك يفيض منه على القوابل والاشخاص العقلية والحسية ما يجبرنا بالادراك الصور والنفوس والحياة
والنفوس تارة كالانساء الناسوتية كما فى قوله فانظر الى آثار رحمة الله كيف يحيى الارض بعد موتها فكذلك الا ممن هو في
يفيض على ارواحنا العلوم الحقة والمعارف اليقينية الحاصلة منها من ذلك العالم الذى الفضل ان صور جميع ما اوجد الله
نفس حاصلة فى عالم الجبروت مما وجد مقدر لا يشاهد بعين العين الداثرة فذلك الفياض للعلوم والمعارف الكل
للارواح والنفوس هو المسمى بروح القدس وهو المعلم الشديد القوى والمؤيد بالقاء الوحى والالهام للانبياء
والاولياء الذى كتب فى قلوب الايمان والمعارف اذا توجهنا شطر كعبة الحق الجنة العالية واذا عرضنا عنه
بالتوجه الى شاغل الجنة السافلة فحق تلك النفوس عن النفوس كانت مسلة اذا فتيت الى من يشغل عنه واذا
غفلت منه فيخرج فانه لا اعظم خيانة احوال المراة فاذا فحصوها بجهل الذى قد ضل فى مقام علم ان احبا
الاشقياء من اوانى النفوس الفالية والعقول الهيولانية بعد موتها اى تعلقها بالابدان وهو بهانة النشاوة الحسية التى

هى منبع الجهل والغفلة والموت بتبيين الايات العقلية وافاضة المعارف اليقينية التى بها تنتو
نفس الانسان ويحيى بروح المعارف وتخلص من موت الجهالة وتستيقظ من نوم الغفلة ويقيد من رقدة
الطبيعة ويصير معقولا وعاقلا بما ترد على الصور المعقولة واليه اشار بقوله لعلكم تعقلون قوله
عز وجل ان المصدقين والمصدقت واقرضوا الله قرضا حسنا يضعف لهم ولهم اجر كريم
قرا ابن كثير وابو بكر بتخفيف الصاد فى اللفظين والباقون بتشديدهما فمن خفف كان الكلام عنده
جنس قوله تعالى ان الذين امنوا وعملوا الصالحات لان المصدقين بالتخفيف ماخوذ من صدق بمعنى ان من الذين
امنوا واقرضوا اى عملوا الصالحات الا ان القرض الحسن من جملة الاعمال الصالحة لان معناه ان يتصدق من
المال الطيب عن طيبة النفس وصحة النية على من احق الصدقة اولا لان المراد منه مطلق الفعل الحسن او العمل
الصالح التى له اجر كريم سواء كان ماليا او بدنيا او عزميا كما ان التصدق يوجب تخفيف الصدقة ومن شدد كان
الوجه عنده ان قوله اقرضوا الله قرضا حسنا اعتراض بين الخبر والمخبر عنه فهو للصدقة اشد ملاءمة منه
للتصديق ولا حسان يمنع كونه اعتراضيا البتة لاحتمال ان يكون معطوفا على معنى الفعل فى المصدقين
لان اللام جنسه بمعنى الذين واسم الفاعل بمعنى اصدقوا او صدقوا وقرى يضعف بالتشديد ويضاعف
بكسر العين او يضاعف لهم من الجزاء امثاله اضعافا او وجوه الخير ولهم اجر كريم لانه يترتب لغاية على
فعل الخير وكلما يترتب على فعل الخير يكون اجرا كريما لان امور الاخرة مما يكون شديدة قوية فى الا لذاذ
اذا كان لذيذة وفى الايلام ان كانت اليمة لعدم الغشاوة والموانع عن الادراك هنالك فيكون المدرك
قويا والمدرك مكشوفا وليست اللذة الا ادراك الملائم والالم الا ادراك المنافى فالمدرك ان الملائم
والمنافى اذا كان فى غاية القوة والحدة فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد والمدرك منهما ان كان
حقيقة الشى وليه كنه وباطنه صريحة يوم تبلى السرائر والادراك ايضا فى غاية التحقيق واليقين حيث
ينتهى الى مشاهدة العين كلا لو تعلمون علم اليقين لترون الجحيم ثم لترونها عين اليقين ثم لتسئلن يومئذ
عن النعيم يكون الالتذاذ والايلام فى غاية القوة والشدة وهذا هو البيان فى كون امور الاخرة فى نهايتها
عظيما شديدا **مكاشفة** الكنة فى كون فعل الحسنة يكون اجره مضاعفا وفعل السيئة يكون اجره مثله

كما في قوله تعالى من جاء بالحسنة فله عشر امثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها وجهان احدهما من جهة القابل
والآخر من جهة الفاعل اما الوجه الاول فهو ان حقيقة النفس الانسانية من عالم الارواح الاخروية
ونتيجة الروحانيات النورية فوقعت في هذا العالم الجسماني الظلماني بحدوثه من ابيه ادم الاول هبطت
من الجنة الى الارض غريبا وحيدا اسيرا في ايدي الظلمات ملسوعا بلسع حيات الشهوات وعقارب
اللذات مسجونا بسجن الطبيعة ووساوس الشياطين كما في قوله تعالى ولقد خلقنا الانسان في احسن تقويم
ثم رددناه اسفل سافلين ثم ان كل عمل وفعل صدر من الانسان في هذا العالم يحصل منه اثر في قلبه
لارتباط شديد بين النفس والبدن فيحصل من تكرر الافاعيل في النفس اخلاق وملكات هي مبادي
المعاملات فاذا تكررت الافاعيل الحسنة من الصيام والقيام والاطعام والصدقات وحسن النيات و
صدق الطويات ظهرت من دوام تكررها هيئات حسنة راسخة في النفس فيصدر عنها انوار الصفات
الملكية فيسهل معها صدور الفضائل والخيرات كما قال الله تعالى فاما من اعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره
لليسرى وكذلك اذا تكررت الافعال الذميمة والسيئات من البخل والاستكبار والكذب وغيرها حصلت
من دوام تكررها صفات ذميمة راسخة في النفس فيكون عنها كدورة المعاصي فيسهل معها صدور
القبائح منها ما لم يكن له عهد وقبل ذلك تبدل السهولة كما قال سبحانه واما من بخل واستغنى وكذب
بالحسنى فسنيسره للعسرى ولو لم يكن تكرر الافاعيل موجبا لحصول الملكات في النفس لم يحصل للانسان
الصناعات العلمية والعملية ثم لما كانت الافعال الحسنة مناسبة لعالم القدس وموطن النفس مقربة لها
من عالمها المذكور لحاضرها القديم مع اقربيتها والافعال القبيحة مناسبة للجحيم مبعدة لها عن عالمها
والمناسب للشيء يكون اسرع تاثيرا من المخالف الغريب في اخراج ذلك الشيء مما يقتضيه طبعه كان الافعال
الحسنة والخيرات اقوى تاثيرا في سعادة النفس وكمالها فقد ذكرها وقربها اليه تعالى من الافعال القبيحة
والشر منه في شقاوتها ونقصها وسببها بعدها عنه تعالى وثانيهما ان رحمته تعالى سابقة على غضبه
سابقة عليه كما قال سبقت رحمتي غضبي حتى ان عين الغضب ومقتضيه انما وجدت منه تعالى برحمته التي
وسعت كل شيء كيف والوجود الفائض منه على كل شيء هو عين الرحمة عليه فوجود الغضب انما هو من رحمة الله

على عين الغضب

على عين الغضب فسبقت نسبة الرحمة اليه تعالى على نسبة الغضب وذلك لان الرحمة ذاتية للحق وعين الغضب ناشئة
من عدم قابلية بعض الاشياء للكمال المطلق والرحمة التامة واليه الاشارة في قوله سبحانه ما اصابك من حسنة
فمن الله وما اصابك من سيئة فمن نفسك اي من سوء استعدادك وان كان الكل من عند الله لعدم الاستقلال
في الايجاد وفي الحديث النبوي ان الخير كله بيديك والشر ليس اليك ومن امعن النظر في لوازم الغضب من الالام
والآلام والفقر والجهل والموت وغيرها لم يجدها كلها امورا عدمية فالرحمة ذاتية للحق والغضب عارض ناشئ
من سابقة عدمية فاذا كان كذلك كان باعث الرحمة اسهل وجودا واقل اسبابا اذ ليس تحققها الا بكفيه امكان القبول لها
وباعث الغضب بخلافه اذ لا يكفي له مجرد امكان المحل بل لا يحصل الا من وجود تناف في الرحمة المانع اياها فقابل الرحمة
وما يعمها لا يحتاج الى فعل كثير غير صفاء الذات وخلوص الفطرة وصقالة وجه القلب من الكدورات بخلاف داعية
الغضب فانها الوجود للمعاصي والقبائح العريزية عن الفطرة الاصلية التي فطر الناس عليها فهذه الدقيقة عبر عن
باعث الرحمة بالكسب وعن باعث الغضب بالاكتساب لما في صيغته من تعمل الزائد على ما في الطبع في قوله تعالى
لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت فان قلت ما الوجه لخصوصية ذكر العشرة في التضعيف لا جزاء الاعمال قلت
وجه ذلك كون الانسان مقربا في الدنيا عن فعل الخير الذي هو شكر الله ومعرفة ملائكته ورسله والدار الآخرة
لانغماره في الشهوات واستغراقه في الجسمانيات وهذا بخلاف فعل المعاصي والشهوات فانهما ملايم الطبيعة وقواه
فلا يحتاج الى تعب عليها القوى البدنية ولما كان المبدأ الادراكي للافاعيل العقلية والطاعات قوة واحدة هي النفس الناطقة
والمبدأ الادراكي للافاعيل الحسية والمعاصي قوى عشرة هي الحواس الخمس الظاهرة والخمس الباطنة فكل حسنة صادرة
من القوة العاقلة لا بد فيها لكونها على خلاف طبائع القوى من مجاهدة ووقعت من العاقلة مع كل واحدة من العشرة تلك
ولكل مجاهدة لها اجر واحد فكل حسنة تستلزم عشر حسنات مستدعية لعشرة امثال اجر واحد واليه الاشارة
في قوله تعالى ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وان يكن منكم مائة يغلبوا الفا من الذين كفروا قوله عز وجل
والذين آمنوا بالله ورسله اولئك هم الصديقون والشهداء عند ربهم لهم اجرهم ونورهم
الصديق الكثير الصدق المبالغ فيه وهو اسم مدح وتعظيم قال الزمخشري اي هم عند الله بمنزلة الصديقين والشهداء او
وهم الذين سبقوا الى التصديق واستشهدوا في سبيل الله لهم اجرهم ونورهم اي مثل اجر الصديقين والشهداء ومثل

بوزيهم ثم استشكل بعض المفسرين في هذه المماثلة بينهم في الاجر والجزاء مع تفاوت قدرهم فاجاب عنه بعضهم
باعطاء الله تعالى اجر المؤمنين مضاعفا بفضله ورحمته حتى يساوي اجرهم مع المضاعفة اجر اولئك وفيه نظر بعيد
لان باب الرحمة والتضعيف كما انفتح لهؤلاء انفتح لاولئك لان الله تعالى واحد لا تغير فيه فاين على الجميع
ولو كان المراد ان اجرهم مع التضعيف مثل اجرهم لا بعد بعينه في مدح المؤمنين والمقام مما يقتضيه فالاولى
ان يراد من الايمان بالله والرسول مرتبة كاملة من المعرفة التي لا تحقق الا للعلماء او يراد منه الايمان الحقيقي التابع
الكشفي وهو الذي يكون للاولياء والعرفاء خاصة فانهم هم الصديقون والشهداء الغاية لصدقهم الحاصل بالكشف
وفنائهم عن ذاتهم الحاصل بسبب المجاهدة الباطنية مع النفس وقواها الامارة قال مجاهد كل من امن بالله
ورسله فهو صديق شهيد ثم قرأ هذه الاية لهم اجرهم ونورهم اجر ثواب طاعتهم ونور ايمانهم وهو النور الذي
يهتدى به الى طريق الجنة وهذا قول عبد الله بن مسعود ورواه البراء بن عازب عن رسول الله صلى …
العياشي بالاسناد عن منهال القصاب قال قلت لابي عبد الله عليه السلام ادع الله ان يرزقني الشهادة فقال ان المؤمن شهيد
وقرأ هذه الاية وعن الحارث بن المغيرة قال كنا عند ابي جعفر عليه السلام فقال العارف منكم هذا الامر المنتظر له المحتسب فيه
الخير كمن جاهد والله مع قائم آل محمد بسيفه ثم قال بل والله كمن جاهد مع رسول الله بسيفه ثم قال الثالثة بل والله
كمن استشهد مع رسول الله في فسطاطه وفيكم آية من كتاب الله وقرأ هذه الاية ثم قال صرتم والله صادقين
شهداء عند ربكم وقيل ان الشهداء منفصل عما قبله مستانف والمراد بالشهداء الانبياء الذين يشهدون
للامم وعليهم وهو قول ابن عباس ومسروق ومقاتل بن حيان واختاره الفراء والزجاج وقيل هم الذين
استشهدوا في سبيل الله عن مقاتل بن سليمان وابن جرير **مكاشفة** اعلم ايها السالك ان لفظ الشهيد
والشهود يطلق بالاشتراك او المجاز العرفي بين مراتب متفاوتة في المعرفة احديها ما يتعلق بالتقليد ونسبتها
من غير بصيرة كشفية ولا معرفة كسبية سواء كانت برهانية او جدلية وهو الايمان بالشاهد بعد ترك العقيدة صاحبه
في الدنيا عن السيف والسنان وثانيها ما يستفاد من صناعة الجدل وطريق المتكلمين وفايدتها حراسة العقيدة
للعامة عن المبتدعين وقطاع طريق الحق السالكين وليس فيه انشراح وانفتاح ولكنه يحفظ صاحبه عن العذاب
في الاخرة حالا ان كان مع شرائطه وثالثها ما يستفاد من البرهان اليقيني كما في طريقة الحكماء وفايدتها حصول المعرفة

المعرفة

الحقيقية بالمبدأ القيوم وصفاته وافعاله والرابعة ما يستفاد من الرياضات والمجاهدات وترك العلاقات والزهد
الحقيقي عن الدنيا وطيباتها وفايدتها الوصول الى جناب الحق ومشاهدة صفاته واسمائه وافعاله من حيث هي
فالايمان منقسم الى قشر وقشر القشر ولب ولب اللب كالجوز مثلا فان له قشرين وله لبين فالمرتبة الاولى ان يقول
لا اله الا الله وحده باللسان مع الغفلة او مع الانكار والتقليد كما في المنافقين والثانية ان يصدق بمعنى اللفظ
كما يصدق به عموم المسلمين وهو اعتقاد التوحيد له مناسبة الى ما هو الحقيقة بخلاف الاول فانه تقليد محض والثالثة
ان يشاهد ذلك بالنظر الى طبيعة العالم وامكانها وافتقارها الى ما يرجح وجودها على عدمها ثم بالجزم بالوجود له
من الرحمة والجود وهدايته للخلق بارسال الرسل وانزال الكتب والجزاء لهم يوم البعث الثواب للمحسن والعقاب للمسيء او
العفو عنه الا ان يكون فيه ما ينافيه من الكفر والاصرار والجهل والاستكبار والرابعة ان يشاهد ذلك عيانا
الوجود الحقيقي وصفاته وآثاره ولا يرى للافعال والآثار وجودا استقلاليا فلا ينظر الا اليه … الحق فيه
مع تفاوت المراتب صفاء وكدورة وتفاوت ظهور الحق فيها جلاء وخفاء وهذا عبد قد استولت عليه الانوار
الاحدية وظهرت له سواطع العظمة الالهية فيجعل هباء منثورا … فيخر له … و…
هذا المقام بتبعات نظر الاعتبار ودخل في بحر الحجب والاستار فنادى الحق لمن الملك اليوم ويجيب بنفسه
لنفسه لله الواحد القهار والمؤمن بهذه المرتبة يقال له الولي والصديق والشهيد اما كونه وليا فلانه لا يحب الا الله
منه وهو لا يحب غير الله اما الاول فلان منه لا يعرف الا الله والمحبة تتبع المعرفة … من حيث
هو ملايم والملايم لكل احد هو سلم … عن الاعراض النفسانية ولم يتلذذ طبعه بالمعاصي الجسمانية هو المعبود
الحق الذي به وجود كل شيء وكماله واما الثاني فلان غير الله لا وجود له عند الولي والمحبة تتبع الوجود الحقيقي
عند المحب واما كونه صديقا فلان كمال درجة التصديق يكون بكمال رتبة المعرفة واكمل مراتب المعرفة هو المشاهدة
فمن شاهد الوجود الحقيقي ورتبته في الكمال وشمول الاضافة وعموم الرحمة منه على كل شيء بحيث لا اشارة اليه
لا في الوجود ولا في الايجاد فهو الصديق الاعظم لانه ممن لا يعرف الحق ويقضيه الا بالدليل او التقليد من جهة
وكشف واما كونه شهيدا فلشهادة نفسه في طريق الحق وعدم التفاته الى هذه الحياة الدنيا اذ الشهادة عبارة عن
قبض الروح في حال لم يبق في القلب شيء سوى الله وخروج حب جميع اللذات والشهوات من القلب ان منهج …

صف القتال فهو يوطن نفسه على الموت حبا لله وطلب الرضاه وربما يعاد دنياه بآخرته راضيا بالبيع الذي بايع الله
اذ قال الله ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة والبايع راغب عن البيع لا محالة ومثل هذه الحالة
يحصل للعاشق في بعض الاحوال الغير العرفية ولكن لا يتحقق زهوق الروح فيها لوقوع في صف القتال بسبب زهوق
الروح على مثل هذه الحال هنا فمن ليس بقصد الغلبة والغنيمة والصيت بالشجاعة فان من هذا حاله ان قتل
في المعركة فهو بعيد شهيد لبعده عن مثل هذه الرتبة كما دلت عليه الاخبار فقد علم ان رتبة الشهداء انما يحصل لاجل
انهم جردوا انفسهم عن التعلق بالحيوة الجسمانية ابتغاء لوجه الله ومغفرة الاولياء بين اظهار شرائعه وخرجوا عن
الدنيا عند تخلف هذه الحالة ففارقوا بالنعيم الابدي واما العرفاء فقد خرجوا عن التعلقات بما سوى الله وهم
وقصروا النظر على وجه الله من غير الالتفات الى ذواتهم فضلا عن غيرها وحصل لهم الموت الارادي عن هذه
النشاة الدنياوية وهذه الحالة هجيراهم من غير تعمل وكلفة ثم الشهداء بالحقيقة قبل حصول الموت الطبيعي القتل
لهم لانهم قبل انقضاء هذه الحيوة الدنياوية دائما بهذه الحيوة الطبيعية احياء عند ربهم بحياة عقلية
يرزقون بالارزاق المعنوية والاغذية العقلية فرحين بما اتيهم الله من فضله فرحين في جنتهم من غير تحمل
قوله عز وجل والذين كفروا وكذبوا باياتنا اولئك اصحاب الجحيم الكفر هو عدم الايمان عما من شانه
ان يكون مؤمنا والايمان كما علمت هو المعرفة بالله وكتبه ورسله واليوم الآخر فالكفر هو الجهل بهذه المعارف
سواء كان مع الجحود والاستكبار او تكذيب الرسول وبالقرآن ام لا والاول يستلزم الخلود في النار قطعا والثاني
يحتمل النجاة ولو بعد المكث طويلا وبه يعلم خلود الكفار المكذبين في النار المعبر عنهم والحكم عليهم
باصحاب الجحيم مكاشفة كما ان جميع سعادات الانسان ترجع الى تحلية قوته العلمية بالعلوم الحقيقية
حقايق الايمان بالله واليوم الآخر وتخلية قوته العملية عن ذمايم الاخلاق ورذايل الملكات كذلك جميع
الشقاوات ترجع الى انتقاش النفس بمقابل هذه المعارف والحقد واتصافها بمقابل الصفات الذميمة واما ما
الجهل الراسخ المعبر عنه بالكفر والخلق الكدر المؤدي الى تكذيب الرسول المؤيد بالمعجزات موجب الخلود في النار
لان الجنسية علة للضم والمرء يحشر مع محبوبه والجحيم انما هي من جنس هذه الدار لكن ظهورها في تلك الدار
بصورة الشهوات واللذات [illegible] في الآخرة بصورة النيران والجحيم والزقوم فاذا رسخت محبة الدنيا في النفس

ونسيت من ذكر الله صارت في الاخرة محجوبة عن لقاء الله ولقاء اوليائه الصالحين وبقيت في كرب السعير
وعذاب الجحيم لرسوخ محبتها اياها في هذه النشاة وارتكاب تعلقاتها واحاطة ببنائها النفس بعذاب الشهوات ولم
تنادها بسبع حيات ملاذ الدنيا وعقاربها قبل الموت مع كونها متصلة محيطة بها من مفارقة عنها لخمود لها ولم ان جهنم
لمحيطة بالكافرين لخدر الطبيعة وسكرها الحاصل بسبب قلة المعرفة وكثرة الاشتغال باكتساب اسباب الدنيا وجمع
حطامها ودفع مزاحمة الناس عنها يجد لا لم بعض الراحة والراحة عن الالم فيا كل الجحيم والزقوم فهذه الحيات
الفانية مشتهيا لذيذا عند ادراكه ويعجز عن ادراك الحقائق المعقولة التي هي العسل المصفى واللبن الذي لم
يتغير طعمه لكونه محجوبا عن ادراك كلامه الغيبيين بصورة الظاهرة الشهوات لذيذة حلوة عنده والموعظة الحسنة
والكلمات الحقة كريهة مرة لديه وهذا لاجل مرضه الواقع بسبب العادات كما يلتذ بعض الناس باكل الطين
كما يستبشع بعض المرضى الاشياء الحلوة ويستحلي الاشياء المرة لكن بمرض في لهوي حيث يوجف حس الغلبة
للخلط السوداوي ويخدر ذائقته عن ادراك الطعوم على وجهها فيجد الحلو مرا كما قيل شعر ومن يك ذا فم
مر مريض يجد مرا به الماء الزلالا فالقلب السليم والعقل الصحيح لا يلتذ الا بذكر الله ومعرفته ولقائه
لان ذلك كما له وغذائه وقوته لا الامور المحسوسة الدنياوية من المال والبنين وغيرهما من الامور التي خلقت
لاجل الاستعانة بها في طلب الآخرة والسلوك الى الله نعم لا للالتذاذ والتعشق ولما كان الكمال الحقيقي والكمال
المحض هو معرفة الحق الاول وملكوته التي يستغلب الآخرة مشاهدة لما بعدها في القلب السليم عن امراض
العادات السيئة من مرض الشهوات المحسوسات في يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من اتى الله بقلب سليم قوله
عز وجل اعلموا انما الحيوة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الاموال والاولاد كمثل غيث
اعجب الكفار نباته ثم يهيج فتريه مصفرا ثم يكون حطاما وفي الاخرة عذاب شديد ومغفرة من الله
ورضوان وما الحيوة الدنيا الا متاع الغرور زهد الله سبحانه الناس عن الركون الى الحيوة
الدنيا وحثهم عن التوغل في شهواتها بابلغ وجه واكده حيث بين ان محقرات مشتهياتها ومحقرات
لذاتها ليست في الواقع عند اوليائه الذين نظرهم على حقائق الامور وبواطنها الا امورا واهية باطلة زايلة
وهي اللعب واللهو والزينة والتفاخر والتكاثر لا اناكه الا من [illegible] فعلاقة الاشتراك بينها

في عدم البقاء كما وقع في بعض التفاسير فان ذلك بحسب النظر الجليل وادراك اهل الحجاب والا انها كذلك بحسب
المبالغة والتخييل كما هو عادة الشعراء واهل القصص اعوذ بالله ان اكون من الجاهلين بل هي بحسب التحقيق
ليست الا هي المذكورات وليست الا متاع الغرور كما مثل الله تعالى كسراب بقيعة يحسبه الظمان ماء حتى اذا جاءه
لم يجده شيئا وكان امور الدنيا ليست الا اوهام محضة وخيالات صرفة فامور الآخرة بعكس ذلك اذ ليست الا
امورا عظيمة ثابتة لجهة لانها بواطن الاشياء وحقائقها التي لا تبيد ولا تنقض وقيل اللعب ما رغبت في الدنيا
واللهو ما الهى عن الآخرة والزينة ما تتزينون به في الدنيا وتجملون في اعين اهلها ثم تلاشى ومنشأ التفاخر بين
الناس هو القوة الغضبية والهيئة السبعية التي لا يزال يوجبها التفوق على الاقران والترفع على الاشياء ومنشأ
التكاثر هو القوة الشهوية والصفة البهيمية التي لا يزال تطلب تزايد المشتهيات ثم انه تعالى مثل حال الدنيا وسرعة
انقضائها وفنائها مع قلة جدواها بنبات انبته المطر فاستوى واستحكم واعجب الكفار نباته زرعون
عنهم لانهم هم المغترون بالامور الواهية الباطلة بسبب تخيل وبرق لهم من ظواهرها انهم انما يكونون بحجرة
ولا يعرفون بواطنها بما اعلق وهي لها رونق والمع لا لاهل الله والمؤمنين حقا وليس المراد منه المبالغة وصف
النبات وبيان حسنه بانه يعجب الكفار مع جحودهم لنعمة الله فما ردتهم لا تبلى الا اعجاب الكافر بيان الواقع في
التي يشبها الحيوة الدنيا ويجوز ان يكون اشارة الى القصة المذكورة في القرآن لاصحاب الجنة والجنتين وقيل
الكفار الزراع ثم يهيج اي يجف بعد خضرته ونضارته فتراه مصفرا اي يبس واصفر وصار حطاما اي ما يتحطم ويتكسر بعد يبسه عقوبة
لهم على جحودهم وكفرانهم وفي الآخرة عذاب شديد اي لمن رغب في الدنيا فاشتغل بذلك عن الآخرة ومغفرة
من الله ورضوان اي لمن تزود منها للآخرة وما الحيوة الدنيا الا ركن اليها وتطمئن بها الا متاع الغرور كلامع
السراب للظمان حيث يتخيل له غاية ظلمانية له حقيقة كذلك حكم الدنيا للناقصين وضعفاء العقول يتخيل
فيها لهم لذة وكما لا يفيض ولا نجاة اعلم انا يوجب عقوبة اهل الجحيم في الآخرة وتعذيبهم بالعذاب الاليم هو بعينه
موجود معهم في الدنيا يعذب باطنهم بنيران ترد ظلمها الاعتقادات الفاسدة والاخلاق الردية التي كلها
نيرانات ملتهبة وحرقات مشتعلة تؤذي صاحبها وتوجب العداوة والبغضاء لجميع ابناء الدنيا الذين هم بعض
من اصحاب الجحيم والعقوبة معهم في مقاصدهم ومنافع الخسيسة الدنيا وفخرها وهذه الجهالات ونار الملكات كما يوجب

التعذيب بها لهم في الاخرى على وجه اشد وابقى لقوله تعالى ولعذاب الآخرة اشد وابقى فان امور الدنيا
الدنياوية هينة بالنسبة الى الآخرة ونقل الروح عن ذكرها كما هي بخلاف النشأة الآخرة فان البدن الاخروي لا يمنع الروح عن
ادراك الآلام اذ كانت شقية كما لا يمنعها عن ادراك اللذات الاخروية ان كانت سعيدة فاهل النار اذا دخلوها
تسلط العذاب على ظواهرهم وبواطنهم لان ظواهرهم عين بواطنهم كما حققنا في بعض كتبنا عذابات النار
الجسمانية والروحانية باستيفاء العقل اليه كما هو ثابت عند الجمهور من المليين والحكماء الاسلاميين بالنص النقلي والبرهان الحقيقي
العذاب تسلط هينا على ظواهر الاشقياء لكون ظواهرهم مباينة لبواطنهم الا ضعيفا لم يؤثر في الحقيقة
الطبيعة وسكر البدن وحجب المادة فاذا تسلط عذاب النار على ظاهرهم وباطنهم واحاط بهم سرادقها يكسبهم
الجزع والاضطراب فيكفر بعضهم بعضا ويلعن بعضهم بعضا متخاصمين متعاديين كما نطق بكلام الله في مواضع
متعددة مثل قوله تعالى كلما دخلت امة لعنت اختها وقوله تعالى ان ذلك لحق تخاصم اهل النار وكان ان امراض وهيئات
للجهل وغيره من الصفات اذا كانت راسخة مقرونة بنزع العناد والاستكبار لا يمكن ان يزول اصلا فكذلك
الاشقياء المردودون من الكفرة والمتجبرين لا يخفف عنهم العذاب وكلام ينفر ... فلما طلبوا ان يخفف
عنهم العذاب وان يقضى عليهم واستغاثوا ان يرجعوا الى الدنيا فلم يجابوا الى طلبتهم كما حكى الله تعالى عن ابتراحهم
واستغاثتهم بقوله تعالى يا مالك ليقض علينا وعن عدم اجابتهم لا بتعمم عن السؤال وطردهم عن الاقتراح
مثل قوله تعالى انهم ماكثون اخسئوا فيها ولا تكلمون فلما يئسوا وكلفوا انفسهم على العذاب والمكث على حرارة
والاحقاب وتعللوا بالاعتذار وما لوا الى الاصطبار وقالوا سواء علينا اجزعنا ام صبرنا ما لنا من محيص
فان قلت كيف حكم الله تعالى على الحيوة الدنيا بانها لهو ولعب اي باطل موهوم لا حقيقة لها مع انها ثابتة
في الواقع وان اثبت في الواقع لا يكون باطلا موهوما قلت يمكن الجواب من هذا بحسب جليل النظر انه ليس المراد
ما ذكره بجانه ان الحيوة الدنيا التي هي القوة على الحس والحركة امر موهوم اذ لا شك في انها امر ثابت في بعض
الاوقات وان لم يكن دائميا بل الغرض منه ان غرض هذه الحيوة ليست حقيقة يمكن ثبوتها في حق الانسان
بما هو انسان اي ذو جوهر روحاني هو محل معرفة الله لا ان حيوته حيوة نطقية عقلية اخروية والحيوة الحسية
الدنيا فيه هي حيات تتصف بها الحيوانات بما هي حيوان اي ذو جوهر حساس واذا اتصف بها الانسان في بعض

الاوقات فانما يكون بما هو به حيوان لا بما هو به انسان فاتصاف الانسان بتلك الحيوة الحسية باعتبار
لربما حقيقيا هو محل معرفة الله امر وهمى اذ لا وجود لها للانسان الا بمجاز العلاقة الا الارتباط بين حقيقة الانسان
التى هى روح المشار اليها بانا والجسد الحيوانى الواقع تحت الحيوان عنا خذ لا انه طينتى اى باعتبار الذى هو
به حيوان لا بما هو به بنية ومادة وقد تبين الفرق بينهما فى علم الميزان ويمكن ان يوجه بحسب دقيق النظر ان المراد
من الحيوة الدنيا افتقار الادراك الحسى للامور الدنياوية وحتمية للتى باسم ما ينبعث عنه وتيم بدفات الحيوة الطبيعية
اعمايتم بالحس والحركة وغاية الحركة انما هو للحس وعجز الانسان والاحساس بالشئ لا يتم الا بالوهم او التخيل
الموهوم او المتخيل بما هو موهوم او متخيل لا وجود له فى الخارج بل فى الذهن وكل ما لا وجود له فى الخارج فهو
لعب اى باطل ولو تفطن متفطن لعلم ان كل من يلتذ بامر من الامور الدنياوية او يتالم بسببها فانما يلتذ او يتالم
بما هو حاصل فى ذهنه مع قطع النظر عن الخارج حتى لو جزم انسان بوجود امر ملايم له كانت اللذة مترتبة على الملايم
متحققا وان عدم فى الواقع وذلك كمن عشق واحدا واعتقده فى غاية الحسن والجمال اذ ربما كان التذاذه
بوجوده وشوقه بجماله ثابتا مدة مديدة يظن انه موجود فى موضع كذا من داره وهو قد مات منذ اول تلك
المدة فعلم ان وجوده الخارجى ليس موضوع هذه المحبة لانه قد مضى عليه ما الجميع المحبوبات والمعاشيق
الدنياوية فانها اوهام محضة لا وجود لها فى الخارج واللهو والدنيا الذى كلها انما قبل الموت بالقياس الى
هذه المحسوسات وما ينبغى للانسان تعلم انه ليس حصول التعقلات الكلية وادراك المعارف الالهية ونيل الحقائق
الكونية على النحو الذى هى عليه للانسان من جملة الحيوة الدنيا المحتجبة اصلا بل انما هى له لاجل ما به من النشاة
الاخروية والجهة الادراكية العقلية وقد علم انه لما ذكر ان هيهنا حكمين احدهما كون الامور الدنياوية
من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث فى انفسها وبحسب جواهرها افعوانية او وهمية
وثانيهما ان وجود هذه الاشياء للانسان وهمى وكلا الحكمين حق وصواب اما الاول فى مثل ما اشرنا اليه من ان
وجود الذهب فى نفسه ليس لما الانسان بل الاعتقاد بوجوده له مما يلتذ به واما الاول فلما حققناه
فى موضعه مما اتفق عليه المحققون من العلماء وفضلاء من الاولياء والعرفاء من ان المركبات المحسوسة الجزئية
لا وجود لها مستقرا وان الحقائق البسيطة المعقولة التى يتقوم بها تلك الجزئيات وقد صرحوا بان مناط حد

الجزئيات المادية محسوسيتها ومناط المحسوسية وجود الشئ للجوهر الحاس وقد علمت ان لا احساس الا بالتوهم
اى الوجود للقوة الوهمية التى هى من جنود الشيطان وعلم ان لذات الحيوة الدنيا انما هى لعب ولهو لانها من فعل الشيطان
والافليست امور الدنيا بما هى هى اى بالحيثية التى بها ثابتة وحق لذيذة لان لكل شئ حقيقة وحقيقة امور الدنيا
تجددها ونفادها وانصرامها وفنائها لانها اكوان ناقصة واقعة فى جهة السلوك الى الله تعالى والارتقاء اليه والسالك
بما هو سالك لا يحيل له فى حد مدة سلوكه كما لا ان الحركة هو نفس الخروج من القوة الى الفعل فهو ما بين صرافة القوة
والفاقة ومحوضة الفعل والوجود واللذة الحقة من توابع الوجود الحق الذى هو موجد الموجودات والتوجه الى
الحق انما هو بقطع الحجب الظلمانية الساترة للحق لاجل الوجود الموهوم بسبب الحجب بالقوة الوهمية فعالم الكون
كله خيال فى خيال كما قيل كل ما فى الكون وهم او خيال او عكوس فى المرايا او ظلال فحقيقة العكس او الخيال او الظل
اذا اخذ من حيث كونه عكسا او خيالا او ظلا واما اذا اخذ العكس اصلا والخيال عينا والظل شخصا فيكون
كل منها باطلا كما فى قول لبيد الا كل شئ ما خلا الله باطل وكل نعيم لا محالة زائل لان ما خلا الحق تعالى معلول
حق والمعلول اذا اخذ منسوبا الى الحق كان حقا بحقية الحق وواجبا بوجوبه واذا اخذ غير منسوب اليه بل منفردا
عنه كان باطلا فالعالم بما هو عالم وسوى الحق باطل لكنه موهوم الوجود كما ان الظل موهوم الوجود والوهم
من جنود الشيطان والواهمة من جنوده وكذا كل متوهم من حيث هو متوهم اى مذعن لاحكام الوهم من جنود
الشيطان كما ان العقل من جنود الحق وكذا كل عاقل اى مذعن لاحكام العقل وقد علمت
ان التطارد بينهما فى معركة القلب لا تنا قائم كما ان المعقولات جنة العقل وجنوده تلتذ بها ويتبوا
منها حيث يشاء كما ان الموهومات جنة الوهم وجنوده يلتذ بها وترتع منها حيث تشاء قال بعض العلماء
ان ابليس لما تمت حيلته على آدم عم ووصل بالاذية اليه وفاز بالغيبة وبلغ امنيته وسال ربه الانظار
الى يوم يبعثون فاجيب اليه يوم الوقت المعلوم اتخذ لنفسه جنة تجرى فيها انهار او اجرى فيها انهار الاماكل
بها الجنة التى اسكنها آدم عم وقاس عليها وهندس على مثالها هندسة فانية مضمحلة لا بقاء لها
حول سكن اهله وعلمه وذريته وهى كمثل السراب الذى يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئا
وذلك انه من الجن وقد قيل ان الجن التخيل والتمثل لا حقيقة له كما ان فعل ابليس وجنوده انما هو توهمية

وتزدريق ومخاديق لا حقيقة لها فلا حق عندها ليصد بها الناس عن الطريق القويم والصراط المستقيم وبذلك
وعد ذرية ادم اذ قال لاتينهم من بين ايديهم ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم ولا تجد اكثرهم شاكرين والجنة التي
ابليس لذريته ليصد بها ذرية ادم عن الجنة التي كان فيها هي الامور الدنياوية والشهوات الدنية الخبيثة
وفعل الخطايا والاثام وارتكاب المحارم وحب القنية الفانية والخروج عن طاعة الله ومتابعة الذين اخلدوا
الى الارض ورغبوا في الدنيا وعاجلها ودعوة الاخرة واجلها التي هي دار القرار ومحل الاخيار ومقام الابرار
وجميع هذه الامور لعب ولهو كما وصفها الله تعالى به فالعاقل هو الذي وفق للخروج من جنة ابليس الى
الجنة ابيه وذريته الطاهرين فتخلص عن اذناس اجناس ذرية ابليس اجمعين واتباعهم وهم العاكفون على الامور
الدنياوية المكبون على اللذات والشهوات الدنية التي ستنقلب بعينها في الدار الاخرة الى الوان العقوبات
وانواع الالام والمحن الشديدة كما اشار سبحانه بقوله في هذه الاية وفي الاخرة عذاب شديد فهم في العذاب
مشتركون وبذلك توعدهم اذ قال لابليس لاملئن جهنم منك وممن تبعك منهم اجمعين قوله عز وجل
سابقوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والارض اعدت للذين آمنوا بالله ورسله
ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم الاعداد التهية اي وضع الشي
لما يوجد في المستقبل بحيث يتهيأ ... والفضل الافضال والتفضل واحد وهو النفع وهو المقيد
المقصود او الامر الحاصل به وانت في هو الراد هيهنا ومعنى الاية انه تعالى لما بين ان الحيوة الدنيا امر لا حقيقة
لها سوى كونها حيالا لا يحصل بالوجدان الا سرابا ومثلها بما يقبره العاقل ... وهادم الجماعات الى ان
حيوة الاخرة امر محقق ثابت في نفس الامر لكنها اما عذاب شديد واما غفران ورضوان احدهما للسعداء
والاخر للاشقياء ثم كون الاشارة الى انما منهم بعد الا خرقة هي متاع الغرور فرغبت بجانب في المسابقة
الى طلب احد الامرين الاخرين بين المشار اليهما في الاية السابقة وهو الذي يترتب على استعمال الحيوة الدنيا
في طلب الوصول الى لقاء الله واليوم الاخر فقال جل ذكره سابقوا اي بادروا مبادرة السابقين لاقرانهم
ونظرائهم في المضمار وارفعوا العوائق القاطعة عن السلوك الى البغية بالاعمال الصالحة العلمية والعملية
مقبلين الى موجبات الفوز بمغفرة من ربكم قال علي عليه السلام الى التوبة وقيل الى الصف الاول للصلوة وقيل الى التكبيرة

وفي معناه كل ما ورد دليل من الائمة عليهم السلام وبعدهم من المشايخ والمعلمين والى جنة عرضها كعرض السماء
والارض اي وسابقوا الى استحقاق ثواب جنة هذه سعتها وعظمتها وفي ارتكاب حذف المضاف او ما في حكمه
في الموضعين نظر كشفي لا يسع المقام ذكره قال السدي كعرض سبع السموات وسبع الارضين وفي ذكر
العرض دون الطول وجهان احدهما ان كلا لم اشيا ذات مختلفان فان عرضه يكون اقل من طوله فاذا وصف عرضه
بالبسط عرف ان طوله ابسط وامد وثانيهما ان الطول قد يكون بلا عرض بخلاف العكس وقال ابن الاعرابي
طولها لا يمكن ان يقاس الى شي من هذا العالم وما يعهد ان المراد منه مطلق البسط كقوله فذو دعاء عريض
وقوله صلى الله عليه وآله في غزوة احد لما عثمان لقد ذهبت بها عريضا قال الحسن ان الله يفني الجنة ويعيدها على وصف
ذلك الوصف ويصفها لان عرضها كعرض السماء والارض وقال بعضهم ان الله قال ان عرضها كعرض السماء والارض لا جنة
المخلوقة في فوق السماء السابعة فلا تنافي اعدت للذين امنوا اي ادخرت للمؤمنين بالله ورسله وفيه
من التحريض الخالي الفوز بالمغفرة والجنة من فضل الله لكونه موجودا كاملا تاما فوق التمام فيفضل عنه
الوجود وكمال الوجود على غيره من يشاء والله ذو الفضل العظيم لان العالم وما فيه من فضل جوده وفيضه
فلا استبعاد ان يجري الدائم الباقي على العمل القليل الفاني ولو اقتصر على قدر ما يستحق بالاعمال كان عدلا
لكنه تفضل بالزيادة كما انه لو اقتصر على افاضة الوجود على العالم كان تاما واجبيا وملكيه وسلطانه
لكنه تفضل بوجود العالم بالكثرة من غير ضرورة داعية على ذاته وداعية مستولية عليه وان احدا لا ينال خيرا
في الدنيا والاخرة الا بفضل الله فانه لو لم يدعنا الى الطاعة ولم يهيئ الطريق ولم يوفقنا للعمل الصالح
اهتدينا اليه فذلك كله من فضل الله وقال ابو القاسم البلخي ان الله جاز له لو اقتصر لعباده في طاعتهم على
مجرد احسانه السابقة اليهم لكان عدلا فلهذا جعل بجانبه الثواب والجنة فضلا قيل وفي هذه الاية اعظم
رجاء لاهل الايمان لانه ذكر ان الجنة معدة للمؤمنين ولم يذكر مع الايمان شيئا آخر والذي عليه المحققون
ما سبق ان الايمان بالله والرسول وبما جاء به هو اجل المراتب الكمالية للانسان وبه يستحق السعادة العظمى
من الاعمال الصالحة فهو خلاف الفرع عن العلاقة الدنياوية المكدرة لمراة القلب المانعة عن ادراك الحقائق والمعارف
الالهامية في الحقيقة الحقة الالهية لا يتيسر الا بقطع الاغراض الدنياوية الا بالاعمال الصالحة المقربة الى القدس

ولا يتيسر الاخلاص في العمل الا بالعقيدة الايمانية فالايمان هو المبدأ والغاية في كل جزء وكمال علمي وعملي يدور
على هذه وما استحيلا لا يحتاج بيانه الى كلام مشبع لا يناسب المقام مكاشفة في ان الجنة حق والنار
حق اعلم ان قوله تعالى اعدت للذين آمنوا وكذا قوله تعالى اعدت للمتقين دليل واضح على ان الجنة مخلوقة
موجودة للمتقين والمؤمنين لانها نتيجة اعمالهم وافعالهم ومن جملة الآراء السخيفة رأي من زعم ان
الجنة والنار لم توجدا بعد ولا توجدان بعد الا بوار العالم وخراب السموات والارضين واشار الى فساد
هذا الرأي في قوله انهم يرونه بعيدا ونريه قريبا وفي قوله اولئك ينادون من مكان بعيد ومن الآراء
السخيفة ايضا اعتقاد اكثر الناس ان اجسام اهل الجنة اجسام لحمية كثيفة مركبة من اخلاط اربعة قابلة
للاستحالات معرضة للآفات وانا تامل احد في ما وصف الله تعالى من صفات اهل الجنة ظهر له فساد
هذا الرأي وقد قال سبحانه لا يمسهم فيها نصب ولا يذوقون فيها الموت وانهم فيها خالدون لا خوف
عليهم ولا هم يحزنون ومن علامات حقية الاعتقادات انه لا يقع فيها تناقض وتخالف وهرج ومرج واكثر
آراء الجاهلين والمتشبهين بالعلماء كاكثر الكلاميين يكون بحيث اذا اعرض صاحبه على عقله انكره
ضميره وان اقر بلسانه وجحده مناقضا لسانه اعتقاده تردد وصوله فيقع عند ذلك في شدة حيرة
وسوء ظن بربه كما قال الله تعالى وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم ارديكم فاصبحتم من الخاسرين ولا بد لكل
احد ان يعلم ان الجنة والنار الجسمانيتين غير معلومتين لكنه الا للكاشفين الذين انكشفت عيونهم عند
الله وغلب عليهم ظهور سلطان الآخرة فصاروا بحيث يكون ابدانهم في الدنيا ساكنة وارواحهم
في الآخرة سايرة فهم من اهل الاطلاع على حقائق الامور الاخروية ولا بد للمحجوبين ومن لم يقف على اسرارهم
ولم يصل بعد الى مقامهم ان يعتقدوا ايمانا بالغيب ان الجنة التي عرضها السموات والارض موجودة في
عالم الغيب بحيث لا يمكن مشاهدتها بهذه العين وليست اجسام الآخرة من جنس الاجسام التي يقع بينها
تزاحم وتضايق بل التزاحم والتضايق من خواص هذه الاجسام التي تشاهد بهذه الحواس التي هي
المستحيلة فتلك الاجسام لا تشاهد الا بالبصيرة الباطنية ولا بد ايضا ان يعلم كل من يؤمن بالله واليوم
الآخر ان للاعمال والافعال الدنيوية باعتبار تأثيرها في مادة النفس وملكاتها علاقة طبيعية مع غايات

الامور الاخروية

الامور الاخروية فكما ان الاثر المسمى بالمعصية في الدنيا يؤدي بصاحبها في الآخرة الى الاحتراق بالنار
والتعذيب بالجحيم والزقوم والتصلية بالجحيم فكذا المسمى بالطاعة يظهر في الآخرة بصورة الجنة والرضوان
والتنعم بالفواكه والحور والولدان والغلمان فهذه الافعال التي هي المحمودة التي هي الطاعات انما يراد لاجل
اكتساب الاخلاق الحسنة وكذا الافعال المذمومة انما يترك لاجل انها تنجر الى الاخلاق السيئة فالغرض
من الاوامر الشرعية افعالا كانت او تروكا انما هو ضبط العادات وتقويم الملكات وتبديل السيئات
منها الى الحسنات بتوفيق الله وتأييده منه كما قال سبحانه في حق المخلصين من عباده اولئك يبدل الله
سيئاتهم حسنات وكما ان في الدنيا لكل صفة تغلب على باطن الانسان وتستولي على النفس بحيث تصير ملكة
لها توجب صدور افعال منه مناسبة لها بسهولة ويصعب عليه صدور اضدادها غاية الصعوبة
وربما يبلغ ضرب من الاولى حد اللزوم وضرب من الثانية حد الامتناع فكذلك احال الملكات والاخلاق
في الآخرة اذ كل صفة تبقى في النفس وترسخ فيها وانتقلت معها الى تلك الدار صارت كالنار
ولزمت لها الآثار والافعال الناشئة منها بصورتها وليست الافعال لازمة في دار الدنيا وتبرئ في
لزومها لمصادرها التي هي الملكات تلك المثابة اذ الدنيا دار اكتساب للعلل الاتفاقية فيها تبدل واول
وحيل والدواعي والصوارف الخارجية فلا يطرحون فالشقي ربما يصير بالاكتساب سعيدا وبالعكس
بخلاف الدار الآخرة فان باب الاكتساب والتحصيل فيها مسدود ولكل نفس فيها حد محدود كما اشير
اليه في قوله يوم لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل او كسبت في ايمانها خيرا ولان الدنيا
دار تعارض الاضداد وتفاسد المتدافعات بخلاف الآخرة لكونها دار الجمع والاتفاق من غير تمانع
ولا تضاد فالاسباب هناك لا تكون الا عللا ذاتية كالفواعل الحقيقية والغايات الذاتية ونقل العرضية
فلا يصلح اثر الصفات النفسانية لا يتخلف منه هناك كما تخلف عنا ههنا فلا سلطنة للعلل العرضية فنالكرم
والاسباب الاتفاقية بل الملك لله الواحد القهار كما في قوله ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن اذن
له اي لا تأثير هناك للعلل الاتفاقية بل للذاتية وكذا في قوله من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه وقوله لا
تنفعهم شفاعة الشافعين اي العلل الاتفاقية مثل المادة في الشفاعة كما قرره لاجل حصول

الاستعداد والمناسبة الحاصلة من دعوته لامته التي كانت خير امة اخرجت للناس يامرون بالمعروف
وينهون عن المنكر وهذا القدر من المعرفة اقل ما يكفي المستبصر لان يؤمن بجميع ما وعده الله ورسوله
او توعد عليه لسان الشرع من الصور الاخروية المترتبة على الاعتقادات والاخلاق المستتبعة
للذات والالام ان لم يكن من اهل المكاشفة الباطنية والمشاهدة الاخروية واما معرفة التفاصيل
في نتيجة كل صفة وعمل وعد فيه او توعد عليه الشرع الانور بحكومة اخروية فيتوقف على كشف
تام ومعرفة كاملة واتصال قوي بعالم الغيب وتجرد بالغ عن علائق هذا العالم فكل من لم يتحدث
في العلوم يجب عليه ان يتامل في الصفات النفسانية والاخلاق الباطنية وكيفية منشائيتها للاثار
والافعال الظاهرة منها ليحصل ذلك ذريعة لان يفهم كيفية استتباع الاخلاق المكتسبة في الدنيا من
تكرر الافاعيل للاثار المخصوصة في الآخرة تحقيقا لقوله عم الدنيا مزرعة الآخرة فكما ان شدة
الغضب والغيظ في محل غضبان يوجب ثوران دمه واحمرار وجهه وحرارة جسده واحتراق
مواده الرطبة التي هي ارطب من الحطب اليابس على ان الغضب صفة نفسانية موجودة في عالم روح
الانسان وملكوته والحركة والحمرة والحرارة والاحتراق من صفات الاجسام وقد صارت هذه الصفة
الواحدة النفسانية مصورة بهذه الهيئات والعوارض الجسمانية في هذا العالم فلا عجب من ان يكون
رسوخ هذه الصفة المذمومة بما يليها في النشاة الاخرى نار جحيم التي تطلع على الافئدة فيحرق
صاحبها وكما يعرض ايضا لصاحبها امور مستنكرة وافعال مستكرهة اذا لم يكن لها صارف
عقلي من ضربان العروق واضطراب الاعضاء وقبح المنظر وربما يؤدي بصاحبها الى الضرب الشديد
بل القتل للغير بل لنفسه وربما يموت غيظا فكذا القياس بما يعرض لها [illegible] اشد وابقى وبهذه
الموازنة بين النشأتين يشعر قوله تعالى ولقد علمتم النشأة الاولى فلولا تذكرون فاذا تامل احد في
استتباع هذه الصفة المذمومة الواحدة لتلك الآثار واللوازم الذميمة يمكن له ان يقيس عليها باقي
الصفات الموذيات في الاعتقادات المهلكات وكيفية انبعاث نتائجها ولوازمها منها يوم الآخرة من
النيران وعقاربها كما في قوله تعالى سيجزيهم وصفهم وكذا احوال الاعتقادات من حسنات الاخلاق وحقايق

الاعتقادات

الاعتقادات وكيفية استتباعها للنتائج والثمرات من الجنان والرضوان والوجوه الحسان فعطف
يثبت القول بوجود الجنة والنار بالحقيقة ولا يحتاج الى التجوز في قوله اعدت للمتقين وقوله وان
جهنم لمحيطة بالكافرين قوله تعالى ما اصاب من مصيبة في الارض ولا في انفسكم الا في كتاب من قبل ان نبراها
ان ذلك على الله يسير المصيبة في الارض نحو الجدب وقلة النبات وآفات الزرع ونقص الثمار
وتلف الحيوانات وموت الانسان والمصيبة في الانفس نحو الادواء والامراض والاوجاع والثكل بالاولاد
وغيرهما من الشرور والآفات الخارجية والداخلية وربما كان بعض انحاء الوجودات والخيرات لطائفة من
الناس هي بعينها مصائب وآفات لجماعة اخرى منهم بالاستجرار الا في كتاب يعني الا وهو مثبت مكتوب
في لوح محفوظ من الالواح العالية المحفوظة عن التحريف والفساد والبطلان من قبل ان نبراها يعني
المصائب او الارض او الانفس ان ذلك اي اثبات ذلك على كثرته وتفصيله هين على الله سهل يسير
وان كان عسيرا على غيره مكاشفة اعلم ان حقائق الاشياء مسطورة اولا في العالم المسمى باللوح
المحفوظ بل في قلوب الملائكة المقربين المحفوظين بحفظ الله وتنقيته وحراسته اياهم عن الخلل والنقصان
والنسيان وكما ان للمهندس يسطر صور ابنية الدار في نسخة بل في خياله اولا ثم يخرجها الى الوجود على وفق
تلك النسخة المسطورة اولا في الخيال يسطر الاشياء [illegible] العين وكذلك فاطر السموات والارض
كتب نسخة العالم من اوله الى اخره في العالم الاعلى العقلي ثم النفسي ثم الخيالي ثم اخرجه على وفق تلك النسخة
الى الوجود الحسي المدرك باحد الحواس فتعلق علمه بالاشياء الكائنة على هذا الترتيب بالوجه الفعلي
بخلاف علمنا الانفعالي بها الذي يحصل لنا على عكس هذا الترتيب فان العالم الموجود الذي خرج
الى الوجود بصورته يتادى منه صورة اخرى الى الحواس ثم الى الخيال ثم الى النفس ثم الى العقل المنفعل
المتحد بالعقل الفعال فترتيب الصعود العودي على عكس ترتيب النزول البدوي فالحاصل في العقل
الانساني موافق للعالم الموجود مقابل على التعاكس في انحاء الحصول وتوضيح ذلك ان من ينظر الى السماء
والارض ثم يغض بصره يرى صورة السماء والارض في خياله كانه ينظر اليها ولو انعدمت السماء والارض
في انفسهما كانه يشاهدهما وينظر اليهما ثم يتادى من خياله اثر الى العقل فيحصل فيه حقائق الاشياء التي

التي وجدت في الحس والخيال فالعالم الموجود في ذهن الانسان مطابق للموجود في الكون وهو مطابق
للنسخة الموجودة في اللوح العقلي وهو سابق على وجوده في القدر والصور المثالية وهو سابق
على وجوده الحسي ويتبعه وجوده الخارجي الكوني ويتبع وجوده الخارجي وجوده الخيالي ويتبع وجوده الخيالي
وجوده العقلي اعني وجوده في القوة العاقلة الانسانية المتحدة بالعقل الفعال وكما ان تلك الصور كانت
نازلة من عنده تعالى في سلسلة البدو وكذلك صاعدة الى الله تعالى في سلسلة العود فانه تعالى منه البدو واليه الرجعى
ثم لما كانت بعض هذه الموجودات روحانية عقلية وبعضها مثالية وبعضها حسية فكان الموجود الصادر
من الحق عقليا ثم نفسانيا ثم حسيا فدار على نفسه فصار حسيا ثم نفسانيا ثم عقليا واذا السخية زيادة
الاطلاع على حكمة الله تعالى في خلق العالم وعجائب صنعه في الموجودات حيث ابرز مكنونات المكونات اولا بقدرته
وارادته ازلا في قضائه وقدره ثم اظهر مستورات الحقائق وخفيات المخلوقات ثانيا بتوسط القلم الاعلى
واللوح الاعظم على منصات الاكوان في عالم الزمان والمكان فاستمع لترجمة التيسير الذي يتيسر سماعه للمحقق
البصير فنقول لما كان الباري تعالى لما شرع في الافاضة والجود فاول ما افاد وجوده هو العالم العقلي المشتمل على صور
روحانية هي جواهر مجردة عن الاجسام والمواد منزهة عن العوايق الخارجية والقشابه مدركة لذواتها ولما عداها
بذواتها على ما بين بالبرهان ودل عليه الحديث والقران وصرح به في كتب اهل العرفان وهي عالم الامر كما قال
ويسئلونك عن الروح قل الروح من امر ربي وروى عن النبي صلعم ان الله كتب كتابا قبل ان يخلق الخلق ان رحمتي سبقت
غضبي فهو مكتوب عنده فوق العرش وهذا العالم عالم الملائكة الموكلين بعالم السموات والارضين على وجه الاشراف
والتاثير واعلاهم الكروبيون وهم العاكفون في حظيرة القدس لا التفات لهم الى الاجسام بل لا التفات
لهم الى ذواتهم لاستغراقهم بشهود جمال الحضرة الربوبية وجلالها ولا يستبعد ان يكون في عباد الله من يشغله جلال
الحق عن الالتفات الى غيره فقد وقع في الحديث عن رسول الله صلعم ان لله ارضا بيضاء مشحونة خلقا لا يعلمون
ان الله يعصى في الارض ولا يعلمون ان الله خلق ادم وابليس رواه ابن عباس وهذا الصنف من الملائكة
ليست واقعة في سلسلة علل الاجسام وليست فيها جهة نقص يكون بازائها صورة معلولة اما القريبة الجسمانية
فغير ممكن لعدم تحمل العقليات العقلية لا ان علوها فعلية فتدبر وفي الجملة الجميع انوار محضة عقلية الا انها

بعضهم

بعضهم المهيمون وهم الاعلون وبعضهم الادنون في الصف الاخير وهم انوار قاهرة في تمام النفوس والاجرام
بامر الله تعالى وقاهريتها صورة صفة قاهرية الله تعالى وجباريته كما ان نوريتها من سبحات وجهه وجماله تعالى
وبهذا الاعتبار يسمى الملائكة المقربين ومثالها عالم القدرة وعالم الجبروت اذ يفيض منها صور الاشياء
وحقايقها باذن الله سبحانه وكذا يفيض منها صفاتها وكذا الاسماء التي بها يخبر بعضها فانها عالم جميع الحقايق
باعيانها وذواتها وكانها متقررة فيها وبهذا الاعتبار يسمى عقولا وذلك العالم هو صورة الاولى القضاء
فالقضاء عبارة عن ثبوت صور جميع الاشياء في العالم العقلي على الوجه الكلي ومحله عالم الجبروت تقدس
تعالى عن شوب الكثرة وهو المسمى بام الكتاب الذي اشار اليه بقوله تعالى يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده ام
الكتاب وكلما افيض علينا من العلوم الحقة موسومة بالعلوم اللدنية يفيض عنه كما قال تعالى اقرا وربك
الاكرم الذي علم بالقلم وتلك الجواهر خزائن غيبه كما قال وان من شيء الا عندنا خزائنه وما ننزله الا
بقدر معلوم وكان عالم الروحاني بجوهره المجرد محل القضاء فعالم القضاء في بحر السماوي محل القدر اذ
الصور العقلية الكلية في عالم القضاء في غاية الصفاء والوحدة لا يتراءى ولا يتمثل لغيرها النسخة في
كمرآة مصيقلة فيه البصر عن ادراك ما فيها من الصور فبتقابلها ينتقش تلك الصور منها في النفس الناطقة الكلية
التي هي قلب العالم كما ينتقش بالقلم في اللوح صور معلومة مضبوطة منوطة بعللها واسبابها على وجه كلي
بطريقة قولية عند استحضار المعلومات الكلية كالصور النوعية مثلا وكبريات القياس عند الطلب الجزئي قبل
الجزئي المنبعث عند العزم على الفعل وهو اللوح المحفوظ ومحل القضاء لانضباط تلك الصور فيها وانحفاظها
عن التغير والزوال ثم ينقش منها في النفوس الجسمانية الجزئية السماوية التي هي قوى نفوسها الناطقة منبعثة
منها منطبعة في اجرامها نقوشا جزئية متخصصة باشكال وهيئات معينة مقدرة لمقادير واوضاع معينة
من اول الاحوال والا على طبق الخارج كما ينتقش في قوتنا الخيالية المعلومات الجزئية كالصور الشخصية وصغريات
القياس مثلا ليحصل بانضمامها الى تلك الكبريات راي جزئي ينبعث عنه القصد الجازم الى الفعل المعين
فيخرج منها ذلك الفعل بعينه وذلك العالم هو لوح القدر فالقدر عبارة عن حصول صور جميع الموجودات في
العالم النفسي على الوجه الجزئي مطابقة لما في المواد الخارجية مستندة الى اسبابها واجبة بها لازمة لاوقاتها

القياس م

وعالمه عالم المثال لانه خيال العالم وسماء الدنيا التي تنزل اليها الكائنات اولا من غيب الغيوب ثم تظهر في عالم
الشهادة كما ورد في الحديث وتلك النفوس من قوى نفوسنا الناطقة بمنزلة قوانا الخيالية من نفوسنا ولكل منها
كتاب مبين كما اشير اليه بقوله تعالى ولا حبة في ظلمات الارض ولا رطب ولا يابس الا في كتاب مبين وقوله ما من دابة
في الارض الا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل في كتاب مبين وحصول تلك الصور المعينة المتعلقة
بوقتها المعين هو قدر الشيء المعين الخارجي كما قال وما ننزله الا بقدر معلوم ومحل هذا القدر هو الخيال الكلي
التي هي بمنزلة لوح هذا القدر والذي محله الملكوت العمالة باذن الله كما ان محل القدر ولوح القضاء هو العالم
النفسي ومحل القضاء هو عالم الجبروت وهذه التي ذكرناها حالة تحتاج الى التفصيل والتدقيق في غير هذا
الموقف وقد فصلنا وبسطنا القول فيها ودرنا براهين المقاصد الربوبيات في كتابنا الكبير المسمى بالاسفار
الاربعة ومن عجائب صنع الله سبحانه انا نتابع نظائر جميع هذه الحقائق المتعلقة بمنازلة المقدسة من القلم واللوح
والقضاء والقدر وعالمي الخلق والامر والشهادة والغيب والدنيا والآخرة واودع من كل واحد من تلك
المعاني امور حاوية مثالا في فطرة الآدمي ووجد لبعض صورة الانسان مثالا لذاته وصفاته وافعاله
وان لم يكن مثالا لتعاليه عن الشبه والمثل كما ان افعال الانسان عند ارادة صدورها منه وبروزها من
مكان غيبها الى مظاهر شهادتها اربع مراتب كونها اولا في مكمن روحها العقلي الذي هو غيب غيوبه في غاية
الخفاء كانها عن شعوره بعد ثم ينزل الى حجرة قلبه الحقيقي وهو النفس الناطقة عند استحضارها واخطارها بالبال
كلية ثم ينزل الى مخزن خياله وهو النفس الحيوانية متشخصة جزئية ثم يتحرك اعضاؤه عند ارادة اظهاره فتظهر
في الخارج فكذلك الحال فيما يحدث في العالم بعناية الله وارادته من الحوادث اذ الاول بمنزلة القضاء ومحله
بمنزلة القلم والثانية بمنزلة نقش اللوح المحفوظ ومحله اللوح المحفوظ من النفس الانسانية جوهر روحاني الحق لا يستفيد
بشيء من البدن والثالثة بمنزلة الصورة في السماء الدنيا ونقش لوح القدر على ما رآه ومحله اللوح المقدر والجسم
الصقيل البخاري الدخاني للدماغ بالشبه وهو دخان والرابعة بمنزلة الصور الحادثة في المواد العنصرية ولا
شك ان النزول الاول لا يكون الا بارادة كلية والنزول الثاني بارادة جزئية خفية ينضم الى الارادة الاولى
الكلية فتخصصها ويقيدها جزئية فتبعث بحسب ملائمتها ومنافرتها اي جزء فيستلزم ارادة جازمة داعية

الى ظاهره

الى ظاهره فيتحرك الاعضاء والجوارح ويظهر الفعل فحركة الاعضاء بمنزلة حركة السماء وظهور الفعل هو
القدر عند الله حيثيات ان وكان سلطان الروح الذي هو العقل والادراك في البدن لا يظهر الا في الدماغ
لكان الروح الدماغي النفساني فكذلك سلطان الروح الكلي الذي هو روح العالم لا يكون الا في العرش لكان
القوة المحركة السارية فيه فهو من العالم بمنزلة الدماغ من الانسان وكان مظهره الاول ايضا هو القلب الذي هو
منبع الحياة فكذلك مظهره الاول فيه هو الفلك الرابع الذي هو فلك الشمس ووسط العالم ومنبع حياة العالم
ومفيضا تدبير الكائنات ومدبرها بالنور الحسي المظهر لكل شيء من الاجرام والمعطي لها حظها من الحياة الحيوانية
الحسية كما ان الباري منبع الحياة العقلية للذوات العقلية النورية والنور لذواتها والمكمل لها بافاضة العشق
والنور والوجود على ذواتها التي ابدعت بمحله كما انها لاتزال وعشقها ناطقها سند اهل الفطرة من الله مبدئها
والبدن شبيهها فالشمس مثال الاعظم في خليقته في عالم البدن الانساني بروحه الحيواني وقوتها السارية في
كل عضو من الانسان وروح الفلك بمنزلة الروح الحيواني الذي في القلب لانه يحيي جميع الاعضاء وهو البيت
المعمور المشهور في الشريعة انه في السماء الرابعة المقسم به في التنزيل حيث قال والطور وكتاب مسطور في
رق منشور والبيت المعمور والسقف المرفوع والبحر المسجور ولهذا جعلت مقام عيسى روح الله عليه
وعلى نبينا وآله وعليه والكتاب المسطور هو نقش القضاء الالهي الثابت في الروح الاول العقلي وذلك الروح
هو الرق المنشور والسقف المرفوع هو السماء الدنيا المذكورة وقريب بالبيت المعمور لانه الصورة
سماد نفخ الروح منه فيتم بها خلق الحيوان والبحر المسجور هو بحر الهيولى السيالة المملوة بالصور وهي الهاوية
والجحيم عند ظهور القيمة والله اعلم قوله عز وجل **لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم والله**
لا يحب كل مختال فخور قرأ ابو عمرو بما اتيكم بالقصر ويكون الفاعل الضمير الراجع الى الموصول والآخرون
بالمد فيكون هو الضمير العائد الى اسم الله والها محذوفة من الصلة تقديره بما آتيكموه لما ذكر سبحانه ان جميع
ما اوجده الله تعالى مثبت في كتاب بين ان اراد تعليل ذلك وتبيين حكمته فيه فقال لكيلا تأسوا ولا تفرحوا
اي فعلنا ذلك لئلا تحزنوا على ما يفوتكم من نعم الدنيا ولا تفرحوا بما اعطاكم الله منها والذي يوجب نفي
الاسى والفرح ان الانسان اذا علم ان كل ما حكم عليه في القضاء السابق من الخير والشر لا من مقتضيات نعمات انشاء

في عالم الاجسام بروحها وقوتها السارية في كل
كل جسم جزء من العالم وكذلك القلب فالد
وخليقته في عالم

التي لا يمكن التقصي عنها يحصل له الاطمينان الكلي والراحة الكلية على ان كل ما يقتضيه حقيقته وكل ما
سوى او معنوي يطلبه عينه لا بد ان يصل اليه كما في ان روح القدس نفث في روعي ان نفسا لن تموت
حتى تستكمل رزقها الا فاجملوا في الطلب فيستريح عن طلب الطلب وان طلب اجمالا لا يخاف من الفوات ولا
ينتظر لعلمه بان الله سبحانه يعطيه في كل حين يعطيه من خزائنه ما يناسب وقته واستعداده فهو واجد ابدا
من مقصوده شيئا فشيئا او بما يقدر له لا يرام من العيش فلا يبقى له حزن على فوات شيء وكذا للفرح على ان بعض
الخير واصل اليه وان حصوله لا يفوته بحال لم يفطر فرحه عند نيله فان قلت بعض الانسان ربما كان مقتضى
ذاته امورا لا تلايم نفسه كالفقر وسوء المزاج وقلة الاستعداد ولا يرى سبيلا للخلاص اذ مقتضى الذات لا
يزول فيحصل له غاية الاسا من هذا الوجه ولذا لا يقبل العلم بسر القدر يعطي النقيضين الراحة الكلية والعذاب
الدايم فكيف يستقيم الحكم بعدم الاسى والحزن على فوات الامور قلنا السبيل له دفع الاسى والفرح الصادرين
عن التخيل بحسب الطبع بل المراد نفي صدورهما عن العاقل على سبيل الاختيار المنبعث عن تصور الفايدة والنفع
وليس للحزن فايدة فيما نذكره ويمكن ان يقال ان العالم بسر القدر لا يكون شقيا والشقي لا يكون عالما به
فمن قال ان العلم بسر القدر يعطي النقيضين فلا وجه له ظاهرا واما ما قيل في بيان عدم الاسا والفرح ان
الانسان اذا علم ان ما فات منهما ضمن الله تعالى العوض عليه في الاخرة فلا ينبغي ان يحزن لذلك واذا علم ان
ما نال منها كلف الشكر عليه والحقوق الواجبة فكلام حسن محمود في المواعظ فان قلت اذا كان عدم الحزن و
الفرح عند المضرة والنفعة الواصلين للانسان ليس مقصودا لذاته لا يليق ان يجعل غاية عند وقوع احدهما ان
احدهما فكيف يلايم ويحسن هذا التعليل والعلل الغائية او الغاية الذاتية التي ينبغي ان يكون مبناه وعلة
سببية او ان يكون الغاية بحيث يكون مترتبة على الفعل قلنا المراد به نفي الاشر الذي هو صاحب غير الصبر المانع
لغير التسليم لامر الله والفرح الملهي المطغي من الشكر الموجب للبطر والاختيال لا ما الحزن الذي لا يكاد احد يخلو منه
مع الاستسلام لحكم الله والسرور بنعمة الله مع اعطاء حقه من الشكر والتفطن لما فيه من الاشتباه والدخول
والعلة بوجه فلا باس بهما والاشعار بان المراد من الفرح المذكور هو الذي يوجب البطر والخيلاء عقبه بقوله والله
لا يحب كل مختال فخور او معجب او فخور متكبر على الناس بالدنيا فان الفرق بين الخيلاء والفخر كالفرق بين العجب والكبر

فان

فان احدهما يجب نفي الموصوف به والاخر له بالقياس اليه دون مقابله والنكتة في ذكرهما في
الموصوف باحد المتقابلين دون الاخر ان هذا اشق منه ولان الاتصاف باحد هذين الوصفين يستلزم الاتصاف
بالاخر اذ قل من يكون له الفرح المطلق عند حظه مساوي ولا يضطرب عند المصيبة بل الغالب انه لا يثبت نفسه حاله الضراء
كما لا يثبت نفسه حاله السراء فلا يعقل الفخور يكون جزوعا عند صبورا وكلا الامرين نقص وخسة والله لا يحب كل
ناقص خسيس ففي هذه الاية اشارة الى اربعة اشياء احدها حسن الخلق لان من استوى وجود الدنيا وعدمها
لا يحسد ولا يعادي ولا يتشاح لان جميعها من اسباب سوء الخلق وهي من نتائج النقص والخسة وثانيها استحقار
الدنيا واهلها اذ لم يفرح بوجودها ولم يحزن بعدمها والى هذا اشار عليه السلم بقوله لا يفقد الرجل حلاوة الفقه حتى
يرى الناس امثال الاباعر يعني لا يحصل بوجودهم ولا بعدمهم كما لا يغير بوجود بعير منه وثالثها الحزن ثم حسن رجوع
الى نفسه ويكون اعظم ما قربها دنيا لها تعظيم الاخرة لما سالت اليه فيها من الثواب الدائم الخالص من الشوائب لانه
لما ليس من وجدان اللذة والنعيم في الدنيا توجه للطلب في الاخرة واهل الدنيا بعكس ذلك لانهم لما يئسوا
من الاخرة ولذاتها ونعيمها اكبوا الى الدنيا واطمانوا بها ويئسوا من الاخرة كما يئس الكفار من اصحاب القبور
ورابعها الافتخار بالحق والتثبت به دون الاشياء والدنيا وروي ان علي بن الحسين عليهما السلم جاءه رجل فسأله عن
فقال ما الزهد فقال الزهد عشرة اجزاء فاعلى درجة الزهد ادنى درجة الورع واعلى درجة الورع ادنى درجة
اليقين واعلى درجة اليقين ادنى درجة الرضا وان الزهد كله في اية من كتاب الله لكيلا تاسوا على ما
فاتكم ولا تفرحوا بما اتيكم وقيل لبزرجمهر ايها الحكيم لا تاسف على ما فات ولا تفرح بما هو ات فقال لان الفائت
لا يتلافى بالعبرة والاتي لا يستدام بالحبرة **مكاشفة** وقد وضح من هذه الاية ان كل ما وقع او سيقع
في هذا العالم مقدر بهيئته وزمانه مكتوب في صحف وحضور سابق عالم الامر قبل وجوده فان اشتبه عليك
الحال في الافعال المنسوبة الى الاحيا وتخيل اليك انها خارجة عن هذا القدر ملزم ان يكون بالاضطرار جملة
تجد الفرق بين المضطر والمختار وما اذا تصرف فيها بالتدبير والتغيير وحكم بها بالتقديم والتاخير ثم اذا كان
الكل بالقضا والقدر فلما ذا يواخذ ويعاقب عليها الوجوه ويصاحب القصد فيها وما الفرق بين سهوها وعمدها
وكيف يتجه المدح والذم لما ذا اتى فما التخيف في التكليف بالطاعات والعبادات ودعوة الانبياء بالايات والمعجزات

واى تاثير للسعى والجهد واى توجيه للوعيد والوعد وما معنى الابتلاء فى قوله تعالى ليبلوكم ايكم احسن عملا
وما لا يحصى من الآيات الدالة على ان مدار التكليف هو الاختيار وبناء الامر والاخبار على الاختيار فلا جرم
الامر والنهى فى مجارى القضا والقدر وتفكر فى سلسلة الاسباب والعلل وتدبر فى مبانى الامور حق
التدبر ومعانى الآيات بقوة التفكر ان كنت من اهله وحققت لاجله عسى الله ان ياتى بالفتح او امر من عنده
ليقضى الله امرا كان مفعولا وينكشف لك ما ينكشف لاهل الحق والراسخين فى العلم وتخلص عن الشرك الخفى
وتبادر عن التفطن بما تفطن به العرفاء الكاملون لا الاعتذار والتوبة والاستغفار واعلم ان القضاء والقدر
انما يوجب ما يوجبان بتوسط اسباب وعلل مترتبة منتظمة بعضها علل مقتضيات كالمبادى العالية
من الجواهر العقلية وبعضها مدبرات ومعدات كالنفوس السماوية والحركات والاوضاع الفلكية والصور
اللواحق والامور الجارية مجرى الاشياء الاتفاقية التى هى لها ومنه من حيث ومنها من الادراكات والارادات
الانسانية والحركات والسكنات الحيوانية وبعضها قوابل واستعدادات ذاتية وعارضية ايا ما يختص بسببها
بحال دون حال وصورة دون صورة ترتيبا واتساقا متسقا معلوما فى القضاء السابق فاجتماع
تلك الامور من الاسباب والشرائط مع ارتفاع الموانع علة تامة يجب عندها وجودها اذ لا اثر للمدبر المقتضى المقدر
وعند تخلف واحد منها او حصول مانع يمتنع وجوده فى حيز الامتناع ومع قطع النظر عن وجود جميع الاسباب
وعدمه يبقى فى حيز الامكان فاذا كان من جملة الاسباب وخصوصا القريبة منها وجود هذا الشخص المكلف
الانسان وادراكه وعلمه وارادته وقبوله التكليف وتفكره وتخيله الذى يختاره احد طرفى الفعل او تركه
كان ذلك الفعل اختياريا واجبا وقوعه بجميع تلك الامور المجتمعة علة تامة ممكنا بالنسبة الى بعض منها فوجوبه
لا ينافى امكانه ومجبوريته لا تنافى كونه بالاختيار كيف وانه ما وجب الا بعد كونه ممكنا وما جبر عليه الا بعد
كونه مختارا فمن نظر الى بعض الاسباب قاصرا نظره الى القريبة منها وراها مؤثرة بالاستقلال قال بالقدر
التفويض اى بكوننا واقعة بقدرتنا الاستقلالية مفوضة الينا ولهذا قال عليه وآله الصلوة والسلام
القدرية مجوس هذه الامة لانهم اثبتوا مبادئ قادرين مستقلين كالمجوس القائلين بيزدان واهرمن وان
احدهما فى الخير والاخر فى الشر بالاستقلال ومن نظر الى السبب الاول ولم يكن تلك الاسباب والوسائط

مستندة

مستندة باسرها على الترتيب المعلوم فى سلسلة العلل والمعلولات الى الله تعالى استنادا واجبا ترتيبا
معلوما على وفق القضاء والقدر وقطع النظر عن الاسباب القريبة او نفى التاثير مطلقا عن العلل والمعلولات
وابطل حكمة الله فى نظم الاسباب وتقديمها على المسببات قال بالجبر وخلق الافعال ولا يفرق بين افعال الاحياء
وافعال الجمادات وكلاهما اعور دجال لا يبصر باحدى عينيه اما القدرى فالعين اليمنى التى هى النظر
الاقوى الذى به يدرك الحقائق واما الجبرى فالعين اليسرى التى هى الاضعف الذى يدرك به الظواهر واما
من نظر حق النظر فاصاب بقلبه ذو عينين يبصر الحق باليمنى فيضيف الافعال الى خيرها بالذات
وشرها بالعرض ويبصر الخلق باليسرى فيثبت تاثيرهم فى الافعال به سبحانه لا بالاستقلال
ولا بالاعداد لا بالايجاد ويتحقق معنى قول الصادق ع لا جبر ولا تفويض بل امر بين امرين
فيتضح له ان هو الفضل الكبير واما من اضاف الافعال الى الله تعالى فيسقط التوحيد و
اسقاط الاضافات ومحو الاسباب والمسببات لا بمعنى خلق الافعال فينا او خلق قدرة
وارادة جديدتين ما بين القدرة والارادة عند صدور الفعل عنا فهو الذى طوى بساط
الكون وخلص عن مضيق الكون وخروج عن البين والاين وفنى فى العين لكنه بقى فى المحو لم يجئ
الى الصحو اذ زاغ بصره عن مشاهدة جماله وسبحات وجهه وجلاله فاضمحلت الكثرة فى شهوده واحتجب
التفصيل عن جمعه وذلك هو الفوز العظيم اذا رجع الى الصحو بعد المحو ونظر الى التفصيل فى عين
الجمع غير محتجب برؤية الحق عن الخلق ولا بالخلق عن الحق ولا مستقل بوجود الصفات عن الذات ولا
بالذات عن الصفات فهو الولى الحق الصديق صاحب التمكين والتحقيق ينسب الافعال الى الله تعالى
بالايجاد ولا يسلب عن العباد بالاعداد كما فى قوله تعالى وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى

تكميل

وتوضيح فعلم مما ذكر ان الدعوة والتكليف والارشاد والتهذيب والوعد والترغيب والايعاد
والتهديد بدا امور جعلها الله تعالى مهيجات الاشواق ودواعى الخيرات وطاعات واكتساب فضائل
وكمالات ومعرفات على اعمال حسنة وعادات محمودة واخلاق جميلة وملكات فاضلة مرضية نافعة
فى معاشنا ومعادنا يحسن بها حالنا فى دنيانا ويحصل لنا سعادة عقبانا او [illegible] عن اضدادها

من الشرور والقبائح والذنوب والرذائل بما يفضي بنا في العاجل فيشقى بنا في الآجل لم يحصل لنا شيء
من الطرفين الا بتلك الاسباب فقط لتعينهما وكانت تلك الوسائط ايضا مقدرة لنا واجبة بالحيثية
كما قال عليه وآله السلام لمن سأله هل يغني الدواء والرقية من قدر الله قال الدواء والرقية ايضا من قدر الله
ولما قال عليه وآله السلام جف القلم بما هو كائن قيل ففيم العمل فقال اعملوا فكل ميسر لما خلق له ولما قال
انحن في امر فرغ منه او امر مستأنف قال في امر فرغ منه وفي امر مستأنف ومن هذا علم ان كل
ما يصدر عنا من الحركات والارادات والحسنات والسيئات محفوظة مكتوبة علينا واجب صدورها
علينا مع كونها باختيارنا كما قال تعالى وكل شيء فعلوه في الزبر وكل صغير وكبير مستطر وقال تعالى ونكتب
ما قدموا وآثارهم وكل شيء احصيناه في امام مبين حتى معرفات لسعادتنا وشقاوتنا
في العقبى وليست بموجبات لها وكذلك لا تحصيل لنا من الرغائب والمكاره كما قال النبي صلعم واعلم ان
الامة لو اجتمعت على ان ينفعوك بشيء لم ينفعوك الا بشيء قد كتبه الله لك ولو اجتمعت على ان يضروك بشيء لم يضروك
الا بشيء قد كتبه الله عليك رفعت الاقلام وجفت الصحف وقال امير المؤمنين علي عليه السلام علما
علما يقينا ان الله لم يجعل للعبد وان عظمت حيلته وقويت مكيدته واشتدت طلبته اكثر مما سمي
له في الذكر الحكيم اي اللوح المحفوظ والشواهد في هذا الباب اكثر من ان تحصى وما ذكرنا من الابتلاء فهو اظهار
ما كتب علينا في القدر وابرازه ما اودع فينا وغرز في طباعنا بالقوة بما يظهر من الشواهد ويخرجه
الى الفعل من الوقائع والحوادث والتكاليف الشاقة بحيث يترتب عليه الثواب والعقاب فانها ثمرة
ولوازم وتبعات وعوارض الامور موجودة فينا بالقوة فاذا لم يصدر عنا صادر في الدنيا لم
يخرج هي الى الفعل في العقبى كما ان المثوبات الاخروية ليست بقصد وارادة جزافية فانه تعالى الحق
المقدس من النقص والشين والالتفات حاصلا من العالي بالقياس الى السافل بل هي من باب الاستجرار
ونظم الاسباب وترتيب المسببات علينا بحكمة المدبر العليم وارادة الصانع الحكيم الذي له الملك
والملكوت وبناء اثار الفاعلية بعض الاشياء ويخلق ما يشاء من غير مصلحة زائدة وارادة متجددة
فكذلك العقوبات الالهية والتعذيبات الاخروية ليست من باب الانتقام من فاعل يحدث فيه انفعال

غضب

غضب يقيم لاجل التشفي والتخلص من حرقة الغضب وشدة اللهب بل النفس الشقية العاصية انما هي
حمالة الحطب بذاتها لسوء افعالها ورداءة اخلاقها لكن بمرض ادت بعضها سابقة الى الحرارة الشديدة و
الاوجاع والآلام على سبيل اللزوم والانجرار لا لمنتقم خارجي فكيف يحصل الاسباب والمقدمات
لشيء ولا يحصل ثمراتها وتبعاتها التي هي عوارضها ولوازمها والجميع معلومة لله تعالى قبل وجودها ومعه
وبعده من غير تغير في ذاته ولا في صفاته بل باعتبار تجدد الاشياء وتعاقبها في مراتب حضورها وشهودها و
التجدد الذي هو واحد من مراتب علمه تعالى بالاشياء التي هي عين الاشياء فقوله تعالى ولنبلونكم حتى نعلم
المجاهدين منكم والصابرين وامثاله معناه نعلمهم موصوفين بهذه الصفة بحيث يترتب عليها
الجزاء واما قبل ذلك الابتلاء فانه علمهم مستعدين للمجاهدة والصبر صائرين اليها بعد حين فاذ تحقق
وقت ذلك كانت الاسباب والمقدمات وبالجملة الفضائل والرذائل والطاعات والمعاصي والخيرات و
الشرور كلها مقدرة مكتوبة علينا قبل صدورها منا مجبورة فينا مربوطة باوقاتها فاما لنا الا
نتساوى في الفضيلة والنقص ولا نتعادل في الخيرات والشرور ولم لا نتشاكل في الطاعات والمعاصي
ولا نتماثل فكيف يختبر بما يجب الاحتراز عنها فنحن ومالها وتبعاتها وباي شيء يتفضل السعيد على
الشقي وقد قدرتا وابقينا قدرنا واين عدل الله فينا وقد قال تعالى وما انا بظلام للعبيد وما ظلمناهم
ولكن كانوا انفسهم يظلمون فيجيبك يا اخا الجدل بمثل ما قال الشاعر هون عليك فكم ما شئت منطق
فانما يقظات العين احلام وما عبرت واسمعها ثم خيل من غيظك ويكفيك هذا الدليل واعلم
ان الاعيان والماهيات متنوعة والصفات والاستعدادات متفننة والارواح الانسية بحسب الفطرة
الاولى مختلفة في الصفاء والكدورة والضعف والقوة مرتبة في درجات القرب والبعد من الله و
المواد السفلية بازائها حسب الخلقة متباعدة في اللطافة والكثافة ومزاجاتها متباينة في القرب والبعد
من الاعتدال الحقيقي فقابليتها لما يتعلق بها من الارواح متفاوتة وقد قدر بازاء كل روح ما يناسبه
من المواد بحسب الفيض الاقدس فيحصل من مجموعها استعدادات مناسبة لبعض العلوم والاخلاق والصفات
والكمالات موافق لبعض الاعمال والصناعات دون بعض على ما قدر لها في الغاية الاولى والقضاء السابق

كما قال عليه السلام الناس معادن كمعادن الذهب والفضة وتتفاوت العقول والادراكات والاشراقات والارادات
بحسب اختلاف الطبايع والغرايز فينزع بعضهم بطبعه الى ما ينفر عنه الاخر ويستحسن احدهم بهواه ما يستقبحه
الثاني والعناية الالهية تقتضي نظام الوجود على احسن ما يمكن ويتصور على ان الموجودات مظاهر لصفاته
العليا ومجال لاسمائه الحسنى وهي مع تخالفها في المفهوم متباعدة في المعنى مع اتحادها بذاته المقدسة وبساطة حقيقته
المقدسة فلا يخلو احد من الممكنات مبداه ومعاده الى اسم من الاسماء الالهية يحكم بحكمه ملايم لما يتوجه اليه فناسب
لما ابتداه منه وكل ميسر لما خلق له سواء علينا اجزعنا ام صبرنا ما لنا من محيص كيف ولو تساوت الاشياء لزال
لفات الحسن في ترتيب النظام وارتفع الصلاح عن العالم ولو خلق الكل طبقة واحدة على حالة واحدة في رتبة
واحدة لا يتميز امورهم ولبقيت في كتم العدم المراتب الباقية مع امكان وجودها فكان حيفا عليها او جورا
لا عدلا وقسطا وبقي الاحتياج ايضا في العالم مع فقدها فالعدل هو تنويع الموارد والاشياء بحسب التسوية
والازدواج وتعديل الامزجة بحسب الانواع وتوزيعها على الاصناف والاشخاص وتوجيه الافراد من الاجناس
الى ما يناسبها من الامور فالاشتغال فيما يناسبه ادراكا واعتقادا فانما ظلم نفسه بظلمة جوهره وكثافة
طبعه وقصور استعداده فكان اهلا للشقاوة في معاده ينادى على لسان الحال الى ابد الابدين
ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك ولذلك خلقهم وتمت كلمة ربك لاملأن جهنم من الجنة والناس اجمعين
واختلاف الغرايز والشمايل كاختلاف الاشكال والطبايع واما التزكية فالسبيل الى الاخرة
فان شريف النفس نجيب الجوهر طيب الاصل
والرذايل لعدم المناسبة واذا هم بادر الغلبة صفة من صفات نفسه وقواه واستيلاء هواه وهيجان شهوة
او غضب
الى عقله وقواه من عزم عزيمة على الفعل كما قال تعالى في يوسف ولقد همت به وهم بها لولا ان راى برهان ربه
فان الهم المنسوب الى يوسف الصديق
لولا ان راى
والصديقين صفاء الفطرة والاستعداد

والاديب نفسه وخبث جوهره ورداءة طبعه وكل يشتاق الى ما يفعله بطبعه ويحبه ويستحسن وان
كان الاخر يعلم ان ضده اجود واحسن كمحبة الزنجي ولا مع قبحه دون الغلام التركي مع حسنه ولكل
الصنفين مرتبة خالصة عن الاخر وطبقات متفاوتة متفاضلة تكون في كل منهما ضرب من الاخر المقابل له ويكون
النجاة ومقابلها بحسب الغلبة لصفات الخير على صفات الشر وبالعكس وبالجملة فاعظم السعادات واجودها
الاستعدادات واكمل الكمالات لاشرف الارواح التي هو القطب الحقيقي والحقيقة المحمدية وهو القطب المطلق لا
القطب الاضافي بحسب كل وقت وزمان كساير الانبياء وساير الاولياء والاوصياء المعصومين
صلوات الله عليهم اجمعين كما قال الله تعالى تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات
ذات بعضها هذه المرتبة العظمى الاستعداد والسعادة الكبرى في المعاد المعبر عنها باعلا عليين
وكلما قصر الاستعداد نقصت السعادة الشقاوة القصوى المعبر عنها باسفل سافلين
فكل صفو كدر ولكل صاف عكر كل قبح حسن والسعادة قسمان دنيوية واخروية
والدنيوية قسمان كالصحة والسلامة القوة والشهامة وخارجية كترتيب اسباب المعاش وحصول
البنين والمال والاخروية ايضا قسمان علمية كالمعارف وعملية كالطاعات والاولى جنة المقربين والثانية جنة
اصحاب اليمين وكما ان الحسن والجمال القسم الاول من الدنيوية فالفضايل والاخلاق الجميلة من القسم عوارض م
الاول من الاخروية وبعدها اقسام الشقاوة قال امير المؤمنين صف العالم فقيل صف الجاهل م
قال قد فعلت فالسعادة والشقاوة بحسب العلم والجهل ذاتيان وبحسب الاعمال
الحسنة والسيئة يترتب عليها المكافات والمجازات الثوبات والعقوبات كقوله جزاء بما
كانوا يكسبون ولا يكون هذه الشقاوة مخلدة الا ما شاء الله مع بعض ويتفرد الا ان
اكثر السيئات واكبرها تتبع الجهل واغلب الحسنات واعظمها تتبع العلم اللهم اجعلنا من السعداء
ولا تجعلنا من الاشقياء المردودين في الكلام لكثرة تحير الناس في هذا المقام
ارادوا ان يعرجوا علم الكلام الموضوع لحراسة عقايد العوام من افساد المجادلين

طريق النجاة والاسلام وقد فرقنا كثيرا من الكاشفات المنكرة المتعلقة بهذا المقصد في كتبنا وسيما
فيما يتعلق بتعذيب الجاحدين والكافرين مخلدا وبقائهم في الجحيم مخلدا وفيما ذكرناه كفاية لمن يقربه
ولا يجمع اكثر منه لمن نفسه عليه فليرجع من اراد الوقوف والاطلاع عليه وبالله العياذ من التقصير وبيده التيسير
كما يسير قوله عز وجل الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل ومن يتول فان الله هو الغني الحميد قرا نافع
ابن عامر ان الله الغني وهو في مصاحف اهل المدينة والشام كذلك والباقون باثبات هو لوجوده في مصاحفهم
والضمير ينبغي ان يكون فصلا لا مبتدأ لان حذف الفصل اسهل اذ لا موضع له من الاعراب بخلاف المبتدأ الا
ترى انه قد يحذف فلا يخل بالمعنى ويقوى بالبخل وقوله الذين بدل من قوله كل مختال فخور وكانه قال لا يحب
الذين يبخلون وفيه دلالة على ان الفرح المطلق منكر بما اوتي فخور على الناس واذا رزق هو واشباهه
وحطام الدنيا فلا ابتهاجهم به والتذاذهم منه وعزته لديهم وعظمته في اعينهم لاجل قصور عقلهم ونقص
فطرتهم وخلو جوهرهم بين عنه من حقوق الله ويبخلون به ولا يكفيهم فلا حتى يروا الناس بالبخل ويحملونهم عليه
ويرغبونهم بالامساك ويزينونه لهم وذلك كله من نتائج فرحهم به وبطرهم عند ما اصابه والفرح بالحظوظ
الدنية الدنيوية من لوازم قصور الذات وخسة الجوهر وقلة العقل حيث لم يتنبه بدثورها وفنائها ولما
كان الابتهاج بمتاع الدنيا والبخل عن اداء حقوق الواجبة وغير ذلك من ذمايم الاخلاق مما يستتبع التوجه
الى الجهة السافلة المستلزم للاعراض عن الحق والتولي عن قبول الدعوة الى الانفاق ومواهبه كما اشار الى انه
غني عن العباد وانفاقهم محمود في ذاته لا يقدح في كماله ذلك ووجوب وجوده الاعراض بحجج مكاشفة
ان قوله هو الغني الحميد من التهديد لا يخفى لما كان اشعار بان الامر بالانفاق لمصلحة تعود الى المنفق فاذا
فاتت عنه ما هو المصلح لذاته المزكي لها عن رذايل الاخلاق كالبخل وحب الدنيا الذي هو راس كل خطيئة كانت
عاقبة السوء اي دلالة في بخل العبد وامساكه عند رجوعه الى الله تعالى بل الامر بالانفاق والتاكيد فيه انما وقع من الله
تعالى لغاية رحمته على عباده حيث هداهم طريق التطهير عن ادناس الاخلاق الذميمة في الدنيا والاخرة مع كونه
غنيا عن العالمين فكيف عن العبد وانفاقه فقد بالغ في الحث على الانفاق حتى طلب الصدقات منهم بقوله من ذا الذي
يقرض الله قرضا حسنا فقال وعيا خذ الصدقات وقد سلك لتحقيق من البخل طريق الاباحة فقال وان الله

غني

غني عن انفاقنا وغني بما في الآن يستقرض منا فاي معنى لقوله تعالى من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا ولو
شاء اطعام المسكين لاطعمهم فلا حاجة لنا اليه وصاحوا انا اليهم كما قال الله تعالى حكاية عن الكفار بقوله واذا
قيل لهم انفقوا مما رزقكم الله قال الذين كفروا للذين امنوا انطعم من لو يشاء الله اطعمه وقال تعالى اخبارا
عنهم لو شاء الله ما اشركنا ولا اباؤنا فانظر كيف كانوا صادقين في كلامهم وكيف هلكوا بصدقهم فسبحان
من اذا شاء اهلك بالصدق واذا شاء اسعد بالجهل كم ادم وا زلت حد هد رشد ذوي الالباب المغرور
المرشد رب تالي القرآن والقرآن يلعنه ورب رجل فقيه متعبد يكون فقهه وتعبده سببا لهلاكه ورب
جاهل مذنب يكون تخشعه وحزنه على قصوره وعصيانه سببا لنجاته يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا
فتوكل لما ظنوا انهم استحقوا الاجل المساكين او لاجل الله تحيرت عقولهم وضلت افهامهم فقالوا لا حظ
لنا في المساكين ولا حظ لله فيها وفي اموالنا امسكنا انفقنا او امسكنا ولم يعلموا ان المساكين الاخذ
بذل الا ليقيل حب البخل وحب الدنيا من الحكم فانه من مهلكات الشخص كالحجام يستخرج الدم من غيره فلينخرج العلة
المهلكة من باطنه فالكلات الصدقات مطهرة للبواطن ومزكات لها عن خباثات الصفات وعيال الله ذنوبهم
لان بالمال يتمكن الانسان العاجز اقتنع رسول الله صلى الله عليه في الزكاة اخذها وانها عنها كما نهى عن كسب
الحجام وسمي اوساخ اموال الناس وشرف اهل بيته بالصيانة عنها فهذا هو القول الكلي واسباب العقلي في جو
الانفاق وقد سبق ان الاعمال مؤثرات في القلب وفي القلب يجب اثرها لتستعد اما لقبول الهداية ونور المعرفة
والالهام واما لقبول الغواية وظلمة الجهل والوسواس ولا يبعد ان يكون قوله ليس لهم طعام الا من غسلين لا ياكله
الا الخاطئون اشارة الى عاقبة حال عمال الزكوة ومنفق الكوة في الذين يأكلون حقوق المساكين
من غير استحقاق ولا اضطرار قوله عز وجل لقد ارسلنا رسلنا بالبينات وانزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم
الناس بالقسط وانزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب
ان الله قوي عزيز اقسم سبحانه انه ارسل الرسل المبعوثين منه وهم الملائكة والانبياء عليهم التقديس
والتسليم بالحجج والمعجزات الباهرة وانزل معهم الوحي والميزان والادلة الهادية الى العلوم والتعليمات ولاتمام
الارشاد الى الاعمال والمعاملات ولهذا عقبه بقوله ليقوم الناس بالقسط اي في معاملتهم بالعدل وكان

جبرئيل نزل بالميزان فدفعه الى نوح وقال مر قومك يزنوا به وعن ابن زيد والجبائي ومقاتل بن سليمان
معناه انزلنا معهم من السماء الميزان ذا الكفتين الذي يوزن به وفيه سر وعن قتادة ومقاتل بن حيان
معناه انزلنا معه الميزان اي امرنا الناس بالعدل كقوله الله الذي انزل الكتاب بالحق والميزان وانزلنا الحديد الذي
يتخذ منه آلات الحروب للذب عن بيضة الاسلام ولباس اهل الثنا ومنفعة الناس اذ ما من صنعة ينتفع
بها الناس في دنياهم الا والحديد آلتها كالكتابة والزراعة وغيرهما وعن ابن عمر عن رسول الله صلعم قال ان
الله عز وجل انزل اربع بركات من السماء الى الارض انزل الحديد والنار والماء والملح ومعنى الانزال عند اهل المعنى
الانشاء منها لان الحوادث الكونية انما يخلق من الله تعالى بتوسط الاسباب الفاعلة السماوية والمواد القابلة
الارضية فهو قوله انزلنا الحديد انشأناه واحدثناه كقوله وانزل لكم من الانعام ثمانية ازواج وعلى هذا المعنى
ايضا يحمل امثال قوله وانزلنا من السماء ماء فان السموات ليست حياضا وعيونا للمياه ولا اصطبلا لله دواب وقال
شبه هذا ذهب مقاتل حيث قال معناه بامرنا كان الحديد وقال قطرب معنى انزلنا هيأنا لهم من النزل وهو ما يهيأ
للضيف اي انعمنا بالحديد وهيأناه لكم وقيل نزل آدم من الجنة ومعه خمسة اشياء من حديد السندان والكلبتان
والميقعة والمطرقة والابرة وروي ومعه المر والمسحاة وقوله وليعلم الله من ينصره ورسله معطوف على قوله
ليقوم الناس بالقسط اي ليعاملوا بالعدل وليعلم الله نصره من ينصره ورسله باستعمال السيوف والرماح
وساير السلاح ويحتمل ان يكون معطوفا على محذوف فعلل عليه ما قبله فانه حال متضمن تعليلا واللام صلة لمحذوف
اي انزله ليعلم الله وقوله بالغيب حال من المستكن في ينصر اي ينصره ورسله غائبا منهم يجب العلم الواقع بالنظر في
الاستدلال من غير مشاهدة حسية كما قال ابن عباس ينصرونه ولا يبصرونه ان الله قوي على اهلاك من اراد
اهلاكه عزيز منيع لا يفتقر الى نصرة وانما كلفهم الجهاد لينتفعوا به في العاجل ويستوجب الثواب بامتثال الامر في
الآجل ليحصلوا بين الرحمة في الدنيا والمغفرة في الآخرة **مكاشفة** هذه الآية كما ترى مشتملة على اشارات
الى فوايد انفسية من علم المبدأ والمعاد وتنبيهات على فوايد شريفة من معرفة طريق سلوك الآخرة واخذ الزاد
ينبغي التنبيه عليه الاول الاشارة الى كيفية ارسال الرسل وانزال الكتب وبيان ان سعادة الانسان منوطة بامرين
احدهما الاطلاع على الحقائق والمعقولات بالعلوم الكلية وثانيهما الاتصاف بالصفات الحسنى والتنزه من القيود

الفائدة الاولى

والعلايق

والعلايق السفليات بالآراء العملية وهذه الكمالات مما يخلق الانسان في اول الحدوث لكونه ضعيف
الخلقة كما اشار اليه بقوله خلق الانسان ضعيفا بل انما يفيضه عليه من الله تعالى بتوسط الملائكة العلوية وليس احد
من الناس ما يتيسر له التفطن بالكمالات والاتصال بالعالم العلويات الا من ايد بروح قدسي يتصل بفيض عقلي
ويعلم الاشياء بالهام غيبي ووحي سماوي وهذا الانسان هو النبي او الولي والفرق بينهما بحسب صفاء باطنه و
اشراق وجهه عن الملك الملقي اليه المعارف هو الوحي للانبياء والالهام للاولياء ويستعمل الفرق بينهما فلا بد لهداية
الخلق وارشادهم الى طريق النجاة وايصالهم الى المعاد من وجود متوسط بينهم وبين الله باخذ منه العلوم والكمالات
من غير تعليم بشري ويوصل اليهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين كيف ولو اخذ
كل انسان علمه من انسان اخر لم يفض الى الوحي والالهام لادى ذلك الى عجز النهاية فلا بد من الانتهاء
الى من يأخذ العلوم والكمالات من معدن اللاهوت بلا تعلم او تقليد ولا يتوهمن ان النبي صلعم يأخذ العلوم من
الوحي اليه على سبيل التقليد هيهات ان العلم التقليدي ليس علما في الحقيقة اذ العلم هو اليقين وهو لا يحصل الا
مع الظفر بالمبادي والاسباب بسبب اتصال النفس القدسية بالملائكة واخذها العلوم منهم فان النفس المنطبع
لولا احتجابها بالبدن وقواه وتعلقه بالدنيا واخلاده الى الارض يتصل بالمبادي العالية والملائكة المقربين و
خصوصا بما يقرب الناس ويؤثر في عالمنا هذا وهو المسمى بروح القدس المعلم للانبياء وجبرئيل على لغة الشرايع
فاذا اتصلت بها لانتقش فيها النقوش العقلية والصفات الكمالية التي فيها اذ لا مباينة بين المجردات الا بالمادة
ولا منع ولا بخل ولا تقتير في الافاضة والاستفاضة لان هذه الاشياء من خواص عالم الاجسام لتضايقها فاذا تيسر لها
قليل الارتفاع عن عالم الغيبيات ومن جرب من نفسه صحة مناماته والنوم انما هو انحباس الروح عن
الظاهر الى الباطن لا يستبعد ان يكون نفس شديد القوة الارتفاع عن هذا العالم قوية الاتصال بالملكوت الاعلى تتلقى
منه المعارف الكلية والحقايق العقلية كما يتلقى اكثر النفوس في بعض الاحايين من الملكوت الاوسط شيئا من الغيب
الزمانية اللائقة ونسبة المكاشفات العقلية المعنوية عالم العقول والملائكة العقلية ونسبة المكاشفات الصورية
الحسية عالم النفوس الفلكية والملائكة العملية فالمكاشفة العقلية احد اجزاء النبوة وهو جزء مشترك بين
الانبياء والاولياء وللنبوة جزءان مختصان احدهما ان يكون النبي مأمورا من السماء باصلاح النوع والثاني

طاعة الهيولى العنصرية له واطاعة جرم الافلاك بالشق والرجم لسيدهم وخاتمهم صلى الله عليه وآله وظهور المعجزات
وخوارق العادات وتحقيق ذلك ان الانسان ملتئم من اجزاء ثلثة من عوالم ثلثة هي مبادي ادراكات ثلثة العقل
والتخيل والاحساس فلكل قوة من هذه القوى تصرف في عالم من العوالم الثلثة الدنيا والآخرة وما هو متوسط بينهما اي عالم
الوهم وقد ثبت ان كل ادراك هو ضرب من الوجود فكمال كل واحدة من هذه القوى يوجب التصرف في عالم من تلك العوالم
والنبي هو الانسان الذي يقوى فيه ويكمل ويشتد جميع هذه القوى الثلث فبالقوة العاقلة يتصل بالقدسيين ويجالس
المقربين وينخرط في سلكهم بل يفوق عليهم عند انقطاعه الى الحق وفنائه عن الخلق وانسلاخه عن الجبلة البشرية كما اخبر عن نفسه
بقوله صلى الله عليه وآله لي مع الله وقت لا يسعني فيه ملك مقرب ولا نبي مرسل وبالقوة المصورة يشاهد الاشباح
المثالية والاشخاص الغيبية ويتلقى الاخبار الجزئية منهم ويطلع بهم على الحوادث الآتية والماضية وبالقوة الحساسة
المباشرة للقوة المحركة يتسلط على الاجرام البشرية وينفعل عنه المواد ويخضع له القوى والطبايع الجرمانية
تسلط العالي على السافل وخضوع السافل للعالي فالدرجة الكاملة من الانسان بحسب نشأته الجامعة لجميع العوالم
هي التي يكون الانسان بها معظما عند الله مؤيدا بتأييد تام والهام غيبي وامداد ملكي واعانة فلكية يكون
بحسبها ذو القوى الثلث كلها مستحقا بها خلافة الله ورياسة الخلق من قبله فعلم بما ذكرنا ان اصول المعجزات
والكرامات هي كمالات ثلثة بحسب قوى ثلث الخاصية الاولى كمال القوة العاقلة وهو ان يصفو عقل الانسان
صفاء يكون شديد الشبه بالملائكة المقربين المسماة عند بعضهم بالعقول الفعالة فيتصل بهم من غير كثير تفكر
وتعمل حتى يفيض عليه العلوم اللدنية من غير تعليم توسط بشري بل يكاد زيت نفسه الناطقة اشرقت بنور
ربها ونفس عقله المنفعل يغني لغاية الاستعداد بنور العقل الفعال الذي ليس هو بخارج عن كمال ذاته ولو
لم تمسسه نار التعليم البشري لكن عند تجرد ذاته القابلة للمعقولات من المقبول من العقول صارت نور على
نور يهدي الله لنوره من يشاء الخاصية الثانية كمال القوة المصورة وهو كونها في الشدة والقوة بحيث
يشاهد في اليقظة عالم الغيب كما قد يشاهده النائم في نومه وذلك لان قوى النفس وان كانت متجاذبة متشاغلة
كلما انجذبت النفس الى بعضها كالظواهر انقطعت عن الاخرى كالبواطن لكن اذا لم يكن ضعيفة منفعلة عن
الجوانب بل كانت قوية غير منفعلة عنها واسعة الجانبين يحفظ الجمع فعند استعمال الحواس الظاهرة يستعمل

الباطنة وتشاهد المغيبات في اليقظة فيدرك المعقولات والكليات من الوسايط العقلية ويشاهد هو
الصور الجميلة والاصوات الحسنة المنظومة على الوجه الجزئي في مقام هو قلبا او في غيرها من العوالم
المتوسطة البرزخية الباطنية وليعلم ان العوالم متطابقة متحاكية فكلما يدركه هذا الانسان من عالم
العقل يتبع له حكاية منه في العالم الاشباح الباطنية فذات العقل المفيض للمعارف عليه ينشأ له صورة
حسنة متكلما بكلام فصيح مطابق لتلك المعاني مطابقة البدن للروح واللفظ للمعنى فيكون الصورة
الحاكية للجوهر الشريف العقلي هو الملك الذي يراه النبي والولي اما النبي بما هو نبي فعلى طريق الحكاية
والصورة واما الولي بما هو ولي فعلى طريق التجرد الصرف وههنا افضل اجزاء النبوة لكن النبي لكمال
قوته البدنية والعقلية جميعا يدرك الملك الموحي على الوجهين بخلاف غيره من الاولياء وكذا الحكم في
المعارف التي يصل الى النبي معنى وحكاية والى الولي معنى فقط فالشخص الملقي للمعارف على الوجه المذكور
هو الملك الموحي باذن الله والكلام الذي هو في غاية الفصاحة هو كلام الله والوحي فعلم بما ذكر
ان للملائكة ذواتا حقيقية امرية وذواتا بحسب القياس الى النشأة الحسية القوة المصورة والتي شانها حكاية
المعقولات حكاية صحيحة طبيعية وكذا القرآن حقيقة معقولة لا يطلع عليها احد الا من شاء الله تعالى
وحقيقة بالقياس الى الجسد ادركنا وحيثما كان ان للحق تعالى ذاتا احدية لا يكتنهها احد غيره وذاتا متصفة
بالاضافات والاستواء على العرش فلينظر كيف لطف الله تعالى بخلقه في تنزله من عرش جلاله الى درجة
افهام خلقه وايصاله لكل واحد الى افهام خلقه وانظر كيف تجلى لهم اياه في حروف واصوات هي صفات
البشر ولولا استتار كنه جمال كلامه بكسوة الحروف لما ثبت لسماع الكلام عرش ولا ثرى ولتلاشى ما بينهما
من عظمة سلطانه وسبحات نوره ولولا ان ثبت الله تعالى موسى على نبينا وعليه السلام لما اطاق سماع كلامه
كما لم يطق الجبل مبادي تجليه حيث صار دكا وقد عبر بعض العارفين عن هذا فقال ان كل حرف من كلام
الله في اللوح اعظم من جبل قاف وان الملائكة لو اجتمعت على الحرف الواحد ان يقلوه ما اطاقوه حتى
يأتي اسرافيل وهو ملك اللوح فيرفعه فيقله باذن الله لا بقوته وطاقته ولكن الله طوقه ذلك واستعمله
به وقوله كل حرف من كلام الله اعظم من كذا المراد منه ان كل معنى من المعاني العقلية بحيث لا يمكن حمله

لقوة جسمانية لما ثبت من ان المعنى العقلي لا يحل المحل الجسماني والملائكة الذين لا يطيقون حمل المعاني
العقلية الكلية هم الملائكة الجسمانيون فحق ان المعاني القرآنية ما لم تكتسِ لكسوة التعينات الجزئية و
الاصوات والالفاظ لا تحملها الطبائع الجسمانية والمدارك الخيالية الانطباعية والمراد باسرافيل وهو اما
الملك العقلي المفيض لكمال الشمس التي هي بمنزلة قلب العالم كما مر او الملك النفساني المدبر لها والظاهر
ان العقول المجردة لا تحمل المعاني الكلية الا بافاضة الله تعالى عليها الخاصية الثالثة قوة في النفس
الانسانية من جهة جزئها العملي وقواها التحريكية يؤثر في هيولى العالم بازالة صورة ونزعها عن المواد
بايجادها وتكوينها بان هاهنا يؤثر في استحالة الهواء الى الغيم وحدوث الامطار وحصول الطوفانات
واستهلاك امة كفرت وعتت عن امر ربها ورسله واستشفاء المرضى واستسقاء العطشى وخضوع
الحيوانات وهذا ايضا غير مستحيل لما قد علمت ان الاجسام مطيعة للمجردات بل هي كظلالها وعكوس منها
فكلما ازدادت النفس تجردا وتشبها بالمبادي القصوى ازدادت قوة وتاثيرا في ما دونها واذا صادفت
ان مجرد التصور والتوهم يحدث هذه التغيرات والانفعالات في هيولى البدن وليس ذلك لكون النفس
ملاصقة بالبدن منطبعة فيه بل لعلاقة وارتباط علي وعلاقة شوقية لها به فلا تتعجب من نفس
شريفة قوية تؤثر في بدن لغيرها وفي هيولى العالم مثل هذا التاثير لمزيد قوة شوقية واعتزاز علاقة
ومحبة الهية لها وشفقة على خلق الله شفقة الوالد لولده والام لولدها فيؤثر في صلاحها
واصلاح اعدائها والجاهدة مع ما يفسدها وكان للخاصية الثانية نوع توحيد بوجه غير مرضي وكذا
محقوق في نفوس الاشرار وكذا هذه الخاصية يوجد شيء منها في بعض النفوس القوية من غير كمال وبلا
معرفة بل لشدة قوة التاثير قد يتعدى تاثيرها في بدن اخر حتى يفسد الروح بالنوم يعرف من جهة
باصابة العين كما روي عنه صلى الله عليه وآله ان العين تدخل الرجل القبر والجمل القدر وقال ايضا العين حق
حق فاذا كان هذا النوع التاثير في بدن الغير جسمانيا ممكنا في حق الاشرار فما ظنك بنفوس عظيمة
شديدة البراءة عن المواد كيف لا يتعدى تاثيرها عن بدنها وعالمها الصغير الى غيره فتؤثر في هيولى
العالم تاثيرها في بدنه ومثل هذا يعبر بالكرامة والمعجزة عند الناس والخاصية الاولى افضل لانها

عند الخواص ولهذا كان اعظم معجزات نبينا صلى الله عليه وآله القرآن وهو كما ترى مشتمل على المعارف الالهية
وحقائق المبدأ والمعاد وسلوك الطريق الى الله تعالى وبيان احوال الواصلين اليه تعالى على وجه يعجز
عن دركها الا الاولون من الراسخين من امته وفيه الاخبار عن الغيب وتعداد الافعال الخارقة
للعادات مع ان تفسيره ايضا من المعجزات العقلية التي كلت اذهان العقلاء عن دركها وعجزت
السن الفصحاء عن وصفها وحسبنا ما اوردناه من معنى ارسال الرسل وكيفية انزال الكتب الفائدة الثانية
الاشارة الى تكميل القوة النظرية وتعديل القوة العملية المستفادين من لفظي الكتاب والميزان
والاقتران بينهما في الانزال والتعليل لهما بقيام الناس بالقسط وبيان ذلك ان للانسان حقيقة
مجردة عن الاحياز والامكنة وهي لطيفة ملكوتية وكلمة روحانية مضافة الى الحق فايضة بامره
من غير وساطة المواد واستعدادها الا بالعرض كما حققناه في موضعه وهي المشار اليه بقولنا
انا وهي الجوهر الباقي منا الى يوم الحشر والحساب مع انحلال الاجزاء البدنية وهو المحشور الى الله
عند القيامة بالبدن الاخروي وهي المالك لهذا البدن بل عينه لان هوية البدن وتشخصه انما هي با
لنفس في مدة بقاء الكون وان تبدلت الاعضاء بالاستحالات الحاصلة من الحرارة الغريزية الطبيعية
والغريبة الاخذة والمطيفة بالبدن الخارجية وبالجملة حقيقة الانسان ليست الا ذاته المجردة
وكل ذات انما يكون هلاكها في نقصها وضعفها لانها مجاورة ضدها وبقاؤها في كمالها وقوتها ومتممها
ومجاورة اشباهها ولكل شيء كمال خاص فكمال القوة الشهوية نيل المشتهيات واللذائذ الحسية
وكمال القوة الغضبية الظفر بالانتقام وكمال القوة الحسية ادراك المحسوسات وكمال القوة المتخيلة
تصوير المتمثلات وكمال الواهمة الظنون والرجاء وللنفس الانسانية في ذاتها كمال يخصها ولها
قوتان احديهما عاقلة نظرية متوجهة الى الحق والاخرى عاملة محركة للبدن متوجهة اليه فكمال النفس
بحسب قوتها النظرية معرفة حقائق الاشياء وكلياتها والمبادي القصوى في الوجود وبالجملة
معرفة الحق الاول بما له من صفات جماله ونعوت جلاله وكيفية صدور الافعال منه ورجوعها
اليه ومعرفة كون غاية الاشياء الذي يتوجه اليه الموجودات في بقائها كما يبتدي منه في حدوثها

الى غير ذلك من المعارف الحقة التي كانت مستعدة لها اولا عند كونها هيولانية الذات ثم يحصل لها
حصول المقدمات اصورها على نحو البرهان اللازم اليقيني ثم تصير مشاهدة اياها فانية من الخلق الا ان تصير
متصلة بها مختلطة في سلكها مستغرقة في شهود مبدأها ومعادها بحيث لا يلتفت الى ذاتها الا انها العارفة
بها نعم فضلا عن غيرها بل لا انمحالا في المعروف بذهولها عن كل شيء حتى عن ذاتها وعن معرفتها المبدأ لها فيها
الاول هو العلم والثاني هو العين والثالث هو الحق ثم هذا هو كمال النفس بحسب قوتها النظرية ولا شبهة
فانه لا يحصل هذا الكمال الا بسبب معرفة الحقائق والعلم بالمعقولات ولا شبهة في ان كل ذلك مشتمل على طلب العلم
كلها ولا شك في ان حصول المعارف والعلوم متوقف على وساطة الرسول ص ومشاطرته انما يحصل ابواب
القرآن فقوله تعم وانزلنا معهم الكتاب اشارة الى ما يستكمل به القوة النظرية واما كمال النفس بحسب
القوة العملية الذي يكون الميزان اشارة اليه فبيانه ان النفس لما كانت في اول نشأتها ناقصة ضعيفة
القوام بذاتها تحتاج في استكمالها الى ما الذي قد سبق من الحادة بدنية يعتصم ويستفيد بواسطة الالات
الجسمانية ومشاعره الادراكية مبادي ادراكاتها التصورية والتصديقية من الاوليات الحاصلة من المشاركات
والمباينات بين ما يقع الاحساس بها من المحسوسات الجسمانية فيكون النفس في اول الاستكمال محتاجة الى
البدن وقواه على الوجه المذكور ولذا قيل من فقد حسا فقد علما ثم ان البدن جسم مركب من العناصر المتضادة كل
يجب كل منها استعداد يجب الاحتراز عنها في مدة بقائها وهو في اول التكون قليل المقدار صغير يكون كل بدن
حاصلا من شخص في النوع بفضلة يحصل منه وفضلة التي لا يمكن ان يساوي به فلذا الوجه وبوجوه اخر
مذكورة في مقامه لا بد ان يكون في اول الحالة قليل المقدار عن تمام الخلقة ويكون تمامه بورود الجسم الشبيه
به قليلا قليلا في مدة حياته وهو الغذاء وطلبه انما يكون بالشهوة والشهوة لا بد لها من ان يساق كلان
كل جسم لا يصلح للتغذي اذ ربما يكون سما قاتلا او مضرا فيحتاج الانسان الى قوة يدرك الصالح للتغذية من
الاجسام الغذائية ولا بد ان يكون مدركا باحد الاجزاء من الحواس الظاهرة لاجل التمييز والباطنة لاجل الحفظ
والتذكر اذ ربما لا يكون في كل جسم ما يشاهد كونه ملائما او منافيا في كل وقت فثبت ان استكمال النفس
متوقف على بقاء البدن مدة وبقاء البدن متوقف على قوى ثلاث احدها قوة العلم التمييز بين الصالح والفاسد

وقوة الغضب

وقوة الغضب لدفع المفسدة وقوة الشهوة لجلب المنفعة ومباشرة النفس لهذه القوى الثلث من باب الضرورة
كما علمت ولا امكان لها في التجرد عنها ومن اجلى بهجة الاشتغال بالاضداد في دوام اشتغالها بها وعدم
الخلاص عنها فالتوسط بين الاضداد بمنزلة الخلو عنها فان الماء الفاتر بمنزلة الخالي عن البرودة والحرارة
فكمال النفس عند اشتغالها بالقوى الثلث واستعمالها اياها توسطها بين الافراط والتفريط فيها
لان لا ينفعل عنها ولا يطاوعها في مآربها بل يستعملها على هيئة الاستعلاء عليها لا الانقهار عنها
وهي انما يحصل بالتوسط فيها اما قوة العلم اي استعمال الحواس الظاهرة والباطنة في امور الدنيا فتوسطها
واعتدالها يسمى بالحكمة وهي معناها عن العلم المتعلق بحقائق الاشياء بالقوة النظرية فانها كلما كان
اوفر كان افضل ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا وافراط هذه القوة يسمى بالجربزة وهي المكر
والخديعة وتفريطها هي البلاهة والسفاهة وكلا الطرفين مذمومان واما قوة الغضب فتوسطها
واعتدالها الشجاعة وهي فضيلة كالجود وكلا جانبيها وهما التهور والجبن رذيلتان كما ان كلا طرفي
هو الجود كالبخل والاسراف لقوله تعم ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط وقوله
والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما واما قوة الشهوة فتوسطها واعتدالها
هو العفة وطرفاها وهما الشره والخمود رذيلتان ومن تركيب هذه القوى الثلث وامتزاج اوساطها
الثلثة يحصل قوة اخرى لها توسط هي الفضيلة المعبر عنها بالعدالة ولها طرفان مذمومتان افراطها
الظلم وتفريطها الانظلام فهذه الصفات الاربع اصول الفضائل العملية واطرافها الثمانية هي الرذائل
مجموعها حسن الخلق اذا صارت ملكة يتوسط باخلاقه الانسان عن نظام الاخلاق الموجب لسخط الباري
وغضب الخلائق والتعذيب بالاحتراق بالجحيم لاجل الاعراض عن العدالة المعبر عنها بالصراط المستقيم في
امور هذا العالم اوسطها فكان نفس الطريق المستقيم ليت مقصود دائل جواز نهاية تؤدي الى المقصود
فلذا الحسن الخلق لمبر كالا سبل الاتصاف به بعد فك الخلاص من الجحيم واما الكمال الحقيقي والمقصود الاصلي
هو معرفة الحق الاول وما يليه من الصفات الجلالية والافعال الالهية التي يكمل بها النفس ويفوز بمشاهدتها العين
السليمة من الامراض الباطنة فالميزان الذي تقوم به الناس بالقسط ويعدل به نفوسهم ويحسن خلقهم

هو اشارة الى مجامع الاخلاق الحسنة وقد روى عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم انه قال افضل ما يوزن
فى الميزان خلق حسن وقال صلى الله عليه وآله بعثت لاتمم مكارم الاخلاق وقيل ما الدين فقال الخلق الحسن
وقال عليه وآله السلام حسن الخلق خلق الله وقال عليه السلام ايضا افضل المؤمنين ايمانا احسنهم خلقا والى الاشارة
فى قوله تعالى ونفس وما سويها فالهمها فجورها وتقويها قد افلح من زكيها وقد خاب من دسيها وكان الحسن
الظاهر كما انه لا كالعين والانف والفم والخد ولا يوصف الظاهر بالحسن ما لم يحسن جميعها فكذا النفس
التى هى باطن الانسان وجمال الخلق وجمال الخلق وجمالها الذى هو الخلق هو حسنه وحد تناسب اطرافها وجمالها
الذى هو الخلق حسنه تركيبها من الاخلاق وللاخلاق اركان واصول فلا بد من حسن جميعها حتى يحسن الخلق
ولهذا كان فى الادعية النبوية اللهم حسن خلقى وحسن العمل الموجب التقرب والاعتدال فى الاشياء كاصل حسن الوجه
العمل السعودى وهو العدالة عبارة عن هيئة بها يحصل حسن وجه النفس وهو فضيلة متضمنة لجميع الفضائل
الخلقية كما ان الحسن الظاهرى فضيلة جسمانية متضمنة لكمال سائر الفضائل الخلقية وتناسب جميع الهيئات
البدنية والتخاطيط والتشكيلات الجسمانية ويعبر عنها بالميزان لاشتراكهما معه فيما يعرف به مقدار الشئ
اذ يعتبر بها نقصان الاخلاق التى بها زينة جوهر الذات الانسية عن زينتها واستقامة الاعمال عن ميلها وجورها
وخلاصها عن غشها او الموازين لا يجب ان تتساوى الجميع فى الذات والماهية بل فى كونها ميزانا لانها ما يعرف
به حال الشئ كمية او كيفية فان الاصطرلاب ميزان والمسطرة ميزان والعروض ميزان والنحو ميزان وا
المنطق ميزان لاشتراك جميعها فيما به يسمى الميزان ميزانا وان اختلفت فى الماهية لكن هذا الميزان الذى يكلف
فيه بعينه ما سيعود يوم القيمة بصورة المناسبة للنشأة الاخرة فيعرف به كل واحد من الناس مقدار علمه
بمعيار صادق ثم يحاسبون على اقوالهم وافعالهم وضمائرهم ونياتهم مما ابدوه واخفوه ثم يساقون الى الصراط
وهو جسر ممدود بين منازل الاشقياء والسعداء احد من السيف وادق من الشعر يجب عليه من استوى فى
الدنيا على الصراط المستقيم الذى هو صورة العدالة وثباته فى الاخرة وقد لشرنا الى ان فضيلة العدالة ليست
فضيلة حقيقية للانسان وحده احقيقيا له هو طريق مستقيم يؤدى الى الكمال والخير الحقيقيين فلا بد
من جوازه حتى تصل النفس الى كعبة المقصود ويتنعم بالنعيم ومجاورة المعبود فهذا ما اوردناه من بيان

الميزان

الذى يقوم به الناس بالقسط الغاية الثالثة الاشارة الى ترتيب سلسلة الموجودات وتقدم بعضها
على بعض وتاخر بعضها عن بعض بحسب الشرف والكمال والحاجة والافتقار فى النزول منه والصعود اليه
وبيان ذلك بان اوايل الموجودات الصادرة عنه تعالى هى التى صدرت بمحض الوجود والخير من غير استعداد او
وتركيب وهى التى تسمى بعالم الامر لوجودها عنه تعالى بمجرد امره من غير توسط وجهة بل واستدعاء انفعال
ثابت وتضرع بلسان استعداد لوجودها وصدورها عنه تعالى على هذا الوجه وهى عقول مفارقة هى الملائكة
المقربون وعالمها عالم القضاء ثم نفوس مجردة هى الملائكة المدبرون وعالمها عالم التقدير والتدبير ثم
اجرام سماوية وعالمها عالم الاعمال الحركات التى ينشأ منها العناصر الاربعة بتوسط هيولاها المشتركة
وهى نهاية تدبير الامر المشار اليه فى قوله يدبر الامر من السماء الى الارض واما الموجودات الناشئة منه بتوسط المواد
والقوابل والاستعداد فهى المركبات على هذا الوجه المعادن ثم النبات ثم الحيوان ثم اول درجة الانسان وهو
الذى فى اوايل العقول ثم رتبة اهل الايمان ثم مرتبة اهل العلماء ثم الانبياء والاولياء وعند الوصول الى
رتبة الاولياء والانبياء فقد تم الوصول الى الحق فجميع سلسلة الموجودات فى الصعود الى الحق تعالى بعد انقطاعها
عن حجب القضاء والخشية الحجب نزلت عنه تعالى اولا فهو تعالى مبدأ الاشياء وغايتها وهو الاول والاخر اذا
تمهد هذا فقوله انا ارسلنا اشارة الى عالم الملكوت المتوسط بينه وبين الخلق وهو مشتمل على الملائكة وانما
ولا يتم النبوة الا بالملك الفعال الذى يحيط بالحوادث الاتية والماضية ولا يصلح اخباره والرسول الا بعد
استعلامه من الملك العقلانى المتوسط بينه وبين الحق الذى يستفاد منه حقايق الاعتقادات الكلية فكان الانبياء
يصلحون الخلايق وكذا الملائكة يصلحون بعضهم بعضا الى ان ينتهى الى الحضرة الربوبية التى هى ينبوع كل قوام
ومطلع كل حسن ونظام وقوله انزلنا معهم الكتاب اشارة الى الملك الفعال الذى انزل على قلوب الانبياء بالوحى والحكم
الانبياء بعد اتصالهم بعالم الغيب ومشاهدتهم الملائكة فصحبتهم حكم الملائكة فى منزلتهم ورتبتهم فى الوجود
وان صدق عليهم حين نزولهم من عالم تقدسهم الى درجة ابناء الخلق قوله تعالى قل انما انا بشر مثلكم ثم ان الارسال
والانزال المراد منهما بدلالة لفظ النزول والهبوط لا الانزال ومهبط نزول الرسل والملائكة عالم الاجسام الهيولى
لا بد فيه من الورود على المراتب المتوسطة بين عالم القدس وعالم الاجرام الارضية الذى هو اسفل السافلين فقد جعلت

الاشارة الى المراتب الكلية لسلسلة النزول واما الاشارة الى سلسلة الصعود فلفظ الميزان مما يحتمل ان
يكون اشارة الى التعادل في العناصر الذي فيه المزاج المشار اليه بقوله والسماء رفعها ووضع الميزان
وهو الذي به تهيأت المواد العنصرية لان يحصل منها المواليد الثلثة فان المانع عن قبول الحيوة والشرف من الله
في الاجسام السفلية هو التضاد والا فالحيوة مبذول والرحمة واسعة اولا ترى ان الاجرام العلوية لخلوها
عن التضاد في الكيفيات حية مطيعة لله تعالى في اوامره ونواهيه كما ورد في الاخبار والروايات كما وقعت الاشارة في
قوله تعالى فقال لها وللارض ائتيا طوعا او كرها وقوله واوحى في كل سماء امرها فكلما اوغلت العناصر
عند الامتزاج في الاعتدال الى التوسط بين اطرافها الذي هو بمنزلة الخلو عنها استعد لافاضة كمال اشرف
كما ان اول ما يحصل لها من التوسط والاعتدال هو ما يحصل منه المعادن على مراتبها ثم النبات كذلك ثم الحيوان
على انواعه ثم الانسان على طبقاته في الترتيب البالغة من الاضداد فقد تقرر في العلوم الالهية ان الطبيعة
ما لم تستوف النوع الاخس لم تتخط الى النوع الاشرف فقوله ليقوم الناس بالقسط اشارة الى وجود صورة
الانسان بحسب القسط والعدل في كيفيات عناصره وكيفياتها وهو المزاج المعتدل الانساني الذي هو اشرف
الامزجة المعبر عنه بالتسوية في قوله فاذا سويته ونفخت فيه من روحي وكون الميزان اشارة الى الاعتدال
في الكيفيات والصفات الجسمانية كالاجزاء البدنية لا يأبى في كونه اشارة الى العدالة في الاخلاق النفسانية
اما علمت ان وجوه القرآن لا تنحصر في واحد فان للقرآن ظهرا وبطنا ومطلعا كما ورد في الحديث عن صاحب
الوحي عليه السلام فذلك الوجه ومطابقة تطابق الظاهر والباطن اذ العوالم متطابقة والنشآت متحاذية فالاعتدال
في المزاج يستدعي ان يكون الصورة الانسانية الفائضة عليه عدلا في الصفات المعنوية واصول الاخلاق
النفسانية التي هي بمنزلة اصول الكيفيات الجسمانية وقوله وانزلنا الحديد اشارة الى الدرجة المعادنية وهي
اول المواليد كما ان الدرجة الانسانية من الجانب الآخر المشار اليها بقوله ليقوم الناس بالقسط هي الدرجة
العالية منها وقوله ومنافع للناس جمع الدرجة النباتية لان الحديد آلة الحرث والغرس على ان من شأن
الى الجماد والنوع من الحيوان وهما الطرفان فان الناس المحتاج الى المركبات لهذه الاشارة الى الانسان بالالتزام على
من نوع هذا النوع الاشرف على النوع الاخس في سلوك الطبيعة في درجات الصعود الى الحق كما يتوقف الاخس

الاشرف في النزول

الاشرف في التنزل عنه والى الحيوان بالتضمن لان الحيوان بما هو حيوان جزء من الانسان ودلالة
الشيء على جزئه بالتضمن واما قوله وليعلم الله من ينصره اشارة الى اكمل اهل الايمان والمعرفة لانهم ينصرون
دين الله بالجهاد مع الكفار وهم متفاوتون في الفضيلة وافضلهم العلماء الذين ينصرونه بنشر تعاليمه
بالاجتهاد والاستنباط بالفكر الصحيح وقوله ورسله اشارة الى درجة الانبياء والاولياء الذين
لهم ترقي ارتقاء المكونات في توجههم شطر كعبة الحق وتلقاء مدينة الحق الحقيقي الذي لا يشوبه شوب
قصور وزوال وهو الله العزيز المتعال القوي الشديد في الآثار والافعال ولهذا المقطع الانتهاء
باسم ذاته تعالى من جامع لكونه صفة كمالية اضافية واخرى جلالية سلبية كما وقع الابتداء بهما
ولذا وقع الالتفات من التكلم الى الغيبة لان السلسلة الاولى شعورية والاخرى اشعادية
فابتدأت الاولى بما يناسبها من الشعور دون الاشعار واختتمت الثانية ايضا بما يناسبها من الاشعار
ولان اهل السلسلة الاولى اصحاب الجبر والاستغراق في الشهود والفناء والبيان فلا التفات لهم
الى ذواتهم ولا ارادة لهم سوى ارادة الله واهل السلسلة الثانية اصحاب الاختيار والارادة المنفصلة
من ارادة الله وذلك لوجود الوهم والخيال فيهم وهو مناط التكليف لزعمهم ان لهم وجودا استقلاليا بالذات
فالاختيار والتكلم يناسب الاولى والارادة والغيبة يناسب الثانية **الفائدة الرابعة** الاشارة
الى العلم بالجزئيات الزمانية على الوجه الجزئي وهو الذي حارت فيه افهام الحكماء والفضلاء حيث ذكروا ان
العلم بالشيء على سبيل التجدد والتعاقب يوجب التجسم والتغير في ذات العالم مع ان القرآن مشحون بذكر
ما يدل على تجدد واختبار وابتلاء واستيناف نحو من انحاء العلم كقوله تعالى في هذه الآية ليعلم الله
من ينصره وكقوله ليبلوكم ايكم احسن عملا ومن هذا القبيل كل آية وقعت فيها لفظة الابتلاء والبلوى
هذا الامر لا يعرفه النظار بقوة البحث والنظر الا من اعلمه الله بنور من عنده آتيا بعلمه الى ادراك الحق
باقدام العبودية والاخلاص في العلم والعمل وقد اومانا الى ادراك كشفه في مواضع متفرقة من الاسفار
الفائدة الخامسة الاشارة الى الفرق بين معنى الغاية التي قد يقع بعد انها حرف اللام فان الغاية قد يراد
من السبب الغائي وهو ما به يكون الفاعل فاعلا تاما وقد يراد ما يؤدي اليه الفعل من غير ان يكون مقصودا

للفاعل في فعله فيقال لم الضرورى وقد يراد منه ما ينتهي اليه الفعل بحسب الذات والقصد
جميعا فالغاية بالمعنى الاول في افعاله تعالى لا يكون الا ذاته لانه تام الفاعلية والايجاد وبالمعنى الثاني
لوازم منه اخرى ما ينتهي اليه الفعل فهو انيه ذاته وقد يكون عينه كما في الحديث القدسي عنه تعالى
لولاك لما خلقت الافلاك واما المعنى الثاني فهو لا يكون الا غيره اثرا ومثال المعنى الاول تصور
السكنى في بناء البيت للباني بل تصور الراحة التي يتصورها عند السكنى ومثال المعنى الثاني
المنفعة الحاصلة للاجير بانه ومثال الثالث وجود السكنى او الراحة الذي ينتهي اليه الحركات البنائية
فقوله ارسلنا رسلنا وما عطف عليه اشارة الى العلة الغائية بالمعنى الاول لان الارسال والانزال
فعلان اختياريان لا بد فيهما من علة غائية وقوله ليقوم الناس اشارة الى الغاية بمعنى الضرورى وقوله
وليعلم الله من ينصره اشارة الى الغاية الذاتية التي ينتهي اليه الفعل بالذات **الفائدة السادسة** الاشارة
الى عناية وحكمة في خلق الحديد وعجائبه وفوائده وكيفية حدوثه من الابخرة والادخنة المحتبسة في الجبال
والمعادن مدة مديدة باذن الله تعالى بتوسط الكبريت والنفط والزيبق ما يتوسط في اقوام من رقة
الادخنة ولطافتها وغلظ الحديد وكثافته واطاعته للانسان في قبول الذوبان واللين بالحرارة النارية
وقبول الاستطراق تحت المطارق ونقاوته عند الطرق حتى يتخذ منه الالات الصناعية على اى
ارتيد ثم حموه ورجوعه الى الجمود لا صلاحه عند التبريد يبقى التشكلات المقصودة منه في كل صنعة فانظر
الى اثار رحمة الله كيف هدى الناس الى تحصيله من الجبال ثم الى كيفية تليينه بالنار واتخاذ الالات الصناعية
منها لجلب المنفعة ودفع المضرة الحاصلتان عند استعمالها بداعية القوتان الشهوية والغضبية
المنبعثتين عن استعمال النفس المدبرة اياها باشارة العقل المتكفل لها او ايها بالهام الحق وهو له تعم
الاول في البداية والاخر في النهاية ومنه الافاضة والجود في المبدأ والغاية قوله عز وجل **ولقد ارسلنا**
نوحا وابراهيم وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتاب فمنهم مهتد وكثير منهم فاسقون عطف سبحانه على ما تقدم
جملة بتكرير نوح وابراهيم على نبينا وعليهما السلام تفضيلا لهما بخصهما بالذكر وذكر قصتهما تفضيلها
لكونهما ابوى الانبياء كما يدل عليه قوله وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتاب فان الانبياء كلهم

من نسلهما

الكتاب م

لد الالتوم

من نسلهما ومن ذريتهما عن ابن عباس الخط بالقلم يقال كتب كتابا وكتابة ثم اخبر تعالى عن حال الذرية
بحسب الشقاوة الاخروية فقال فمنهم اى فمن الذرية او من المرسل اليهم المذكور الارسال عليه مهتد الى
طريق الحق ومنهم فاسق عن امر ربه والغلبة للفساق **مكاشفة** اعلم ان الوجود كلما من الصفتين مصلحة
وخيرا محضا ويليق به لئلا يلزم ان يكون الخير قليلا والشر كثيرا في اشرف انواع الكائنات فلعلك
ان يقول اكثر افراد الانسان يغلب عليه الشر على ما دلت عليه الاية ولان مناط تحصيل السعادة والشقاوة
لنفس الادمية انما هو استعمال قواها الثلثة الادراكية والشهوية والغضبية اذ هي مبادئ الافاعيل
والانفعالات ومن تكرر الافاعيل والانفعالات يحصل اخلاق وملكات هي المنتجة للسعادة
او الشقاوة العاجل والاجل والغالب على اكثر الناس على ما نراه هي اضداد الاخلاق الحسنة من الجهل و
غلبة الشهوة واستيلاء حب الدنيا وميل الرياسة والبخل والحسد والكبر والريا واشباهها وما يترتب
عليها وينبعث عنها من الفسوق والمعاصي فيلزم كونهم من الاشرار المبعدين عن رحمة الله على ان
رحمته وسعت كل شئ فما معنى كونه تعم محض الرحمة التي لا يجهد شيء بعينها وما معنى قول الربانيين من
الحكماء ان الخير مرضي والشر مقضي لانا نقول لا بد ان يعلم ان الحق الذي لا نجاة معه في الاخرة هي معرفة
واحدة للنفس من حيث جزئها العلمي وهو ضد من الجهل وهو ما يكون مركبا مع الاعتقاد الراسخ المضاد
للحق والحال من حيث جزئها العملي فليس كل ردية توجب الحرمان من الغفران بل الرذائل التي رسخت على القلب
وصيرتها فاسدة الجوهر كمرآة التي احاطت بها الكدورة ظاهرا وباطنا وغاصت فيها وافسدت
سطحها وعمقها وكون اكثر الناس فاسقا وذوات صفات ذميمة لا يستلزم كونهم مطرودين من رحمة
ربهم بل كما ان الجهل المركب الراسخ المضاد لليقين الذي يوجب الشقاوة الابدية نادر كوجود اليقين
الذي يوجب خيرا كثيرا وقسطا وافرا من السعادة والجهل البسيط الذي لا يضر في المعاد عام فاش في
هذا النوع وكذا الحال الاقوى بين الاخرين تابع في فضيلة العقل والخلق وان كان نادرا كالشقي
الزول فيها اكثر المتوسطين محل رتبهم اغلب واذا ضم اليهم الطرف الاعلى كانت لاهل النجاة غلبة
عظيمة وما اشبهها الاوداح في انقسامها الى هذه الاقسام بحسب السعادة والشقاوة الاخروية

بحال الابدان في انقسامها بحسب السعادة والشقاوة الدنيويتين الى البالغ في الجمال والصحة والمتوسط
فيهما وهو الاكثر والقبيح السقيم وهو الاقل من عدد المتوسط فضلا عن مجموع الصنفين فاذن قد
ثبت ان السعيد اكثر من الشقي فلكم بان رحمته اهدتهم لا تنال الا قليلا من عباده على صحيح وقد قال تعالى
ورحمتي وسعت كل شئ فساكتبها للذين يتقون واما خلود اهل الكفر في النار فقطمس سر لا ينكشف
لاحد الا من شاء من خلص عباده وهو العليم الحكيم قوله عز وجل ثم قفينا على آثارهم برسلنا وقفينا
بعيسى بن مريم وآتيناه الانجيل وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه رأفة ورحمة ورهبانية ابتدعوها
ما كتبناها عليهم الا ابتغاء رضوان الله فما رعوها حق رعايتها فآتينا
الذين آمنوا منهم اجرهم وكثير منهم فاسقون قرا الحسن الانجيل بفتح
الهمزة والامر فيه هين لان الكلمة اعجمية لا يلزم فيها حفظ ابنية العرب بخلاف ابراطيل والسكين
فيمن رواها بالفتح وقرى رافة على وزن فعالة والتقفية جعل شئ في اثر شئ على نهج الاستمرار ولهذا
قيل لقوافي الشعر قوافي اذ كانت تتبع البيت على اثره مستمرا في نهج على منهاجه والرهبانية اصلها
من الرهبة والخوف ثم وصف بها النصارى لترهبهم بعد موت عيسى عليه السلام في الجبال فرارا من الفتنة
في الدين لظهور الجبابرة على مومني ذلك الزمان واخلاصا لانفسهم في عبادة الرب عند التفرد
عن الخلق وهي المنسوبة الفعلة الى الرهبان بالفتح وهو الخائف فعلان من رهب كخشيان من خشي وقرى
ورهبانية بالضم منسوبة الى الرهبان وهو جمع راهب كركبان جمع راكب وهي عبادة مخصوصة
بالنصارى لقول النبي صلعم لا رهبانية في الاسلام وقوله صلعم رهبانية امتي الحج والجهاد وانتصابها بفعل
مضمر يفسره الظاهر اي وابتدعوا رهبانية ابتدعوها ويجوز ان يكون معطوفة على ما قبلها والجملة
بعدها صفة لها في محل النصب والمعنى ثم اتبعنا بالارسال على آثار المذكورين كنوح وابراهيم ومن
ارسلنا اليهم او من عاصرهم من الرسل برسل اخرين اي اتبعنا رسولا بعد رسول وقفينا شيئا بلا حق
حتى انتهى الامر الى عيسى بن مريم بعدهم فارسلناه رسولا واعطيناه الانجيل وجعلنا في قلوب الذين
اتبعوه من الحواريين واتباعهم التراحم والتعاطف بينهم رحمة ورأفة بان امرهم الله بها ورغبتهم فيها او

خلق في قلوبهم الرافة والرحمة وانما مدحهم على ذلك وان كان من فعله لانهم تعرضوا لها وابتدعوا
رهبانية لم نكتبها عليهم وهي خصلة من العبادة يظهر فيها معنى الرهبة اما في شعنة او توحش عن الخلق او
تفرد عن الجماعة او غير ذلك من الامور التي يتعلق بمثل صاحبه وقيل ان التي ابتدعوها اي رفض النساء
واتخاذ الصوامع عن قتادة وعلى تقدير عطفها على ما قبلها يكون المعنى وجعلنا في قلوبهم رافة ورحمة
ورهبانية مبتدعة من عندهم بمعنى وفقناهم للتراحم بينهم ولابتداع الرهبانية المكتوبة عليهم
منا الا ابتغاء رضوان الله ويستحقوا بها الثواب والاستثناء منقطع اي ما فرضناها ولكنهم ابتدعوها
لطلب رضوان الله ويحتمل الاتصال ويتضمن ما تعبدناهم بها حتى يكون مشتملا على نفي الايجاب والندب
المستلزمين لطلب الراجحية والتقرب وهذا وان كان مخالفا ابتدعها لكن يوجب ابطال الابتداع ولكنهم
ابتدعوها ثم ندبوا اليها وابتدعوها بمعنى استحدثوها من قبل انفسهم ووافقوا بها ما شرعوا حق رعايتها
اي الذين بعدهم ما رعوا جميعا الرهبانية او للمذكورات من الرافة والرحمة والرهبانية حق رعايتها ولكن
بعضهم رعاها وبعضهم ضم اليها التثليث والقول بالاتحاد وقصد السمعة والرياء والكفر بمحمد صلى الله
عليه وآله ونحو هذه الاشياء كما ان المنسوبين الى التصوف في هذه الازمنة والدورة الاسلامية بعضهم
ما راعوا حقه من تصوفة الباطن والزهد في الدنيا والانقطاع عن اهلها ورفضها طلبا لمرضات الله الرحيم
لم يراعوا حقه بل ضموا اليها السمعة والرياء والتغني والسماع والاشتغال بالملاهي وصحبة الاباطيل وتعطيلهم
عن الفكر والتدبر في الملكوت وعن ذكر الله الا بمجرد اللسان عند مجمع الخلايق فآتينا المومنين اي المومنين
منهم اجرهم وكثير منهم فاسقون وهم الذين لم يراعوها ولم يرعوا حقها قال الزجاج ان تقديره
ما كتبناها عليهم ما كتبناها الا ابتغاء رضوان الله وهو اتباع ما امر به وهذا وجه قال وفيها وجه آخر
في التفسير وهو انهم كانوا يرون من ملوكهم ما لا يصبرون عليه فاتخذوا اسرابا وصوامع وابتدعوا ذلك
فلما الزموا انفسهم ذلك التطوع ودخلوا فيه لزمهم تمامه كما ان الانسان اذا جعل على نفسه صوما لم يفرض
عليه لزمه ان يتمه قال وقوله فما رعوها حق رعايتها على ضربين احدهما ان يكونوا قصروا فيما الزموه انفسهم
والآخر وهو الاجود ان يكونوا حين بعث النبي صلعم فلم يؤمنوا به وكانوا تاركين لطاعة الله فما رعوا تلك

الرهبانية حق رعايتها ودليله المتقدم واتينا الذين امنوا منهم اجرهم يعنى الذين امنوا بالنبى عليه
وآله السلم وكثير منهم فاسقون اى كافرون انتهى كلام الزجاج ويؤيده ما روى عن ابن مسعود قال
دخلت على رسول الله ص قال يا ابن مسعود اختلف من كان قبلكم على ثنتين وسبعين فرقة نجا منها اثنتان
وهلك سايرهن فرقة قاتلوا الملوك على دين عيسى فقتلوهم وفرقة لم يكن لهم طاقة لموازاة الملوك ولا
ان يقيموا بين ظهرانيهم يدعونهم الى دين الله تعم ودين عيسى فساحوا فى البلاد وترهبوا وهم الذين قال الله
لهم ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم ثم قال ص من امن بى وصدقنى واتبعنى فقد رعاها حق رعايتها
ومن لم يؤمن بى فاولئك هم الهالكون **مكاشفة** فهذه الاية حجة على عدم خلو الزمان ممن يقوم
به حجة الله على خلقه اذ علم انه بهذا جرت سنة الله من لدن ادم ونوح وآل ابراهيم الى وقت نبينا صلى الله
عليهم اجمعين ولن تجد لسنة الله تبديلا ولكن النبوة قد ختمت برسولنا صلى الله عليه وآله والولاية
التى هى باطن النبوة باقية الى يوم القيمة فلا بد فى كل زمان بعد زمان من عالم عارف موجود يعبد الله على
الشهود الكشفى ممن يحفظ علم ويكون عنده ماخذ علوم العلماء والمجتهدين وله الرياسة العامة فى امر الدين
والدنيا وهو الداعى الخلق بحسب الفطرة من قبل الله سواء اطاعته الرعية اولا والناس احبوه او كرهوه
وسواء كان هو ظاهرا مشهورا او مستترا مغمورا كالائمة الطاهرين سلام الله عليهم اجمعين وكان ان
النبوة والشريعة قد ختمت برسولنا ص فالولاية التى هى باطنها تختم بآخر اولاده المعصومين فهو الذى
يواطى اسمه اسم رسول الله ص ومعناه معناه وبوجوده ابقيت البلاد ورزقت العباد ويظهوره يملأ
الله الارض قسطا وعدلا بعد ما ملئت ظلما وجورا وفى حديث كميل ابن زياد النخعى عن امير المؤمنين ع
ما يدل على هذا المطلب وهو قوله ع بعد كلام سابق يا كميل مات خزان الاموال والعلماء باقون ما بقى الدهر
اعيانهم مفقودة وامثالهم فى القلوب موجودة آه آه ان هيهنا واشار ع بيده الى صدره
لعلما جما لو اصبت له حملة بلى اصيب له لقنا غير مامون يستعمل آلة الدين فى الدنيا ويستظهر بحجج الله
على خلقه وبنعمه على عباده او منقادا لحملة الحق لا بصيرة له فى احنائه ينقدح الشك فى قلبه باول عارض من شبهة
الا لا ذا ولا ذاك او منهوما باللذات سلس القياد للشهوات او مغرى بالجمع والادخار ليسا من رعاة الدين

فى شئ اقرب شبها بهما الانعام السائمة كذلك يموت العلم بموت حامليه اللهم بلى لا تخلو الارض من قائم لله بحجة
ظاهر مشهور او مستتر مغمور لئلا تبطل حجج الله وبيناته واين اولئك والله الاقلون عددا الاعظمون
خطرا بهم يحفظ الله حججه وبيناته حتى يودعوها نظرائهم ويزرعوها فى قلوب اشباههم هجم بهم العلم
على حقايق الامور وباشروا روح اليقين واستلانوا ما استوعره المترفون وانسوا بما استوحش منه الجاهلون
وصحبوا الدنيا بابدان ارواحها معلقة بالمحل الاعلى اولئك خلفاء الله فى ارضه والدعاة الى دينه آه آه شوقا
الى رؤيتهم انتهى الحديث وفيه اشعار بامور الاول ان العالم الحقيقى له الولاية على الدين والرياسة فيه
والثانى ان سلسلة العرفان بالله والولاية المطلقة لا ينقطع ابدا والثالث ان عمارة العالم الارضى ووجود
افراد الانسان وساير الحيوانات وغيرها من الكائنات انما يكون بوجود العالم الربانى وقد قام عليه البرهان
فى الحكمة المتعالية فيلزم من الاعتراف بوجود امام حافظ للدين فى كل زمان الرابع ان هذا القائم بحجة
الله لا يجب ان يكون ظاهرا مشهورا كمولانا امير المؤمنين ع فى ايام تمكنه من الخلافة الظاهرة بل ربما يكون خاملا
مستورا كهو ع قبل ذلك الوقت وكاولاده الاحدى عشر عليهم السلم لا سيما القائم المنتظر امامنا الهادى سلام
الله عليه وعلى آبائه الطاهرين المشار اليهم فى قوله تعم ذرية بعضها من بعض فيما رواه عن النبى ص لا يزال امتى
بخير او ليهم اثنى عشر خليفة كلهم من قريش الخامس ان من خواص اولياء الله وحججه ان يكون علومهم ومعارفهم
حاصلة بحدس تام والهام من الله تعم من غير تعلم وتكسب كما دل عليه قوله ع هجم بهم العلم على حقايق الامور وباشروا
ارواح اليقين اى اطلعهم الله على حقايق الموجودات وقذف فى قلوبهم نورا من لدنه يريهم الاشياء كما هى
وهذه هى الحكمة الحقيقية التى من اوتيها فقد اوتى خيرا كثيرا السادس انه قد علم شرف الحكمة الالهية ومنزلة حامليها
حيث اشتاق افضل البرية الى لقائهم مع كونه قدوة الربانيين ومقدم الشايقين الى الله تعم بقوة الحكمة والعرفان
وبه يبطل قول الذين قدحوا فى اصحاب الطريقة والصوفيين ومن يحذو حذوهم فى السالك والمعرفة لان مجرد
الرياضة البدنية وجلوس الصوامع ولبس الخرقة لا كمال فيه يعتد به وذلك لان الجنبة على الفهم بمجرد ذلك والجسم
ولانهم يقربون التقرب الى الله تعم متعددة واذواق الكاملين مختلفة مع اشتراكهم فى غلبة جانب التوحيد والعلم والفناء
والبقاء فلا يبعد ان يكون الاشتراك فى محبة الكمال المطلق ومظهرية الذات الاحدية موجبا لصل المحبة والاخلاص

في ظهور بعض المظاهر الاسمائية او الصفاتية وخفاء بعضها يوجب التشوق بجهة خفاء اسم او صفة الى
جهة ظهور اسم او صفة فان تجليات الحق بحسب الاسماء والصفات غير متناهية عددا فكذا لا يختلف المظاهر
بحال الاختلاف ان غير مشاء تخصيصها بدل على وجوب الامام المطاع في الاحكام في جميع الازمنة ما اتفقت روايته
بين الخاص والعام في قوله صلى الله عليه وآله في الروايات ولم يعرف امام زمانه مات ميتة جاهلية وقد اتفقت
الامامية على ان الامام في زماننا هذا هو المهدي عم الموعود ظهوره في اخر الزمان واستبعاد اهل السنة في وجوده
وبقائه الى الان في غاية السقوط اذ الادلة الطبية والنجومية على امتناع بقاء الانسان بعد المائة وعشرين
غير تامة ومع ذلك منقوض بوجود اعمار الطويلة للسابقين كما هو المشهور من آدم ونوح عليهما السلام وغيرهما
وبقاء دجال اللعين من اللاحقين مدة طويلة هي من زمن الرسول عليه وآله السلام الى وقت خروج المهدي عليه السلام
واسقط من ذلك تشنيعهم على الفرقة الامامية بان اي ثمرة في وجود الامام لا يمكن التوصل اليه واخذ المسائل
الدينية منه فان مجرد المعرفة بامامته ورياسته والتصديق بوجوده وانه خليفة الله في ارضه ثمرة تشفع
باولية الغاية مضمرة في مشاهدته اولا ترى ان من كان في عهد النبي صلعم وصدق بوجوده ورسالته كان
مؤمنا حقا وان لم يره مشاهدة كاويس القرني رضي الله عنه فكذا هيهنا وقد روي عن جابر بن عبد الله الانصاري
ان النبي صلى الله عليه وآله ذكر المهدي فقال ذلك الذي يفتح الله على يديه مشارق الارض ومغاربها يغيب عن اوليائه
غيبة لا يثبت فيها الا من امتحن الله قلبه للايمان قال جابر فقلت يا رسول الله هل لشيعته الانتفاع به في غيبته فقال اي
اي والذي بعثني بالحق انهم يستضيئون بنوره وينتفعون بولايته في غيبته كما ينتفع الناس بالشمس وان علاها
السحاب والعجب انهم حملوا الامام في قوله عم على اهل الشوكة الظاهرة من ملوك الدنيا كائنا من كان عالما او جاهلا
عدلا او فاسقا فتشنيعهم على الامامية مقلوب عليهم باشد وجه بان يقال اي ثمرة يترتب على معرفة الجاهل الفاسق حتى
ليكون من مات ولم يعرف مات ميتة جاهلية ولما رجعهم عن هذه العلة الغائية سخافة الا ان المراد بالامام في قبال الحديث هو
الكتاب وقد غفل الامامية بان قال بعض الاعلام منهم بقوله ان اضافة الى زمان ذلك الشخص يشعر بتبدل الائمة في الاعصار
والقرآن لا يتبدل بحمد الله على مر الازمان وبان المراد بمعرفة الكتاب ان اريد بها معرفة الفاظه والاطلاع على معانيه
اشكل الامر على كثير من الناس حيث يكون موتهم ميتة الجاهلية وان اريد مجرد التصديق فلا وجه للتشنيع علينا

اذ قلنا

اذ قلنا بجملة اعلم انه ذكر الشيخ محيي الدين الاعرابي في الباب ثلثمائة والست والستين من كتاب الفتوحات
المكية كلاما بهذه العبارة يدل على انه كان معتقد الوجود المهدي عم وقد نقل بعض الاعلام من الكلام تمام هذا الكلام
في كتاب الاربعين من اراد الاطلاع عليه فلينظر فيه وبعد منه هذا وهو ان لله خليفة يخرج من عترة رسول الله صلعم
من ولد فاطمة يواطي اسمه اسم رسول الله صلى الله عليه وآله جده الحسين بن علي عليهما السلام يبايع بين الركن والمقام
عد بعض نعوته واوصافه الشريفة الى ان قال بايعه العارفون من اهل الحقائق عن شهود وكشف بتعريف الهي
رجال الهيون يقيمون دعوته وينصرونه لولا ان السيف بيده لافتى الفقهاء بقتله ولكن الله تعم يظهره بالسيف
والكرم فيخافون ويطيعون ويقبلون حكمه من غير ايمان ويضمرون خلافه ويعتقدون فيه اذا حكم فيهم بغير
مذهب ائمتهم انه على ضلال في ذلك انتهى واعلم ان كل عالم رباني دق فكاشف تامة يعرف طريق التبتل الى الله تعم
وكيفية التخلص عن ورطة التعلق بالمهلكات الدنياوية والموذيات النفسانية فان اتباعه وتعلم السلوك منه
واجب عقلا كما ان اتباع الرسول والائمة عليهم السلام واجب عقلا وسمعا فكما ان المريض ومن به داء مهلك
عند التامل عنه اذا وجد طبيبا حاذقا يعرف معالجة ذلك المرض المهلك يجب عليه اتباعه وقبول امره بما
به يحب باجبل عليه من التحفظ على الحيوة البدنية فكذلك من به مرض الجهل وداء الخلق الردى القاضي الذي
به تفوت الحيوة السرمدية يجب عليه بالضرورة ان يتبع العارف الواقف بكيفية ازالة الجهل ومساوي الاخلاق
الذميمة ويتعلم منه طريق الاستكمال ويتأسى به في سلوكه ويقبل منه النصائح في كيفية التقرب الى
المبدأ الفعال فكما ان من يتجرد خدمة عالم مشار اليه تمتنانه اهل زمانه ويتحمل العار فيه خوفا من سقوط منزلته
عند الناس ويتحفظ على جاهه الحقير لدى العوام الناقصين فيوشك انه اذا خرج الامام المهدي الذي يجب
الطاعة عقلا يتمرد عن حكمه ويتحاشى عن الطاعة اذا انحطت ذلك عن مرتبته عند الناس وسقط به جاهه الخسيس
اللهم الا ان يحوي الاطمعا الا التقرب الى الله تعم والاطلاع كما من له قدم راسخ في العلم بالله وملكوته وذلك يحتقر نفسه
وخبث جوهره وقصور ذاته بحسب نفس الامر وسقوط منزلته عند الله حيث يعده المنزلة عند الخلق من تحصيل المنزلة
ضعة ويرجح عنده رضاء الخلق على رضاء الخالق وقد قال سبحانه ورضوان من الله اكبر قوله عز وجل
يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته ويجعل لكم نورا تمشون به ويغفر

لكم والله غفور رحيم الكفل النصيب يا ايها الذين امنوا اى اعتقدوا توحيده وعلمه وقدرته و
صدقوا انبيائه عليهم السلام اتقوا الله فيما نهيكم عنه من قبايح الافعال ورذايل الصفات وامنوا برسوله محمد
صلى الله عليه وآله ويا اهل الكتاب الذين آمنوا بموسى وعيسى امنوا بمحمد وعن ابن عباس يا ايها الذين امنوا
باطنا يعطكم نصيبين من رحمته نصيبا لايمانكم بمحمد ونصيبا لايمانكم بمن قبله من الانبياء عليهم السلام ان كان
خطابا لمؤمنى اهل الكتاب فلا يبعد ان يثابوا بما عملوا فى دينهم السابق وان كان منسوخا هكذا قيل وفيه تفصيل
انهم يكونون معاقبين على ما لم يكونوا معتقدين الحق اذ علم عليهم فكل ما عملوا سابقا اعطوا بها ثوابا ان وصل
اليهم صيت الاسلام فما اجتهد واذ تحقق لهم من حيث لهم فلا شبهة فى انهم كافرون من عذاب الله وان لم يكونوا
كذلك بل كانوا متعصبين فى دينهم متصاممين عن استماع الحق فلا اعتداد بالاعمال التى فعلها الانسان تعصبا وتجاهلا
من غير طلب البصيرة وقيل الخطاب للنصارى الذين كانوا فى عهده صلعم وان كان خطابا لغير اهل الكتاب فالمعنى اتقوا
الله واثبتوا على ايمانكم برسوله يؤتكم ما وعد مؤمنى اهل الكتاب من الكفلين اولئك يؤتون اجرهم مرتين ولا تنقصكم
من مثل اجرهم لانكم مثلهم فى انكم لا تفرقون بين احد من رسله ويجعل لكم يوم القيمة نورا تمشون به اى هدى يهديه
عن ابن عباس النور القران لما فيه من الادلة النيرة على كل حق والهداية الى كل خير وبه الاستضاءة والحصول اليقين فى
القلب الذى يمشى به يوم القيمة ويغفر لكم اى يستر عليكم ذنوبكم التى اسلفتم من الكفر والمعاصى روى سعيد
بن جبير بعث رسول الله صلعم جعفرا فى سبعين راكبا الى النجاشى يدعوه فقدم عليه ودعاه فاستجاب له وآمن به
فقال اناس ممن آمن من اهل مملكته وهم اربعون رجلا ائذن لنا فناتى هذا النبى فنسلم به فاذن لهم فقدموا
مع جعفر وقد تهيا لوقعة احد فلما راوا ما بالمسلمين من خصاصة استاذنوا رسول الله صلعم فرجعوا واتوا باموالهم
باموالهم فاسوا بها المسلمين فانزل الله الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون الى قوله ومما رزقناهم ينفقون
فلما سمع اهل الكتاب ممن لم يؤمن به قوله اولئك يؤتون اجرهم مرتين بما صبروا فخروا على المسلمين فقالوا
اما من آمن بكتابكم وكتابنا فله اجره مرتين واما من لم يؤمن بكتابكم فله اجر كاجوركم فما فضلكم علينا فنزلت الاية
فجعل لهم اجرين وزادهم النور والمغفرة وروى انه لما نزلت فى مؤمنى اهل الكتاب افتخروا على غيرهم من المؤمنين بانهم يؤتون
اجرهم مرتين وادعوا الفضل عليهم فنزلت مكاشفة يا ايها المتعبدون من اهل الايمان اتقوا الله بتكميل النشاة

وتنقيص السيئات وآمنوا برسوله اى حصلوا لانفسكم ملكة المعرفة بالله وكيفية ارسال الرسول وانزال
الكتب عليه وافاضة الحقايق العلمية على قلبه بواسطة الملك الموحى اليه باذن الله تعم والتصديق برسالته
واطلاعه على المغيبات وخبره فى كل ما اتى به والاول رعاية الجزء العملى من النفس الانسانية ومحافظة على حصول
ثمرته التى هى تصفية وجه النفس بتجويد الهدى الزهد الحقيقى وتزكية من كدورات الشهوات الدنياوية من المعاصى
والغضب بحيوانات فى رعاية الجزء النظرى منها وايصاله الى كماله الذى هو المقصود من وجود الانسان وهو كشف
المعارف الحقة الباقية معه ابدا مخلدا وحيث كان كمال الانسان ومنزلته عند الله وحصول المثوبة الاخروية له بكمال
ثمرة استكمال كل من جهتى القوتين فلابد لكل من آمن بالله واليوم الآخر لا يتوانى عن اكتساب الاحوال الكاملة
واقتناء العلوم والملكات المؤدية الى جهتين الشريفتين فالثمرة الاعمال الصالحة فالتخلص من ذمايم الاخلاق
ورداءة الاوصاف والتعلقات الدنيوية المانعة عن قبول الرحمة والهداية والافاضة الوجود منهم وارتفع
عند عدم المانع واما ثمرة العقايد الحقة فمشاهدة الاعيان الشريفة النورية ومنادمة الملكة القدسية واهل
الصفوة وعباد الله المقربين وقبول التجليات الالهية اما صاحب العمل دون العلم فهمته متوجه لذات الجنان
والمشتهيات من الحور والغلمان وكل ما يشتهيه الانفس وتلذ الاعين بقوة التخيلة وقصر همتها اليه وان كان نادر
عن ما يهمه وتقصد المقربون من العرفاء كالسد القصوى والمطلع المقصود واما صاحب المعرفة فهمته متوجهة
نحو عالم القدس والوحدة ومشاهدة الجمال والجلال فله المثوبة الكبرى والدرجة العظمى والمشرب الكافورى واما هو
ذلك من الزيادة كالمشرب الزنجبيلى فلما ان رجحان اهل الايمان بالتقوى والمعرفة وكل منهما ينتج ثمرة خاصة وتضيا
محصول ما رضيه ورحمته وقعت الاشارة الى حصول النصيبين لهم من الرحمة نصيبا لاجل العلم ونصيبا لاجل العمل ولما
كانت ثمرة العلم اجل واتم واشرف قدر من ثمرة العمل فضيلة الادراك على الحركة وشرافة العين على العدم
اشار اولا الى ذكر ثمرة العلم وتعيين مهيتها بقوله ويجعل لكم نورا تمشون به فان هذا النور بعينه هو نور
المكوى فى قوله يسعى نورهم ثم اشار الى ثمرة العمل بقوله ويغفر لكم ثم اشار الى كونه ما ترتفع منشا جميع الخيرات
ومبدا حصول البركات بقوله والله غفور نظرا الى ما سلطهم فى اجتناب الانسان من الرذايل وقبول توبته
رحيم نظرا الى ما ضرجوه فى تكميل الانسان الفضايل قوله عز وجل لئلا يعلم اهل الكتاب الا يقدرون

على شيء من فضل الله وان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم

لان لئلا يعلم زائدة وان في ان لا يقدرون مخففة من الثقيلة واسمها محذوف وهو الشأن او ضمير راجع
الى اهل الكتاب اي لان يعلم اهل الكتاب انه لا يقدرون على شيء مما ذكر من فضل الله من الكفلين والنور والمغفرة
ولا يتمكنون من نيل شيء منه لان جميعه مشروط بالاعتقاد الصحيح في خاتم الرسل وهم لم يؤمنوا برسول
الله فلا ينفعهم ايمانهم بغيره من الانبياء بعد ما فرقوا بين رسل الله وليعلموا ان الفضل بيد الله وقدرته يؤتيه
من يشاء بمشيته السابقة وارادته الازلية المنبعثة عن علمه باختلاف القوابل وتفنن المهيات والله ذو
الفضل العظيم بافاضة نور الوجود على جميع الممكنات وقيل ان المراد بفضل الله هنا النبوة اي لا يقدرون على
نبوة الانبياء ولا على صرفها عمن شاء الله ان يخصه فيصرفونها عن محمد صلى الله عليه وسلم الى من يحبونه بل النبوة كساير الفضايل التي
بيد الله لا مدخل لاعمال الناس في استجلابها يعطيها من يشاء ممن هو اهلها ومستحقها وقيل لا هنا في حكم الثابت
والمعنى لانه لا يعتقد اهل الكتاب ان النبي والمؤمنين لا يقدرون على شيء من فضل الله وكلا يا لو قيل ليكون
الضمير في يقدرون للنبي والمؤمنين ويكون ان الفضل عطفا على ان لا يعلم اي لان لا يعلم اهل الكتاب انهم لا
يقدرون ان يؤمنوا ويكون المراد لكي يعلموا انهم يقدرون على الايمان وطلب الفضل والثواب وقرأ الحسن لئلا
يعلم بفتح اللام وسكون الياء وروي بكسر اللام ايضا وتوجيهه على ما قيل ان حذفت الهمزة من لان لئلا استحسانا
ثم ادغمت النون في اللام للمجانسة بينهما فصار للا بالكسر ثم ابدلت اللام الثانية المدغمة في الثالثة ياء كما يبدل
الواو المدغمة في غير المدغمة ياء في ديوان وقيراط فان الاستثقال من التضاعف في الفعل متعارف عند اهل اللسان
واما الفتح كما في قراءة الحسن فعلى ان اصل لام الجر هو الفتح وقرئ لكي يعلم ولكيلا يعلم وليعلم ولان يعلم بادغام
النون في الياء وليتعلم بقلب الهمزة ياء وادغام النون في الياء كما ذكر في الكشاف **مكاشفة** اعلم انه يستشعر من
الاية الكريمة ان لاهل الايمان اقتدارا على استجلاب فضل الله وتمكنا من استدرار رحمته ومفهوم الحال وان
لم يكن معتبرا عند الاكثر سيما في مثل هذا المقام حيث عقب بقوله ان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء الا انه مما يمكن
تصحيحه هنا بوجه وهو ان الفضل وان كان كله من عند الله بحسب مشيته بلا تاثير لغيره في الاعطاء وتوسط لما
سواه فيه لانه منه لكن لا بد من تعلق المشية بواحد دون واحد من مخصص لامتناع الترجيح من غير مرجح كما هو المذهب

المنصور

المنصور فللعبد اختيار في اكتساب المرجح بتحصيل المعارف الايمانية والعقايد الحقة اولا ثم العمل بمقتضاها
ثانيا ثم الانتظار لهبوب رحمة الله وفضله ثالثا فان من حصل المعرفة بالله ورسوله واليوم الاخر والا تيقنا
بالثواب المحض والعقاب المحض وان كان على وجه التقليد والظن حصل لنفسه تشوق الى تحصيل جوهرة تحصيل
اليقين والوصول الى ثواب الله والتقرب اليه فيحمله ذلك على قمع الشهوات الظاهرة عن النفس اولا
ثم على قلع الصفات الذميمة الباطنة عن القلب ثانيا ثم اختيار العزلة والخلوة عما يشوش فكره ويوسوس طبعه
فيجلس للمراقبة والذكر والتفكر ثم يؤدي به ذلك الى ان يجعل همومه ومقاصده واغراضه واحدا وهو
الشوق الى طلب الحق واذا غلب ذلك على قلبه فهو بعد ناقص محجوب ما لم يكن من التفكر بين واصل العلم ان
كان له مجال في التفكر وحركة معنوية في الباطن شغله ذلك عند التجرد عن محاربة الشيطان ووساوس الوهم
بابداء الشبهات والشكوك في قلبه حتى يخلصه ذلك عن الطريق وان لم يكن له سير في الباطن وحركة معنوية
في الملكوت فلا يحتمل الاوراد المتواصلة والصلوات المتعاقبة بل يحتاج معها الى تخليص الحضور بقلبه بالافكار
المعنوية فان التفكر بالباطن هو الذي يستغرق القلب ويجمع النفس دون الاوراد الظاهرة وربما لم يسلم
مع ذلك من الافات الشاغلة له في بعض الاوقات من الفكر والذكر حضوره به كانت اهتزت همومه كمرض او
خوف وايذاء من مخاصم او طغيان من حظوظ النفس وضرورة المعيشة او اشتغال بطعام وملبس مما يحوجه الى الشغل
لولاه بنفسه فان تيسر له قطع هذه العلائق يحصل له اكثر الاوقات فيصفو قلبه ويخشع فكره في عالم الملكوت
وينكشف له من اسرار الله ما لا يقدر على شيء قليل منه جملة الاذكياء المشتغلين بعقولهم بالدنيا [illegible]
وهذا اقصى المقامات التي لاختيار العبد مدخلية في ان ينالها بالاكتساب فالجد فيها مقدار ما يكشف
له من فضل الله ومبالغ ما يرد عليه من رحمته هو خارج عن اقتداره واختياره فانه يجري مجرى الصيد وهو
بحسب الرزق والطالع الاسماء الذي هو طالع العالم الثاني فقد قيل الجد الجد يجمل الصيد فقد يطول
الجد ويقصر الحظ فالمعول للعبد انه على جذبة من جذبات الحق التي توازي عمل الثقلين وليس في ذلك اختيار
العبد الا بان له اختيار في ان يتعرض لتلك الجذبة بالاكتساب من الرياضات الفكرية والعملية واليه الاشارة
بقوله صلى الله عليه وسلم ان لربكم في ايام دهركم نفحات الا فتعرضوا لها وذلك بان يقطع عن قلبه جواذب الدنيا فان

فان المجذوب الى اسفل السافلين كيف ينجذب الى اعلا عليين وذلك لان تلك النفحات والمنبهات
ارزاق معنوية بمنزلة الرزق الصورى فلها اسباب سماوية رحمانية كما ان الرزق الصورى اسبابه سماوية
جسمانية اذ قال وفي السماء رزقكم وما توعدون فان هذه السماء الجسمانية مثال وظل لسماء روحانية
هو المنبعث من الارزاق الصورية والمعنوية كلها ولهذا وقعت الاشارة بقوله الرحمن على العرش استوى
وهذا كلامنا فيه اجل مراتب الرزق المعنوى فهو ايضا من اسباب معنوية وقدسية والاحوال السماوية غاية الذي هم
عنا ظلاله [illegible] اسباب الرزق فما علينا الا تفريغ محل القلب والانتظار لنزول الرحمة و
ببلوغ الكتاب اجله كالذي يصلح ارض الزراعة وينقيها من الحشيش ويبث فيها البذر وبان يصفى المريد
القلب عن رذائل الصفات ويبث فيه بذر المعارف الالهية وكما انه لا ينفع الا بنزول المطر ولا يدرى
متى يقدر الله اسباب المطر الا انه يثق بفضل الله وسنته في انه لا يخلى الارض سنة عن مطر فكذلك
قلما يخلو قلب المريد الصادق في شهر او يوم عن جذبة من جذبات الحق وبالجملة فقد علم انه يطهر
القلب عن خبث الشهوات والتبذير فيه بذر الايمان بالله ورسله وملكوته وجعل عرضة لمهاب فضل
الله مما للاختيار العبد مدخل فيه الا ان يكون في غاية الجحود والقساوة لسبق الكفر المتمادى او
الفسوق المتراكمة كالجاحدين من اهل الكتاب طال امد [illegible] والفضل وهبوب رياح الرحمة
فلا اختيار للعبد فيه بل كله بيد الله يؤتيه من يشاء فقوله لئلا يعلم اهل الكتاب الا يقدرون على شئ
من فضل الله بغى عليهم واعادوا املهم حيث لا يمكنهم تطهير ابدانهم وتصفيته عن الرذائل للاستعداد
رحمة الله وفضله وذلك لحجبهم الخابثة وقسا قلوبهم القاسية كما في قوله فويل للقاسية قلوبهم
خاتمة هذه السورة مدنية وهي تسع وعشرون اية وقيل ثمان وعشرون والاختلاف في قوله
من قبله العذاب واتيناه الانجيل وعدد كلماتها خمسمائة وثلاث وسبعون وحروفها الفان واربعمائة
وست وسبعون وانتظام ختم الواقعة بافتتاحها انهما في التسبيح وانتظام السورتين ان تلك السورة في ذكر
السابقين واصحاب اليمين والمكذبين الضالين وهذه السورة في كيفية الارتقاء الى درجة السابقين
واصحاب اليمين بالمعارف الحقة والاعمال الصالحة وفي حث الفائزين بالوصول الى درجة المقربين

او السعداء

او السعداء بسبب الايمان على تقويته وتوسيع دائرته وتكثير ثوابه ودفع المطغين لانواره و
الجاحدين لاثاره من الكفرة والفجرة وترغيبا للمؤمنين في مجاهدة الكافرين والانفاق على المجاهدين
فافتتح السورة بتقديس الله عن النقايص وصفات الممكنات وسمات الحادثات بلسان كل ما في سموات
عالم الملكوت وما في ارض عالم الملك وبذكر ان جميع ما وقع عليه اسم الوجود ومملكته وتحت
تسخيره وجار عليه سلطانه نافذ في حكمه سار في امره يتصرف فيه كيف يشاء بالاحياء والاماتة ثم ذكر انه
منشأ ملكه السموات والارض وما بينهما مع تمادى ازمنتها ثم اتساع امكنتها ارضها وسماها
مما لا يغيب عنه زمان من زمان ولا يفوت لديه مكان عن مكان بل جميع الازمنة والزمانيات
لاحاطته القيومية في حكم آن واحد في الحضور لديه وكافة الامكنة والمكانيات لتناهيه الالهية
في حكم نقطة واحدة في المثول بين يديه من غير تطرق تجدد وتغير في ذاته او احتمال التجزى وتكثر
في صفاته وذلك لانه هو الاول في عين الاخرية وهو الظاهر في عين الباطنية ولما كان هذا
مستلزما لشمول علمه بجميع الموجودات واحاطة شهوده بجملة الكائنات ذكر عقيبه وهو بكل شئ عليم
ثم اشار الى ان علمه بكل شئ يحصل العلم باسباب ذلك الشئ وعلله الذي هو اجل مراتب العلم واوثقها
واتقنها ليعلم ان عالميته بالاشياء باى نحو من ضروب العالمية وليعلم انه ليس باحساس وكلا
بانفعال وكالاجرام استكمال الكامل بالناقص وانفعال الكامل عن السافل فذكر انه مبدع الاشياء
وخالق الارض والسماء في اقل من عدد كامل هو الستة اعنى الستة ثم لما كان اسباب وجود الكائنات
وشرائط حفظها وبقائها من الارزاق والاجال ينزل من عنده بواسطة السماوات فقواها المحركة
لها شوقا الى الطاعة بانفعالها بنوع من الحركات وسنوف اختلاف الاوضاع والنسب التي ينشأ منها
الكائنات وينبعث منها الحيوان والنبات على ما جرت عليه سنة الله التي لا تبديل لها وحمله الحركات
السماوية والاكر الكوكبية في فلك واحد عظيم مشتمل على الجميع اشتمال الشخص الانساني على اعضائه
وجوارحه واركانه هو المحدد بحسبه للجهات والابعاد ومقدار حركته للازمنة والحركات فهو
مع نفسه وعقله تدبر الكل وتدبير الجميع باذن مبدعه ومحركه وبيده دوره وموجد نفسها ومحركها بكل

شوقيا بالحركات النفسانية والادوار والافكار القدسية والانتقالات العلمية والطاعات الملكية
كل ذلك تشوقا الى جنابه وتقربا الى طاعته وامتثالا لامره وتضرعا وابتهالا نحوه وتشفعا لديه
لانجاح مقاصد الملهوفين واستعانة عنده لاعانة المحتاجين في اصلاح احوال الهالكين
الى معدن الظلمات واعلاء مرتبة النازلين في مهوى عالم الهيولى لانهم اهل لا استعداد لهم
عن مرتبة السافلين الى مدارج العليين بالهامهم معرفة المبدا والمعاد وتوسط الحركة وخلاص
اسيرهم وربما اشتبه على ان هذه الوسائط لا مدخلية لها في الايجاد والاعطاء بل هي مظاهر الرحمن
ومستوى الرحمن وهو الذي استوى على العرش لانتظام ما في الكون بتسبيب الاسباب وتهييج الاشواق
وانشاء الدواعي وتوسيط القوى الفعالة ووضع القوابل المنفعلة وكل ذلك على سبيل العناية
بالسافلات وترشيح الخير الدائم على المنفعلات الكائنات بوساطة عالم الحركات العاليات الصافات
بامره تعم من الملائكة المدبرات وعباده الساجدات الراكعات كما اشير اليه بقوله لا يعصون
الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون ثم عاد الى بيان علمه بالجزئيات بزيادة استيضاح على هذا الوجه المذكور
بسبيل اخرى فاشار الى ان من شانه هكذا الابداع ان لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في الارض ولا في السماء
يعلم ما يلج في الارض من اسباب قابلية لوجود الكائنات كالبزور والنطف وغيرها من المقادير والكيفيات
الاستعدادية وما يخرج منها كاجناس المواليد الثلثة وانواعها من الجماد والنبات والحيوان وما ينزل من
السماء كقواها وصورها ونفوسها وما يتحصل ويتقوى به اعظامها واحياؤها كالامطار والثلوج
وغيرهما وما يعرج فيها من العقول الصافية الانسانية التي صارت لجودها وتبرزها عن الهياكل
انقاض الابدان بجناحي العلم والعمل بخلاف النفوس الشقية المتعلقة بشهوات هذا العالم التي تكون
ابدانهم بالقياس الى نفوسهم البهيمية اصطبل الدواب لا اقفاص الطيور فليس لهم قوة الارتقاء
الى ملكوت السماء فلا لهم سبيل الى عالم القدس وعالم المعنى ثم انه لما تقدم انه سبحانه مما لا يتحد وعلمه
بالغيبة والحضور والوجود والعدم فلا يفوته شيء من الاشياء بل الماضي والمستقبل بالنسبة اليه
كالان في الحضور لديه ومع ذلك هو القائم على كل شيء بما كسبت يداه لاستوائه على عرش وجود الحوادث

والكاينات

والكاينات واستقلاله بالافاضة والايجاد على الموجودات من غير تاثير لغيره الا في الاعداد فظهر
ان لا واسطة بينه وبين كل موجود ولا تفاوت فيها عنده ولا تعاقب لوجود على وجود لديه بل هو
بوحدته مقوم ذات الجميع ومقرر بانيته متقرر مهية الكل اثبت مهيته لنا وفيما كنا وحتى كنا عالين
او سافلين سابقين او لاحقين فاذا كان كذلك كان على حضوره شهودا اشراقيا نوريا نعم
عن ذلك بانه بما يعملون بصير ولما علم مما ذكرنا سابقا كونه مبدا فاعليا للجميع ادعى انه المبدا الغائي ايضا
للكل وحيث كان الاول كاشفا عن الثاني مستلزما له ذكر رجوع الامور اليه بعد ما ادعى نسبة ملك
السموات والارض اليه ليعلم ان الغاية القصوى للكل كما انه المبدا الاعلى للجميع بتوسيط المنافع والغايات
الجزئية وتسبيب الاسباب المتوسطة لوجود الاشياء على الوجه الذي اراده وشاء ثم لما مرت الاشارة الى
الاسباب القابلية الارضية والفاعلية السماوية لخلق المركبات العنصرية اراد ان يشير الى ان تاثير
الاسباب العالية في القوابل السافلة متوقف على الحركة المتجددة ليقرب المعلول الى علته فان
مرهونة باوقاتها الحاصلة من حركات اسبابها وتغيراتها باختلاف الحركات والاوقات سبب لاختلاف
الحوادث والكاينات كما يشاهد بتبدل الفصول الموجب لتخالف الليالي والايام المستلزم لاختلاف
اصول الخلايق والانام عن من تفاوت الليل والنهار على الوجه المشاهد المستلزم لاعتدال الكاينات
بولوج كل منهما في صاحبه موصلا الى المنافع والغايات المترتبة على تفاوتهما في المقدار واختلافهما
في الاثار وبين على ان الجاعل لهما على هذا الوجه المقرر والمولج لكل منهما في الاخر هو سبحانه لتدبير الكاينات
ومصلحة الموجودات فانه سبحانه لو لم يجعل الانوار الكوكبية ذات حركة سريعة مشتركة واخرى بطيئة
مختصة ولم يجعل دوائر الحركات البطيئة مايلة عن دائرة الحركة السريعة لما مالت الى النواحي شمالا وجنوبا
فلم يلتئم منافعها على بقاع الارض ولولا ان الشمس خصوصا على هذا المنوال تخالف بميلها سمت الحركة
السريعة لما حصلت الفصول الاربعة التي يتم بها الكون والفساد وينتظم بها امزجة البقاع والبلاد ولما كان
القمر نائبا للشمس خليفة لها في النضج والتحليل والاصلاح والتعديل اذا كان قوي النور جعل مجراه
يخالف مجراها فان الشمس يكون في الشتاء جنوبية والقمر شمالية لئلا ينعقد البنا وفي الصيف بعكس ذلك

ليلا وتجمع السحنات ولما كانت الشمس في ايام الصيف الطوال شمالية الحركة وفي ايام الشتاء القصار
جنوبيتها وبها اوج وحضيض متقابلان بينهما النصف دور جعل الله تعالى بحكمته البالغة اوجها في الشمال
وحضيضها في الجنوب ليحصل من قرب البعد عن سمت الراس بعد المسافة لئلا يشتد التسخين بالشمس وبسبب
بعد قربها لئلا يضعف القوة السخنة عن التاثير كل ذلك لحكمة العليم القدير الحاصلة من تخالف الليل والنهار
وتفاوتهما في المقدار ولما كان بعد وجود الاسباب المؤيدة الى خلقة الانسان بدنا ونفسا صورة ومعنى
كان عالما بصفاته الظاهرة البدنية وملكاته الباطنة النفسانية فذكر انه عليم بذات الصدور وليعلم انه
تعالى بصير لا يخفى عليه قليل ولا كثير فيجازى على كل عمل قلبي كما يجازى على كل حركة بدنية ولما بين انه
سبحانه متصف بغاية العظمة والجلال ومنعوت بكونه مبدا الكل وغاية قصوى للكل ليتوضح لذوي البصيرة
ان الكل محتاجون اليه في الوجود وخصوصا المعلول الذي تضاعف فيه وجوه الحاجة وكثرة عنده جهات
الامكانات الذاتية والاستعدادية ولا شبهة في ان من هو موصوف بغاية الفقر والفاقة من شانه التشبث
بمن هو منعوت بالكرم والافضال ومن دابه التضرع والابتهال وطلب التخلص عن القصور والوبال
ممن هو على غاية التمام والكمال استدعاء الاستمداد والاستكمال ممن هو في نهاية العظمة والجلال متبرى
الذات عن النقص والعدم والزوال كما يناديه الفردانية الاحدية منبع كل صورة وكل الفضائل من حسن
جمال ثم لا يخفى ان كل ناقص يسوغ له الاستكمال من جهة وجه النقص الى ذروة الكمال فلطريق خاص ومنهج معين
في الترقي الى الاوج الرفيع والاتصال فللاجسام باجمعها الحصول في مطلق الحيز والفضاء وللعناصر
الحركة نحو المكان الاسفل او الاعلى وللنبات الاغتذاء والنماء وللعجم من الحيوان في جهة الدنيا غير ما نظر
وحركته بارادته واحساسه وهاهنا رتبة جماد ونبات الاوهى شانه الترقي الى النفس والملاذ فانها ما لم تعقها عائق
ولنوع الانسان كما يختص وهو الايمان بالله والاعمال القربية بحسب جزئه العلوي والتجرد عن الدنيا واللذات البهيمية
بحسب جزئه العلوي لما وقع له الامر بالايمان بالله ورسوله والانفاق مما زاد على ضرورات بقاء الكون
ثم بين سبحانه عظم اجر الانسان الذي سلك مسالك المعرفة والتجرد بقوله لهم اجر كبير لانه تجرد عن الامر
من الكون وتخلص عن الناسوت ثم اظهر سبحانه الاستكبار والتعجب ممن لم يتيقظ بالمعرفة بالله مع تحقق

الرسول

الرسول المعلم المبشر الداعي طريق الحق مع قابليته الذاتية ومناسبتها لمعرفة الحق بحسب الفطرة الاصلية
المعرفة بما اخذ الميثاق ثم بين عظم رتبة هذا المعلم البشري وكيفية ارتقائه من المرتبة الرسالة ودرجة
التبليغ وهو انما يكون بتنزيل الله سبحانه على عبده المبتهج للفضائل والملكات البشرية الايات البينة والعلوم
الحقة ليتنور ذاته بالانوار الغيبية ويتبشر في عقله المنفعل بالاضواء الاحدية ويستضيء نفسه التي
يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار بالاشراقات الصمدية ويصير عند مماسة نار الانوار والشعلة المجردة
نورا على نور ليتنور بنور ذاته المستضيئة بانوار الله المتكثرين في ديار حبس الجهل والظلمات الهابطين
الى مهوى الغفلة والشهوات المتزحزحين لضعف الاعداد عن عالم الاشراق ويخرجهم من ظلمات عالم الاجسام
الى نور عالم الارواح ويرجع النفوس السعداء والكرام ولما كان ارسال الرسول وانزال الوحي وتنزيل
الايات الى قلبه منه تعالى على وجه اللطف حيث هو موجب لنظم امور الدنيا وتعيش الانسان على ابلغ نظام مع
تحصيل الاهبة في سفر الاخرة لما اخذه الزاد وربح التجارة في المعاد والفوز بارفع مقام ومراد فقد كان
فيه نفع العاجل مشفوعا بسعادة الآجل اشار الى هذا اللطف في الهداية والتكميل بالايجاد من تعلق منهج الحق
والرافة بالعباد لتربيتهم في الوجود والبقاء من جهتي المعاش والمعاد ولما امر اولا بالايمان والانفاق
الذي هو خلاصة الكمال العلمي والعملي ثم اخذ سبيل شبه التعجب المستفهم من التاركين للايمان في تركهم اياه
مع دعوة الرسول واخذ الميثاق له وجود المعلم وقابلية المتعلم فان بيده سبحانه هذا العلم بصنوف
الهداية والتعليم فعاد ثانيا شبه التعجب المستفهم من التاركين للانفاق في تركهم اياه محتجا عليهم في استقباح هذا
البخل والامساك منهم بان ما في ملككم ليس باقيا لكم بل في معرض الزوال هو عنكم وهو عنده وان الجميع بالحقيقة
ملك يعود اليه وله ميراث كل شيء سوى المال ثم ذكر تفاضل المنفقين والمجاهدين قبل الفتح وبعده وتفاوتهم
في درجة الجزاء والثواب بان افضل الاعمال احمزها مع انه وعد الجميع بالحسنى لاشتراكهم في الفعل الحسن وذكر
انه خبير بمراتب الاخلاص في العمل وحسن النيات كما انه خبير بظواهر الاعمال ودواعي الافعال ثم وعد الاجر
الكبير مع المضاعفة في مقدار الثواب لمن يقرض الله قرضا حسنا ثم بين الموضع الذي يتحقق فيه المجازاة على الاعمال
وتبيين تفاوت الدرجات والاحوال ويتميز فيه السعداء عن الاشقياء وانه ذكر شيئا من احوال المؤمنين وشيئا من احوال

للمنافقين في ذلك اليوم وذكر تخلف المنافقين عن المؤمنين في سلوكهم طريق النجاة بنور المعرفة لسداد
وتمنيهم الاقتباس من نور معرفة المؤمنين مع استحالة ذلك لبطلان استعدادهم الفطري وزوال قابليتهم
الجبلي وذكر رد المؤمنين ملتمسهم وتقريعهم بالتنبيه على فقدان القبول لهذا الاقتباس والاشعار بما
يوجب له الخذلان والياس ثم ذكر انه وقع عند ذلك حاجز وباب باطنه مطلع عالم القدس والرحمة والنعمة
وظاهره مطلع عالم الظلمة والغضب والنقمة ثم اشار الى نداء اهل الجحيم لاهل النعيم وسئوالهم اياهم بسبب علو
رتبتهم وانحطاط رتبة هؤلاء مع الاتفاق بينهم في ظواهر الاعمال البدنية والتساوي في مزاولة العلوم
الدينية وبطلان ترجيح احد المتساويين على الآخر لا لمرجح فحكى الجواب لهذه الشبهة الواهية التي هي اوهن من
من بيوت العنكبوت من قبل الراسخين في العلم من افاضل المؤمنين ان ملاك التقرب الى الله تعالى والصعود
الى معارج القدس انما هو بالاخلاص في النيات والسير المعنوي في الملكوت والتفكر في بدائع الفطرة
مع صدق الطويات وانتم سلكتم مسالك الاماني والشهوات والاغترار بالدنيا واللذات بتسلط الكافر
الغوي عليكم واراءة الشيطان لكم الباطل في صورة الحق حتى تحكم فيكم ذمائم الصفات وتراكمت في
قلوبكم رين المعاصي والشهوات فلن ينفعكم اليوم اذ ظلمتم ولا يسمع منكم معذرة ولا يؤخذ منكم
فدية ولا من الكفار لان مأويكم والجحيم مولاكم اذ كل شيء يصير الى اصله وكل من يريد اوى بجنس بلده
وما وبكم بئس المولى ومصيركم بئس المصير ثم لما ذكر حسن احوال المخلصين وخامة عاقبة المنافقين لجل
اغترارهم بالدنيا عاتب المؤمنين المشتغلين باكتساب الدنيا وقلة التشوق الى دار الآخرة حيث تطرقت
فيهم قساوة القلوب لتطاول الامد كما في بني اسرائيل ونهاهم عن ان يكونوا اهل الكتاب في قسوة القلب ثم تدارك لهم
باللطف بعد هذا التوبيخ بان قلوبكم وان قست وقربت مما كان في سابق الاسلام وماتت بنسيان المعرفة
وقلة تلاوة الآيات والذكر الحكيم لكن الله يحييها بنور المعرفة والتلاوة والذكر لبقاء قابليتها بثبوت
اصل الايمان فيها كما يحيي الارض بعد موتها لبقاء جوهرها وان عدمت عنها الطراوة التي هي بمنزلة تدبر
الآيات في الانسان والقلوب التي لم يبق فيها اصل الاعتقاد بمنزلة الارض التي فسدت ذاتها وارضيتها
وانقلبت سبخة او رمادا او ملحا لا يمكن احياؤها بانوار المعارف الحقة واحياء الاعمال الصالحة كما لا يصلح الملحة

للزرع

العشب باضواء الشمس وقبا المطر ثم رجع الى الترغيب والحث للانسان على اكتساب العلم والعمل بحكاية حال
العاملين من العالمين بذكر الوعد للذين تصدقوا واقرضوا الله قرضا حسنا بتضعيف جزائهم وكرامة
اجرهم وبذكر الفضيلة للمؤمنين بالله ورسله ايمانا حقيقيا بانهم هم الصديقون والشهداء عند ربهم
والوعد لهم باجر ونور مخصوصين بهم لمنزلة شرفهم ومنزلتهم عند الله لكان المعرفة اليقينية والعمل الناشئ
عن محض المعرفة والاخلاص الذي لا يوجد مثله في غيرهم اما الاجر فهو مقابلة اعمالهم الصالحة واما النور فهو من
لوازم معرفتهم المحضة بلا شوب غرض ورياء في الاولى ولا تطرق شبهة وريب في الثانية ثم ذكر
لتوضيح هذه المنزلة في الاعتقاد والعمل وشرافته بذكر ضدهما فيهما وهو الكفر الذي هو افحش مراتب
الجهل بازاء فضيلة المعرفة بالله والتكذيب بآيات الله الذي هو افتح القبائح العملية بازاء فضيلة
العمل الصالح وذلك لان الاشياء تعرف باضدادها واخبر بانهم اصحاب الجحيم بحسب غريزتهم الاصلية لانهم
من اهل هذه الدنيا بحسب طبيعتهم الفطرية اذ الجحيم من سنخ هذه الدار الفانية الهالكة الباطلة ولهذا وقع
الاشتراك بينهما في الخصائص من الاحوال ما ترى ان شان كل منهما الاحالة والتحليل ومقابلهما الامانة والتبديل
اختصاصهما ابدا في الذوبان والانتقال وليجتمعا معا دائما في الحركة والارتحال حال الساكنين في الدنيا
نظير ما حكى الله عن سكان الجحيم بقوله كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب فاشتركوا
في الاستحالة والذوبان وكذلك تحال اهل الدنيا في تضادهم عنا في الكيفيات المحسوسة وبما غفر فيه
في الاغراض الخبيثة النفسانية والدواعي القبيحة البدنية وتخالف مذاهبهم الناشئة عن المخاصمة والعناد
والمنافسة في الحسد واللداد كحال اصحاب الجحيم فيها اذ ذكر سبحانه بقوله كلما دخلت امة لعنت اختها وبقوله
ان ذلك لحق تخاصم اهل النار الى غير ذلك من الخصائص الجامعة للدنيا والجحيم والصفات المشتركة بينهما التي
يدل على ان الدنيا بعينها صورة الجحيم والجحيم بعينها حقيقة الدنيا وعلى هذا الراي شواهد عقلية وبينات
نقلية واشارات قرآنية ورموزات نبوية ونصوص الهامية وبراهين حدسية يتفرع فيها بعضها
اصحابهم
وينكرها من ينكرها واذ قد ثبت جهة الاتحاد بين الجحيم والدنيا وان الجحيم هم باعيانهم من اصحاب الدنيا
اشار سبحانه الى بيان مهية الدنيا ليعلم كيفية استتباعها النار واستلزام التلذذ بشهواتها للتعذيب بعقوبات

بعقوبات الجحيم فان معرفة ماهيتهما وخصايصهما لاتحزانهما و لذاتهما بكونهما العيب امور وما ينبعث منهما كالنفخ
في الامور الخسيسة والتكاثر فيها وهي امور وهمية باطلة لا حقيقة لها كالا حقيقة للسراب الا كونها قطعة من اعمه
معرفة للاتصال بعدمه للكون والحق وجميع ما ذكرنا امور عدمية لا حقيقة لها وهذه الاشراق والنورية
واللون التي ترى من هذه النار الدنياوية ليست داخلة في حقيقة ناريتها لانها ليست نارا صرفة بل نار
مخلوطة بنور وطهارتة لكون والتحصيل واما النار الصرفة الاخروية فهو ليست الا اهلاكا وايلاما ولذلك قيل
هذه النار الدنياوية حصلت بعد غسلها سبعين مرة عند نزولها من الاخرة الى الدنيا لم يمكن الاستمتاع بها من اعظم نعم
والنار الاخروية مخلوقة من غضب الله تعالى على من يستحقه ثم من يذكر منها الا ما ناسبها الدنيا ودها وقلها ثم انما
الى المؤمنين فيها اللطفين لما انه الى الجحيم حيث عقب ذكر التيسر في فتامها وقادها واعجاب الكفار
بزينتها بقوله وفي الاخرة عذاب شديد ولما كان من عادة القرآن ان لا يجرد ذكر الغضب والعقاب عن
ذكر الله الرحمة والمغفرة عطف عليه قوله ومغفرة من الله ورضوان ثم رجع الى تاكيد ذم الحياة الدنيا
بانها متاع الغرور ثم اكد ذلك بان الاختيار عن الدنيا بان امر بالمسارعة في اتباع عنهما للوصول الى المغفرة
والجنة كمسارعة المسابقين في المضمار ثم ذكر تعويقا للعباد فيهذه المسارعة بوصف عظم الجنة وسعتها كما
ما يتصور من البسطة والوسعة ولانها معدة للعارفين بالله ورسله وانها من باب فضل الله ودرجات حجتها
على الاعمال والاثار وتطوعه بالاجواد ونذكر انه ذو الفضل العظيم فان جميع العوالم والنشآت من فضائل
ذاته المتعالية عن الشبه والنظير ومن نفحات فيض الفاعل عن القصور والتغير وهذه الفضايل العنايته بذاته
على شئونات ذاته وتجليات وجهه في غيب غيوبه التي لا يحيط بالعدد والاحصاء ولا يمكن لها النعت ثم انه
فلهذا ذكر عقيبه ان كل ما يحدث في هذا العالم سواء كانت امورا خارجية او ذهنية افاقية او انفسية في
ما كانت قبل خلقها في كتاب من علمه تعالى الذي هو من مراتب شئونه الصفاتية تفصيلا والذاتية اجمالا ثم ذكر ان
من نتايج هذه المعرفة عدم الاسى على الفايت ونفي الفرح عن الاتي ومن نتايج الجهل بها الخيلاء والفخر المنقوض
لم تعم البنيان بتميمه وينبعث عنها كثير من الصفات الذميمة والاخلاق الردية كالبخل وحمل الناس عليه وجميع
ذلك مما يحدث البعد عن الحق والتوجه الى الامور الباطلة ومن ثم معاد المتخمص من غيره نقصان في سلطانه تعالى

وملكه

وملكه ولذا عقب ذلك بقوله فان الله غني في ذاته حميد في صفاته وحيث يمكن ان يختلج لاحد في قلبه
ان صفة الغناء المطلق ينافي طلب الصدقات والطاعات وساير حقوق الله عن العباد بالسنة الرسل والكتب
اشار الى دفع هذا التوهم بان الغاية بارسال الرسل بالمعجزات وانزال الكتب وقانون العدالة في الافعال
والصفات ليس الا استقامة الناس واصلاح نفوسهم بملكة العدالة وحصول المعاملة بينهم بالقسط والانصاف من
غير تعد وجور بتفريط وتقصير ليدوم معيشتهم الدنيوية سوقا الى سعادتهم الاخروية وكان نزول هذا
الهداية من الرسل والكتب والقوانين ليس المقصود الا انتقال الانبيقة الناس بحسب الذات لا منفعة
يعود الى ذاته تعالى عن ذلك علوا كبيرا كذلك خلق الاسباب الجسمانية من الات الحرب وجر جاله الى الضعم
الا منفعة العباد لا غيرها ولذلك عقب في ذكر المقصد الاولى يذكر المقصود من انزال ما هو من قبل
الثانية و ذكر ان في انزال الحديد وخلق الات الحرب والات الصنايع فيه ليس الداعي الا ما يرجع الى
ما يرجع الى الخلايق الى الغاية فيه باس شديد ومنافع للناس فلان في استعمال الاسلحة المتخذة تبيين
مرتبة حال المجاهدين في سبيل الله الناصرين له ولرسله حين الغيبة عنهم لا لحاجة تعالى عن ذلك عن ان لا
نقص في قدرته ولا قصور في عزته ولا استشعار بان المقصود من ايجاد الممكنات وهدايتهم طريق الحق بارسال
الرسل ونصب الادلة والايات ليس غرضا يعود الى ذاته بل انما هو مجرد عناية بالقيام اليهم وفيض رحمة
عليهم على سبيل الوضع ونظم الامور وترتيب الاسباب موديات الى المسببات مترتبة عليها الغايات التي
ومصالح للعباد من غير التفات من جانب العالي الى السافل اخر سبحانه قد خلق الانبياء وارسلهم ودعاهم
الى الخلق مع تابعية ايام بجنود لم تروها من الملائكة وشرح قلوبهم بالوحي والكتاب والحال انهم مع ذلك
لم تعم الاهتداء بهم الا من بعض الناس دون بعض وكثير منهم فاسقون ولو كان له غرض وارادة جزافية والعرض
جزئية ومقاصد سفلية كما يتصوره العامة لم يتصور ذلك ولما كانت اولياء الله واحبائه منحصرة في
الافراد معصومين بعد الكفرة الفجرة ممنوعة عن ارشاد الخلق معوقة عن هدايتهم مدة مديدة لسبب قلة الانقياد
وافساد الظلمة ثم اكد هذا المعنى بالاخبار عن اتصال سلسلة الرسل والمصطفين الاخيار على ما هو مقتضى
حكمة البالغة من عدم خلية العالية عمن يوحده ويمجده ويعرفه بصفة بصفات العظمة والجلال ويثنيه

ويعظمه

بعوث الكبرياء والجلال من الانبياء والاولياء والعرفاء ثم الاشرف فالاشرف الا ان بلغت نوبته الاخسا
والاضال الى الاداني والارذال من غير تعلق قصد بوجود هذا القسم الا على سبيل الاستجراد والاستتباع
كما ان الصانع الحاذق والنجار المحقق اذا تم صنعته من موضوع معين ظاهرا كالخشب مثلا للسرير والباب و
نحوه من الموضوع شئ لا يضيع حق قابليته هذه الفضالة بل يصنع منه ما هو ادون منزلة من الاول وهكذا كان هو
والجلال الى ان لا يبقى شئ من الموضوع الجسماني فكذا البارى تعالى وهو اشرف الصانعين يبدع من صنعه وجود
الاشرف فالاشرف الى الاخس فالاخس حتى ينتهى الى وجود الاشرار والفسقة والكفرة وكان الغرض
المقدم فى ايجاد المكونات خلقة اشرف نوع الانسان فخلق من فضالة سائر الاكوان لئلا يضيع
كل ذى حق حقه ولا يمنع عن القابل مستحقه كل ذلك على سبيل الحكمة والعناية الخاليتان عن النقص والشين
وذكر انه عقب الرسل بالرسل وقفى بعضهم على اثر بعض حتى يلد بالايات من لدن نوح وابراهيم الى عيسى
ابن مريم عليهم السلم وكان فى كل امة الغلبة للفساق والنجاة للمهتدين وهم الاقلون عددا من المتقين
والهالكين وكذا فى امة عيسى كان بعضهم ممن اصحابه واتبعوه وكان فى قلوبهم رافة ورحمة فاولئك هم
وكثير منهم فاسقون ولما اخبر بتعقيب ارسال الانبياء متصلين الى عيسى ع وذكر حال قومهم الغابرين
وقومه الغابر شرع فى ذكر نبينا ص وحال قومه الظاهر الحاضر مخاطبا اياهم امرا لهم بالتقوى والايمان
واعد لهم كفلين من رحمته ونصيبين من فضله وجوده لشرافتهم وتفضيلهم على سائر الامم لقوله كنتم
خير امة اخرجت للناس وجعل لهم نورا يمشون به يوم القيامة وهو نور المعرفة جزاء ايمانهم بالرسول
وجزاء تقويهم للمغفرة لذنوبهم السابقة لان العلم شرف وتطهير والعمل نجاة وتخليص وهذه المراتب السنية
لهم من فضله لاجل استحقاقهم الذاتى وصفاء قرايحهم الفطرية فان الناس معادن كمعادن الذهب
والفضة وبعضهم اصفى وبعضهم اكدر وبهذا اشار سبحانه على تفاوت طبقات الخلق فى الكمال الجواهرى بحسب
بقوله لئلا يعلم اهل الكتاب الا يقدرون على شئ من فضل الله لخسة جوهرهم وضعف قابليتهم والفاعل الفياض
وان كان متشابها فى فيضه وجوده كما اشار بقوله وان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل
العظيم لكن يختلف اثاره باختلاف القابليات فيضل به كثيرا ويهدى به كثيرا الا ترى ان للماء حقيقة واحدة

تعظيم

فوز نعيم

فعله من جانبه متشابه لكن يختلف اثاره بحسب اختلاف الاراضى كما فى قوله تعالى هو الذى انزل
من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والاعناب
كل الثمرات ان فى ذلك لاية لقوم يتفكرون والشمس ذات واحدة وفعلها الخاص بها الاضاءة والاشراق
ومع ذلك يكون لفعلها الوحدانى اثران متضادان كتبييض ثوب القصار وتسويد وجهه فهذا ما خطر بالبال
المنكسر وحضر فى ذهنه الفاتر القاصر من النكات المتعلقة بهذه الكريمة مع تشتت البال والقبض الحال
فى سوداء الجهل والوبال فى الاطراف والاكناف وترفع حال الجهلة والاراذل وتصديهم على الاخيار و
الاشراف وخلو البقاع والبلاد عمن يعرف قدر المعارف والاسرار الغائبة على قلوب العباد من خبايا
علوم المبدأ والمعاد والى الله المشتكى من زمان شاع فيه الجهل والعناد وكثر فيه الحسد واللداد وانسد طريق
المعرفة والسداد واستكبر الناس عن تعلم الحق بسبب حصول الوسواس وشموع علم المذهب لتوسلهم
الى مراجعة الخلائق اليهم والاستيناس وله الشكوى فيما اخرجنا الله به عن مضايق ظلمات الاحتجابات الجلالية
والكلابية الى فسحة الانوار الالهية القرآنية وسلوك الجادة الى طريق التوحيد باسرار كلامه ورموز اياته
محمد واله الصلوة والدعاء كما ارشادهم للخلق من ضلالهم
وجزاء هدايتهم الناس واكمالهم اولا واخرا

تمت ٢٢٢
كتبه الفقير ...
...
١٢٣٦

كتاب ديگر از رقوم ملاصدرا

٣٠

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لواهب النفس والعلم والعقل والصلوة على النبي والولي والاهل وبعد فيقول الملتجي
الى باب ربه الكريم محمد المشتهر بصدر بن ابرهيم الشيرازي اعلم ايها السالك من عالم البشرية الى عالم الربوبية
ان الموجود اما موجود لذاته بنفسه فيقوم بنفسه واما موجود بغيره قائم بما دونه فالاول هو الله
وله الاسماء الحسنى والصفات العلى وعنده مفاتح الاشياء وبيده مقاليد السماء والثاني اما
جوهر موجود لا في موضوع او عرض موجود فيه والجوهر اما جسماني او روحاني والروحاني
اما كامل او ناقص والكامل اما كامل بالفطرة الاولى او بالفطرة الثانية والناقص اما مستكف
بذاته وبما يعتمده ذاته او غير مستكف والناقص الغير المستكفي اما قابل للاستكمال او غير قابل فالاول
هم الملائكة المقربون والثاني هم الانبياء المرسلون والثالث هم الملائكة السماويون على طبقاتها
والرابع هم النفوس الجزئية فاقل تكميلهم بمنزلة الملائكة الارضية والخامس النفوس المنكوسة
المنكوس من فطرتها كالحيوانات والكفار وفيها كنفوس الاشقياء من الفسقة والكفار وهم من الشياطين
المطرودة من عالم الرحمة والرضوان الى عالم القهر والخسران فالنفوس الانسانية في اول فطرتها
وبدو نشأتها القوة والاستعداد لان تخرج اما الى الملكية او الى البهيمية او الى السبعية وهذه او الى الشيطنة بتدرج
فوق امور اربعة احدها خير وسعادة والثلثة الاخرة شرور وشقاوة وضلال ووبال وانما تخرج
اما الى ذلك ولما الى هذه بسبب اعمال وملكات متكررة في بعضها مناسبة لما انحو ... بها ذاتها
بحيث يمتنع زوالها فالاعمال والعلوم على فنونها وشعبها اما مقربات من الحق الاول وملكوته
الاعلى واسباب الارتقاء اليه والمخلصة في اوج ملكوته الاعلى من حضيض البشرية السفلى الدنيا
كما اشير اليه في قوله واليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه واما مبعدات منه واسباب الطرد
من جنابه والبعد من عالم الالهية والوقوف في الهاوية السفلى والمهاد الدنيا من الهيولى الظلمانية

معوض لمخاطبات العقول والنفوس العقول وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا ولما كان
الحال على هذا المنوال بعث الحق بمقتضى عنايته الازلية على عباده لطفا جديدا غير ما فطرهم
الله عليها في الفطرة الاولى وامدهم باحسانه مددا ثانيا يعني بما اتاهم الله في النشأة الاخرى
فنصب شريعة عليه وعلية وارسل رسولا هاديا الهمهم طريق الخير ورفعا عن طريق الشر
وانزل كتابا جامعا لجميع ما يهدي الى الرشد وصحيفة ملكية فيه خزائن اسرار علوم السابقين
واللاحقين ومجامع نظرات معارف الاولين والاخرين فيه يبين الحلال والحرام في الافعال والاعمال
والحسن والقبيح من الصفات والاخلاق والصواب والخطأ من العقائد والعلوم لينبه الانسان
ويستيقظ عن نوم الغفلة ورقدة الطبيعة وصمت الجهالة ويحيى بصبح المعرفة والتقوى
ويقوم الى العبودية ويسلك سبل القدس والرضوان والقرب الى الرحمن ويصل الى جوار
العزيز الحميد وينزجر عن طاعة الهوى ومتابعة النفس وعبودية الشيطان فلولا سبحانه بموجب
عنايته التامة ورحمته البالغة لم يصل الانسان سوى كافة الحيوان ولنبه الشياطين والجان الى
ليس فوقها واستعد بها درجة الارتقاء الى العالم الاعلى كما قال في القرب سعادة وبعد ما
ان يصل جنة سعود شابة تلج بيت اعلى خالص عن هذه القرية الظالم اهلها ومن
مشاركة الفجار والخيرات التامة مع المحجة البيضاء الا الكاملين بموفق العلم والعمل او في العلم
والمتوسطين فيهما او من يعقبهم واهتدى بهديهم واقتفى اثارهم وانتهى في نهايتهم حتى يحشر معهم
فكم من شبه بقوم فهو منهم فقد اوضح الشرع للعبد السبيلين وهداه النجدين وهما طريق الخير
والشر وسبيل الحق والباطل وبين ان اي الافعال يوجب النقمة والرضوان وايها يوجب
النقمة والخذلان كما قال تعالى يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك اي افض على قلوب عبادي من
ما افضنا على قلبك وعلمهم ما علمناك ما علمناك وهذه الافاضة والتعليم وان كانت عامة تامة
وهذه الهداية والحكمة وان كانت تامة كاملة لم ينتفع بها الا النفوس السليمة عن امراض الاعراض
عن الحكمة والكفر والطغيان والطلب والسابحة عن امات الحسد والطغيان لقوله الاصم الابكم

31 بقلب سليم واما النفوس الشقية المعوجة المنكوسة التى كفرت بانعم الله فلم ينفع فيها الحكمة والقرآن
بل ازدادت منها اضداد ما يؤثر في اهل السلامة والايمان كما ان الشمس واختلاف تأثيرها في تسويد
بعض الجواهر واظلام البعض وترويح المواد الطيبة وتعفين المواد العفنة وتبييض ثياب القصار
وتسويد وجهه فكذا حكم تأثيرات انوار القرآن على القلوب المختلفة في الصفاء والكدورة والطهارة
والكدورة يوم تبيض وجوه وتسود وجوه يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا فمنشأ اختلاف القوابل
والاستعدادات وتفاوت الغرائز والجبلات فالهادي بالذات لقوم قد يكون مضلا لقوم
آخرين من غير جبر فالانتفاع بالرسول والقرآن انما يختص باهل الاهتداء والايمان لقد من الله على
المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا دون الكافرين الجاحدين سواء عليهم ءانذرتهم ام لم تنذرهم
لا يؤمنون فغاية هذه البعثة والارسال ونتيجة هذا الانذار والانزال اما بالنسبة الى ذوي
القلوب السليمة فبان يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ويرشدهم الى سبيل الله
ويهديهم الى رضوان الله وجنانه ويبين لهم احوال الآخرة ونشأتها ودرجات الجنان وتفاوت
والسماوات ويشرح لهم طبقات النفوس المقربات والملائكة المكرمات المعلقات ويحل
لهم الحلال والحرام ويوجب عليهم الواجبات ويحرم عليهم الخبائث والمحذورات ويحل لهم
لهم الطيبات ويضع عنهم اصرهم والاغلال التى كانت عليهم واما بالنسبة الى القلوب القاسية
والنفوس المغموسة المنكوسة المنكرة لرحمة الله فبان يكون لله حجة بالغة عليهم يوم القيامة لئلا
يكون للناس على الله حجة بعد الرسل لئلا يقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير فقد جاءكم بشير
ونذير ويهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة فاذا تمهدت هذه المقدمات
فاعلم ان سورة الجمعة مشتملة على امهات المقاصد الايمانية محتوية على اصول الحقائق العرفانية
من معرفة الله سبحانه وحقيقة المبدأ والمعاد وكيفية البعث والارسال والتعليم والانزال وماهية
الكتاب والرسول والهداية للعقول فلنبادر الى رفع حجاب الاجمال عن آياتها وفصولها والكشف غلط
قناع العزة عن وجه بياناتها واصولها مضيفا الى ما يرفع الحجاب عن الفاظها ومعانيها

ولكشف

ولكشف القناع عن اصولها ومبانيها من السور والآيات والحجج والبينات وهذه المعاني والاسرار
والرموز التى سنذكرها قطرة من بحورها الزاخرة ولمعة من بدورها الزاهرة وبذور نتائجها وطالع
والثمرات هي اصول مسائل ربوبيات ومباني قواعد الهيات وها انا اشرع في الافاضة بقوة
العزيز الحكيم بسم الله الرحمن الرحيم المطلع الاول في قوله سبحانه يسبح لله ما في السموات
وما في الارض الملك القدوس العزيز الحكيم اسرار هذه النعوت لانها ابنية الاسم المحمود
وهذه الكلمات من صفات الله تعالى بالرفع على المدح كانه قيل هو الملك القدوس ولو قرئت
منصوبة لكان وجها كما قيل الحمد لله اهل الحمد اي تقديس الله وتنزيهه يسبح كل ما في العلو
والسفل والملكوت الاعلى والاسفل وانما قال صيغة سبح لله صيغة الماضي وفي يسبح لله صيغة
المضارع ليكون تنبيها للناظر الخبير والاديب الاريب على دوام وقوع تنزيهه عن صفات المحدثات
المتغيرات وعن سمات الممكنات الناقصات فيما سبق وفيما الحال ويجيء لان تسبيح الممكنات ويسبح له
لو لحوق الكائنات مما في الارض والسموات من جهة انتسابها الى عللها السابقة وصدورها عنها
الا لحقة اشتراكي فنعم تفسير لفظ الجلالة في تفسير الاية الكرسي والملك الحق بالوجه كل شيء
ويفتقر كل شيء وبحاجة كل شيء فان من لا يكون موجدا للكل بما سواه لم يكن له التصرف في شيء واحد
من الاشياء حيث شاء ومتى شاء وباي وجه شاء فلم يكن ملكا حقا للشيء بل مع شركة من الغير وافتقار
الى الغير فكل ملك حق يجب ان يكون موجدا للكل والجميع والقدوس من هو المبرأ المنزه في وجوده
وحقيقته عن التعلق والارتباط بغيره سواء كان ذلك الغير فاعلا له او غاية او مادة او صورة او موضوعا
او عرضا او جزءا مقوما او سطحا وسواء كان التعلق في الخارج او في العقل كتعلق وجود الشيء في الذهن
بمهيته وكتعلق النوع بجنسه وفصله او تعلق احدهما بالآخر فالله سبحانه مقدس عن التعلق بشيء من
المبادي المقومة بشيء من الاسباب المحصلة لاسبابه يحصل له الاسباب يوجبه ولا شيء
فيه ولا معه لان كلا من هذه الامور يسقط اوليته وينافي تقدمه واحديته وهو مبدأ الاشياء جميعا
ومنتهاها فاولها واخرها وظاهرها وباطنها والعزيز بالحقيقة هو الذي امتنع عن كل نقص وقصور

والمتجلي عن كل قصور وشين والممتنع عن ان يصل الى ذيل جلاله اوهام العاقلين فضلا عن الغافلين
وان لم يدرك كنه جمال انظار الموحدين فضلا عن اوهام الملحدين والمعطلين فالحكيم العالم الذي
يعلم نظام الخير في الاشياء ويضع الاشياء على وجه يؤدي علمه بانها الاليق ويترتب عليها وجوه
النافع ويتعالى عن الشرور والآفات بقدر الامكان ونتائجه على وجه يؤدي المجموع الى الخير المحض
فالجمال المطلق والكمال الاتم والجلال الارفع فالحكمة من حيث مفهومها تحصيل علم تام وفعل محكم
بالقدرة اذ القدرة صفة تؤثر على وفق العلم والارادة وهي فينا من الكيفيات النفسانية مصححة
للفعل وتركه وقوة على الشيء وضده تعلقها بالطرفين على السوية فلا يكون تامة لا بقاء فيها امكان
صرف وقوة محضة لان مبادي افعالنا الاختيارية وارادتها علينا من خارج كالعلم بالفائدة او ما في
حكمه ثم الشوق ثم الاجماع المسمى بالارادة والكراهة وفيه تعالى هي الفعل مطلقا اذ لا جهة امكانية فيه
سبحانه وليست قدرته مندرجة تحت احد المقولات بل هي نفس وجوده ذاته وكون نحو بعض
من الموجودات لاجل علمه بنظام الخير الذي هو عين ذاته فاذا نسب اليه المكان من حيث انها صادرة
عن علمه كان علمه بهذا الاعتبار قدرة واذا نسب اليه من حيث ان علمه كاف في صدورها كان علمه
بهذا الاعتبار ارادة واذا كانت الاشياء الصادرة عن علمه على غاية الاحكام والاتقان ونهاية النظام
كان علمه بهذا الاعتبار حكمة اشرق عرش ربي ان في القرآن نصوصا ناطقة على سريان تسبيح الحق كسريان
نور الوجود والشهود في جميع الموجودات حتى الجماد والنبات وعليه دلائل عقلية ونقلية وكشفية
واشارات واشارات نقلية وحسية فمن الطريق الاول سلكان الاولياء كل موجود من الموجودات
الغائب والمنظور هنا مثل غير موجود سامعة ومحدثية وعلم وارادة وقدرة وحكمة بدلالة
عقلية واضحة فهي كلها مسبحة مهللة ممجدة مكبرة اذ حقيقة التسبيح والتحليل والتحميد والتكبير هي الدلالة
على وحدانية الصانع وتنزيهه عن النقائص واظهار عظمته وكبريائه والدلالة على الجنة فتنطق
سواء كانت بالالفاظ او بالذوات او بالصفات وسواء كانت الدلالة بوضع واضع وجعل جاعل
او يكون وجود الدال عين كونه دالا بلا افعال وضع ووضع جاعل لكل موجود بمنزلة كلام ناطق العلي

تنزيهه

تنزيهه وتقديسه اذ يفهم منه محامده وانتفائه بصفات الكمال وتقدسه عن سمات
النقص والزوال واعلى المراتب الشهادة والدلالة دلالة ذاته لذاته وشهادته وصفاته على ذاته
وصفاته وافعاله ثم دلالة افعاله عليها ثم الملائكة المقربين ثم النفوس والسماوات المقدسة
ثم سائر المكونات كما قال تعالى شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة واولوا العلم قائما بالقسط
كل يتبع وجه المسالك الثالث ان الحقيقة معية ثابتة مع جميع الموجودات وظهوره بخاصة في كل
الهويات ليس كمعية جوهر مع جوهر او جوهر مع عرض او عرض مع احدهما بل اشد من جميع المعيات
حق معية الوجود مع الهوية فلا يكون مماسا ولا مواصلا ولا مغايرا ولا مفاصلا ولا مخلا
كاتحاد موجود بموجود ولا كاتحاد ماهية بماهية بل كما قال امام الموحدين
ومقتدي العارفين امير المؤمنين عليه السلام مع كل شيء لا بمقارنة وغير كل شيء لا بمزايلة فكل موجود
من الموجودات كقطرة في بحر وجوده وذرة متواصلة في اشراق ظهوره وشعاع نوره فاذا كان
الحق بجميع صفاته الكمالية ونعوته الجمالية والجلالية متجليا على جميع الاشياء فلكل من الموجودات بعين
شاهدة الايمان جماد ولسانه ملكوتي يسبح مقدس ليعرف كما ان كل ما في السموات وما في الارض
يسبحه ويحمده ويمجده ويكبره بجميع السنة ذاتها وقواها ومشاعرها وعناصرها واسرارها و
وظواهرها وبواطنها قولا وفعلا معتبرا واعتقادا اشارة حكمية فلا يفتر في انظار الحكمية و
واسفارنا الالهية ان جميع الموجودات متوجهة نحو الحق طبعا وارادة وعقلا وهذا المعنى
شاهد في اكثر المحسوسات الجوهرية مثل النبات فحركاته نحو الكمال ونطقنا الحيوان
في تطوراته من طور الى طور وحركة الانسان في نشأته من لدن كونه عقلا هيولانيا بانتهائها
الى استكمال اتباعه فشيئا الى ان يبلغ مراتب الرجال الواصلين الى درجة العقل المستفاد بل الفعال ثم
يترقى في طور الولاية والقرب الحق ليصل الى الله العزيز المتعال واذا ثبت هذا فنقول ظهر
ان كل موجود على حسب وجوده عارف بربه المتصف بصفات الجمال المنزه عن نقائص الامكان ولذلك
ومن عرف الله فلا محيد يسبحه ويقدسه وينزهه بلسان الحال او المقال او الفعال فكل موجود يسبح

بجلاء الامر فغلب عليه الوهم المثير تعالى الله عن ذلك هذا من سوانح هذا المقام فافهم واغتنم ولنا الطريق
الثالث وهو طريق الذين لا يسبقون بالانبياء الا باتباع الحواس لا برهان وقياس فالمنقول
من الآيات والاحاديث الدالة على تسبيح الموجودات حتى الجمادات كثيرة غير محصورة فمنها ما صح عنه
عن قوله تعالى يسجد له من في السموات ومن في الارض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب وكثير من الناس
وكثير حق عليه العذاب ومنها قوله الم يروا الى ما خلق الله من شيء يتفيؤ ظلاله عن اليمين وعن الشمائل
سجدا لله وهم داخرون فبين سبحانه ان ذلك التفيؤ انما هو سجود لله وعبودية وخضوع
وصغار لجلاله وجماله ومنها قوله تعالى ولله يسجد ما في السموات وما في الارض
من دابة اي من يدب عليها ثم قال وهم يعني اهل السموات والملائكة بخلاف ما في سماء الارض
لا يستكبرون عن عبادته ثم وصفهم بالخوف لعلمنا انهم غالبون بتحقيقه ثم وصفهم بالامور بانهم
انهم يفعلون ما يؤمرون ثم قال في حق الذين هم عنده انهم يسبحونه بالليل والنهار وهم لا يسأمون اي لا
يملون ولا يفترون كل ذلك للدلالة على ان العالم كله في مقام الشهود والعبادة والعلم والشهادة
الا كل مخلوق له قوة الفكر وليس الا النفوس الوهمية الشيطانية والحيوانية خاصة من حيث اعيان
نفوسهم الا من حيث هياكلهم وكلا الخلق من حيث هياكلهم وكلاهم كسائر اعيان العالم في التسبيح والتقديس
والسجود فاعضاء البدن كلها مسبحة لانها تشهد على نفوس المحجوبين بالالسنة النطقية من الجلود والايدي
والالسنة والسمع والبصر وجميع القوى فالحكم لله العلي الكبير واما النفوس الوهمية فهي بحجاب الشيطان
مغيرة خلق الله عما فطر عليه ملكه ازالة الانعام ومنها ما في الادعية النبوية على النبي وآله افضل
الصلوات ولهم اجزل الدعوات الحمد لله الذي سبح له السماء والارض وسجد لك سواد الليل
وضوء النهار وضوء القمر وشعاع الشمس وحفيف الشجر ودوي الماء فاما ذكرنا ان الامور الصنفية
العجيبة استظهار السجود والعبودية والشهادة والشهود لسابقتها الجوهرية الصورية ومعنوياتها تحقيق
النوعية النورية فافهم واغتنم انه اول من حقق حقيقة التسبيح تخريجها في الذات الالهي عن
علائق الاكوان وسلب الحدثان والامكان وهذا لا يحصل الا لمن كان له حظ من التجرد والطهارة
فكل من كان اشد تجردا واقوى براءة عن المواد الكونية انطباعا الى الذات الالهية فهو اتم

تسبيحا

تسبيحا لله لان كل احد لا يعقد شيئا الا بما في وجوده ذاته وهذه الحقيقة لها مراتب احديها
مرتبة ذات الاحدية الالهية سبوح قدوس رب الملائكة والروح وثانيها تسبيح الملائكة المقربين
والعقول المهيمنة ولكل واحد منهم تسبيح يخصه يشتمل على جملة التسبيحات التي دونه وثالثها تسبيح
الملائكة السماوية ولكل منهم تسبيحات متعددة حسب عدد الدورات الكونية الفلكية والكوكبية
واعداد الاتصالات والقرانات والانظار والاتصالات حسب تكثر اللحظات والحركات الانية
والآنية التي هي منفكة كما يتجه في سلك امتداد الازمنة والاوقات ورابعها تسبيح
الملائكة الارضية والنفوس اللطيفة مع طبائعها ومقامها الطبيعية السفلية وخاصيتها
مع اعضائها واجزائها وكل واحد منها يسبح ويذكر ربه بلسان يخصه بل كل الحيوانات قلت
لذكر الحق وتسبيحه كما ذكره صاحب فصوص الحكم بقوله فكل انسان يحمد ربه بالتسبيح على حسب
كل واحد تسبيح ويذكر ربه والعالم كله اي من جهة الوحدة الطبيعية كما اثبتها المحققون يسبح
ويذكر ربه لوصف جلاله وجماله ويسجد له من جهة الوحدة اخرى يصف جماله كالانسان ويسبح ويقدس ويتضرع
يسبح بوجه آخر ولسان ذكره بوجه آخر هذا باعتبار وحدته ومحامده باعتبار كثرته وتفصيله
فالله معقد ونتيجات كثيرة او متناهية وتسبيحات حسب تعدد الموجودات وتكثر الكلمات
فان كل طبيعة نوعية لها افراد غير متناهية ظلها مثال عقلي هو رب اصنامها النوعية
المادة وهو الملك الطارد الملهم لها ما لحق الحركة الكمال الصادر منها الامر والتوحيد
ذلك الملك المرتبي لها في تسبيح الحق بالسنة تلك الافراد كلها كما اشير اليه في الاشارات النبوية و
الولوية فبهذا يتضح وينكشف تسبيح الجمادات والنباتات بلا مرية حيث لكل نوع منها معلم في
الحق الاول هو ملطها وحقيقة الاصلية وهو المقوم لافراده التي لاحاده بحيث يكون فعلها فعلها
ونفلها لا ادنية لافراد كل نوع طبيعي الاجسام تخالف الاجسام التي اصنافها وتحت
اشخاصها نسبة البدن بالنفس من الاجزاء القوى الى النفس الناطقة الا انه لا ينفعل ولا يتأثر
منها كما ينفعل نفوسنا عن بدننا وقوانا ما دمنا في هذا العالم وكما ان وجود البدن

84

متخلصة من حجب النفس واغلالها ومستهلكة في انوارها فتكون الحكم فيما اشرنا اليه وبهذا الوجه في نتيج
هذه الموجودات قريبا للماخذ فما ذكره بعض العارفين في تاويل هذه الاية وتوحيد السبح وهو السبح
المنبث في سائر الارواح والقائم بالصور والاشباح وهو وجه الوجود الحق وسر الفوت
المتوقف عليه تنوعات الخلق قال الله تعالى كل شيء هالك الا وجهه فالهالك وجه عائد الى الشيء الهالك
الذي لا يعني حقيقة بعينه قال المحققون صورة الخيرة والروح هي الحجة الطاهرة ولذا قيل التسبيح
ستر الحكم بالمنبث الوجود منها التسبيح والتحميد حين الصعق اللاحق بها في الاخرة حتى يقول
سبحانه لمن الملك اليوم فلا يجيب احد لخمود ما بالصعق الاخرى فيجيب نفسه بنفسه فقال لله الواحد القهار
المطلع الثالث فيقول سبحانه هو الذي بعث في الاميين رسولا منهم يتلو عليهم اياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب
والحكمة وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين ومنه اشارات الاول في اللغة بعث في الاميين يعني ارسل
في العرب لانهم كانوا امة امية لا تكتب ولا تقرا ولم يبعث اليهم نبي عن مجاهد وقتادة وقيل يعني اهل
مكة لان مكة شرفها الله يسمى ام القرى وعن بعض المحققين من اهل الكشف ان الرسول سمي الامي لانه
منسوب الى ام الكتاب اي اللوح المحفوظ وبهذا الاعتبار يكون انه امي يقتضي يحصل مبعوث منهم
في الاميين مع كونه من جنس الادميين متعلقا بقالب البشرية المركب من الماء والطين ليمكن الوصول
اليه والملاقاة معه والاقتباس به والاستفادة من ذاته من الجهة البشرية والاستفاضة من اشعة
عقله المنور بوسيلة المشاركة الجنسية من تقريب مسطلاحات الحواس والعقول والاستماع للالفاظ والاداء
القرانية منه في علم المخاطبة الكلامية والمقارعة الصوتية فكونه في حياته صلى الله عليه وسلم لكونه
باطلاع هذا النوع الادمي بواسطة استجابته لشرايط الرسالة الالهية وخصايص السعادة الربانية من
اوصاف شريفة كثيرة وصفات كريمة عظيمة اجمالها في ثلاثة متعلقة بروحه ونفسه وحسه
واما الاول فهي الجمع لكونه مطلعا على العلوم الالهية عالما بالحقايق في الاشياء كما هي من المبدا الاعلى
وملكوت العلوي والسفل وحقيقة النفس كل منها يجمع العلم والعمل وكلاهما نشاتهما
الاخرة والاولى واحوال الخلايق في تلك الدار ويرجع الكل الى الواحد القهار مما استفاده من

الهام

85

الهام الله بطريق الكشف الروحي والالقاء السبوحي لا بسند التعلم البشري والنقل الفكري
واما الثانية فكونه ذا قوة باطنة بها يتمثل بها الحقائق بكثرة الاشباح المثالية في العالم المتوسط
بين العالمين بل يبرز قوته الى الحس الظاهر فهي يتشبح له في هذا العالم ويشاهد الملك الملقي
عيانا ويسمع كلام الله منه كفلكا تبعا او انبعث بالفاظ فصيحة و مفيدة للمعاني في غاية الفصاحة
والسلاسة والتقاسة ويطلع بتعليمه والقائه على المغيبات الجزئية ويخبر عن الحوادث الماضية
والاتية واما الثالثة فكونه ذا قوة قوية مسلطة شديدة بها بغلبته على المعاندين والمكذبين
ويسلط على اعداء الله واولياء الشياطين ويدار مصادرته على الشدايد الامتحانات والاقدار
ويتمكن على تجهيز الجيوش ويثبت في الحروب والمبارزات فجموع هذه الثلاث من خاصة الرسالة
واما احاد هذه الخواص فقد يوجد في غير الانبياء بعضها فان الاول مما يتحقق في الاولياء
والحكماء وبعض من الخاصة الثانية يوجد في اهل الكهانة والرهبانية والثالثة قد تكون
في الملوك الشديدة والباس والهمة اشارة نعني جوهر النبي صلى الله عليه وسلم كانه مجتمعة
من ثلاثة اشخاص عظيمة كل منهم رئيس مطاع في نوعه من بعضه بعقله يكون ما كان ملكا من المقربين
ويروح نفسه ولوح ذهنه يكون فلكا من نوعها على دونا من العنصرين ولوحا محفوظا من سر الشابين
الانبياء الاطهرين وحسه يكون ملكا من عظماء الملوك والسلاطين وتحقيق ذلك ان النشات
ثلاث نشاة الحس ونشاة النفس ونشاة العقل والعوالم ثلث بحسبها عالم الدنيا وعالم الاخرة وعالم
الربوبية والانسان بحسب غلبة كل نشاة داخل في عالم من العوالم الثلث فمن جهة حسه وبدنه
ومعصه داخل في هذه العوالم الا اما بالقوة او بالفعل فحسه من جملة الدنيا وبعضه من جملة الجحيم
وبعضه من جملة الملكوت الاسفل وبعضه من جملة الملكوت الاعلى لكن الغالب على اكثر الناس نشاة
الحس وموطن الدنيا الا من تاب ومن عمل صالحا فاخرج الحس وما حجم الى نشاة جامعة
انشاءات الثلث لكونه كاملا في الثلث الحسية والمثالية والعقلية فله السيادة العظمى والرياسة الكبرى

بالاول كما الله ...

والخلافة الالهية في العالم كلها فهو شارع ورسول ونبي وحكيم ومخبر بالاتي كالملك ويعلم بالآيات
كالملك فافهم فلعلهم اشرف لمن انسانه على التوسل ابه منهم كما يدل عليه قوله رسولا
منهم وقوله تعالى لقد جاءكم رسول من انفسكم عزيز وقوله تعالى لقد جاءكم رسول منكم يقصون
عليكم آياتي وينذرونكم لقاء يومكم هذا الا يستغفر بان هذه المرتبة الشريفة النبوية من المراتب
التي تطلب اليه النفس الانسانية عند استكمال قوتيها بالعلم والطاعة فهي من صفات النفس
المحمدية عليه وآله الصلوة والتحية بالاصالة ولخواص امته ولعلماء امته بالوراثة والتبعية لقوله تعالى
قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله وقوله ومن يطع الله والرسول فاولئك مع الذين
انعم الله عليهم من النبيين والصديقين وفي الحديث العلماء ورثة الانبياء ومعنى ان في هذه
الامة محدثون مكلمون ومعنى ايضا ان لله عبادا ليسوا بانبياء يغبطهم الانبياء ومعنى ايضا
علماء امتي كانبياء بني اسرائيل وفي الرواية قلب المؤمن عرش الله فاذا تجلى العالم ما لم يكن ملوثا
مقتبسة من مشكوة النبوة فليس بعالم حقيقة بالتبعية المجانية لذلك قوله تعالى ويعلمهم الكتاب
والحكمة بحسب مفهوم العكس على ذلك فافهم ومن لم يكن هكذا لا بد ان يكون كذلك للصوفية العرفية
عند الصوفية في الفتح من جهة تشبيهه لها باعطاء صور المعارف الايمانية لمادة عقله وقلبه مؤمنا
حنيفا لان المؤمن الحقيقي من يكون روحه وليد القدس ويكون الرسول صلى الله عليه وآله
ابو المقدس بالحقيقة فانه عند الهيولي في النفس بمنزلة القلب بصورة اعتقادية ايمانية بمنزلة صورة
النطفة الادمية قابلة للتربية والتنمية بامدادية المقاصد العلمية والمطالب القرآنية وانشاء الاعمال
والافعال الشرعية ونحو ذلك بما شرح هذه الولادة في مقامه فالمؤمن الحقيقي من يكون من اهل
الرسالة الالهية متشبها في خلافته باخلاق اب المقدس وهو ذريته فيتحقق له انه ابيكم ابرهيم وقوله
في حق ابن نوح انه ليس من اهلك بعد ما قرره قوله عليه السلام وانشق فالملحق الاسباب

الاشياخ

سبحـ

بعلمه ما ذكرناه اشرف لمن كان في البشر فانه قرحته وبنجمه الرسالة التي من الله بها على المؤمنين
في هذه الاية وعرفها عظمته لقوله لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا صلى الله
عليه وآله يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ويبين لهم احل الاخرى ويحل لهم
الطيبات ويضع عنهم اصرهم والاغلال التي كانت عليهم لاجل جهالة اليهودية وبلاغة الظاهرية
اللتين مركوزتين في النفوس بحسب اصولها وتفرطها في الصفات والاعمال حتى جعلها في القشر
والتنزيه من جادة الاعتدال الذي يكون لهذه الملة البيضاء والشريعة الغراء على الصادع بها افضل الصلوة
كما يدل عليه قوله تعالى وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين وقوله في سورة الجمعة لتنذر قوما ما انذر اباءهم
فهم غافلون وكان تقديم يزكيهم على يعلمهم الكتاب والحكمة عطفه في غيره لقوله يتلوا عليهم آياته ويزكيهم
وبيان حاصل الاشرف تلاوة الآيات على سبيل الاجمال فان الغرض الاصلي من بعثة الرسول وتلاوة
الآيات على العقول سيما انفسهم الى رضوان ربهم وهدايتهم الى جنابه الاقدس وملكوته الاعلى وهو انما
يتوط بتبيين احكام الاصلاح الجزئي من الانسان بالتصفية والتهذيب مع انهما تحصيل حقائق
العلمي بالتصوير والتقريب في القرآن التالي على مدارك البشر اولا وعلى قلوب امته ثانيا يجب ان يكون
مشتملا على امور ثلاثة الاول في الحكمة العلمية المتينة الفعال والاعمال الشارحة للاخلاق والاداب
العقلية للعبد وقطع تعلقه عن الاسباب ... الى الدنيا وما فيها ودفع العشاوات عن الحجب
بعد قلبه بالكلية وهذه الاحكام العلمية والمعالم الادبية يتضمنها القرآن على ابلغ وجه واكمل انشاد
البرية بقوله ادبني ربي فاحسن تاديبي الثاني في الحكمة العلمية والمعارف التي يبلغ اليها عقول العلماء
والحكماء بقوتهم الفكرية بتعليم الانبياء والاولياء عليهم سلام الله وهذان القسمان من العلوم والمعارف
التي يقع فيه الاشتراك لسائر الكتب السماوية بجمع القرآن لكن يكون ما في القرآن اوفى بهما واجلها
شانا واكثرها بنيته لعلها ما حصلها غاية ... الاشارة بقوله ان هذا القرآن يهدي

لقوم يعقلون ويهديكم سنن الذين من قبلكم وقوله مصدقا لما بين يديكم من التورية
الثالث في الحكمة التي لا يبلغ الى طورها الا الخلص من احباء الله واوليائه الصالحين وهو المشار
اليها في قوله سنريهم آياتنا في الآفاق وفي انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق من ربهم او لم يكف
بربك انه على كل شيء شهيد وهذه الحكمة من خواص المحبوبين لله كما ان الحكمتين الاوليين من خواص
المحبين لله واليهم الاشارة في قوله سبحانه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه وفي الحديث
الالهي لا يزال العبد يتقرب الي بالنوافل حتى احبه الحديث ثم ليعلم ان مراتب المرتبة من الايمان ثلاث
مرتبة العوام ومرتبة الخواص وهم المحبون ومرتبة الاخصين وهم المحبوبون ولكل من هذه المراتب
الثلث علم وعمل فمرتبة العوام اما من جهة العلم فهي ان يؤمن بكل ما جاء به النبي على سبيل التسليم والطاعة
القلبية ايمانا بالغيب واما من جهة العمل فبان يفعل الحسنات ويترك المعاصي والسيئات طلبا للجزاء الموعود
وتخلصا عن اليم العقاب اما مرتبة الخواص من جهة العلم فهي ان يؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله
واليوم الآخر وبالبعث بعد الموت وبالجنة بعد النار وبالقدر خيره وشره كما ورد في الحديث ويعرف هذه
المعارف الايمانية والاعتقادات الاسلامية كلها بالبراهين اليقينية القطعية والمبادي الاولية واما مرتبتهم
من جهة العمل فهو ان الله تعالى اذا خضع لعبد بصفة من صفاته خضع له جميع اجزاء وجوده وتبعه
قواه ومشاعره واسلم بالكلية بعدما كان قلبه يؤمن بالغيب ونفسه تكفر بالحق قبل اذ كانت
النفس عن تبتغيم مطالع الغيب بمعزل كما اشار اليه في الكتاب فلما تجلى ربه للجبل اي جعل الجبل بعد
دكا وخر موسى اي موسى النفس صعقا فلما افاق بعد رفع الحجب قال تبت اليك وانا اول المؤمنين
وفي قوله صلى الله عليه وسلم شيطاني اسلم على يدي تنبيه على هذا فافهم يا مسكين وانتبه من رقدة الغافلين
واما مرتبة الاخصين فهي من حيث العلم والعمل انما يكون بعد تحقق بحسب الاجابة بتجلي الحق
بالصفات الجلالية والعيوب القلبية فاذا افناه عن صفته بصفة الجلال بقيه بصفة الجمال وبعينه علم

وكم

العلا

سمعه وبصره فلم يبق له الاين والبين ويبقى في العين فشاهد بنور الحق جميع الحقائق الغيبية وينفذ
نور بصره في اعماق الملك والملكوت والخلق والامر ففي هذه المرتبة يكون العلم والعمل شيئا
واحدا والايمان في المرتبة الاولى حسيي وفي الثاني عيني وفي الثالثة عياني وهذا كما كان
حال النبي ليلة المعراج فلما بلغ السدرة كان بعد في حجاب الاين فلما جذبته العناية من الاين الى
العين فاوحى الى عبده ما اوحى وهو المشار اليه بقوله آمن الرسول بما انزل اليه من ربه اي من
ربه في مقام فنائه ذاته بذاته وصفاته بصفاته وافعاله بافعاله فصار كل وجوده مؤمنا بالله ايمانا
عيانا وفي هذا المقام اسرار عظيمة لا يحتمله العقول المجردة فضلا عن العقول الملائمة لغشاوة
بغشاوة الوهم والخيال ومنحرفة عن طباع اهل التقليد والجدال اللهم لا تجعل هذه الكلمات
معدن الجهال والارذال واجعلها سببا لزيادة بصيرة اهل الكمال ووجه لانها مطلوب الرجال
الذين لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله العزيز المتعال ثم اعلم انك اذا علمت ما ذكرنا من اشتمال
القرآن على هذه المراتب الثلث من الايمان وعلمت اشتراك سائر الكتب السماوية معه في المرتبتين الاوليين
واختصاصه بالمرتبة الاخيرة فقد احطت علما بان انزال القرآن بمثابة اكمال الدين واتمام لنعمة الله
على المؤمنين وعرفت معنى قوله تعالى اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي الآية اي جعلت الكامل
في الدين من الازل نصيبا لكم من جميع اهل الملل والاديان واتممت عليكم نعمة الايمان العياني بالاطلاع
دينكم على الاديان كلها في الظاهر والحقيقة جميعا ورضيت لكم الاسلام بجانبيه ويتابونه
به يطلبونه ويتحرون فان الاسلام في هذه الامة دين وطريق به يوصل الى الايمان الحقيقي و
هو بغية الايمان من سائر الامم مع زيادة كمالية لم يكن حاصلا من قبل لغيرهم ومن يبتغ غير
الاسلام دينا فلن يقبل منه ومن الكلام حقيقة الدين هي سلوك سبيل الله عز وجل بقلبه
لخروج عن هذا الوجود المجازي للوصول الى الوجود الحقيقي والانسان مخصوص به من سائر
الموجودات ولهذه الامة مخصوص لاختصاصه بالكمالية في السلوك من سائر الامم في الدين من عهده

سوى الله كان في الكمال التكامل لسلوك الانبياء صلوات الله عليهم سبل الحق الى عهد نبينا ختام
النبوة جميع المسالك التي سلكها الانبياء الماضون باسرهم فلم يتحقق له الخروج اليه بقدم السلوك في
الحركات الباطنة من الوجود المجازي بالكلية حتى بلغ ركبة العناية الازلية لاختصاصه بالمحبوبية من بينهم
ثم فلما بلغ الى الكمالية في الدين صورة ومعنى فاستعد بسبب ذلك الوصول الى الوجود الحقيقي
بالايمان العياني بعد الايمان الغيبي وبالعين جميعا وهوية فاوحى الى عبده ما اوحى وفي الحقيقة قبل
في تلك الحالة اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ولكن في حجة الوداع عند وقوفه بالجحفة المرحلة على
الامة عند اظهاره على الاديان كلها وظهور كمالية الدين بتنزيل الفرايض والاحكام حكم بالتمام
وتعيين الخلافة ونصب الامام لعلي عليه السلام والتنصيص عليه بامامة المسلمين وامرة المؤمنين
ومما يدل على ذلك مشاهدة النبي ص الانبياء عليهم السلام في مقامات ملكوت السماء عند عروجه
في نهاية الى الله تعالى وصعوده عن جميع مقاماتهم الى سدرة المنتهى ثم الى الغاية القصوى وكذا ما ورد
في الحديث عنه ص انه قال مثلي ومثل الانبياء من قبلي كمثل رجل ابنى بنيانا فاحسنها واجملها واكملها
الا موضع لبنة من زاوية من زواياها فجعل الناس يطوفون ويعجبهم البنيان ويقولون الا وضعت
هنا لبنة فيتم بنيانك فانا اللبنة صحيح ما ذكرناه ويعرفه ما قررناه من مقامات الانبياء عليهم السلام
فتكامل بنيان الدين فيهم بهم وكمالية بالنبوة وخروجه عن هذا الوجود المجازي بالكلية وبقية
خوليا ابنه الذين هم خزانة لخروجها الناس لانهم احتوى عليه النوع هذا وعدل هذا التحقيق اعتبار الانبياء
كلهم يوم القيامة يقولون نفسي نفسي والنبي ص يقول امتي امتي لفناء الوجود وبقائه بالحق الوجود
فافهم جدا ففيه شرح المراد من الحكمة في هذه الاية اما العلم الصحيح واما الفعل الصواب كما ان ملاك
الانسان اما على الروح او على البدن والروح بتمام ذو جهتين وجه الى القدس وعالم الاخرة ووجه
الى البدن وعالم الدنيا والعلم الكامل الوجه الاول والعمل الكامل الثاني وعلى وجه الحق في نفعها الكل

الاول ونفس العمل لنفس البدن ويروى عن مقاتل انه قال تفسير الحكمة في القران اربع
على اربعة وجوه احدها مواعظ القران فقوله في النساء وما انزل الله عليك الكتاب والحكمة
ومثلها في آل عمران وثانيها الحكمة بمعنى الفهم والعلم فقوله واتيناه الحكم صبيا ولقد اتينا
لقمان الحكمة بمعنى الفهم والعلم وفي الانعام اولئك الذين اتيناهم الكتاب والحكمة وثالثها
الحكمة بمعنى النبوة وفي ص واتيناه الحكمة بمعنى النبوة وفي البقرة واتاه الله الملك والحكمة
ورابعها القران بما فيه من عجائب الاسرار وفي النحل ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة
الحسنة ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا وانت يا حبيبي اذا تاملت في جميع هذه الوجوه
الاربعة وجدت مرجعها جميعا الى العلم بل لو نظرت في جميع موارد استعمالات لفظ الحكمة
لم تجدها خارجا عن العلم بحقايق الاشياء والعمل بموجبها وهو التجرد عن الدنيا وما فيها
ولهذا قيل في حدها انها التخلق باخلاق الله تعالى اعني الاحاطة بصور المجردات والتقدس
عن الماديات واليها الاشارة في الحديث عنه ص من قوله تخلقوا باخلاق الله اي تشبهوا
به في هذين الامرين ثم اعلم ان الحكمة لا يمكن خروجها من هذين المعنيين وذلك لانها
كمال الانسان بلا شبهة وكمال الانسان منحصر في شيئين احدهما ان يعرف الخير لذاته والثاني
ان يعرف الخير لاجل العمل به فالمرجع بالاول الى العلم والادراك المطابق وبالثاني الى الفعل
العدل وكمال هذين الامرين في نوع الانسان مرتبة النبوة والولاية وقد حكى الله عن
ابراهيم الخليل وهو شيخ الانبياء عليهم السلام انه قال رب هب لي حكما وهو الحكمة النظرية
والحقني بالصالحين وهو الحكمة العملية ونادى موسى ع بقوله انني انا الله لا اله الا انا
وهو الحكمة النظرية ثم قال فاعبدني وهو الحكمة العملية وقال عن عيسى كما حكى عنه اني عبد الله
اتاني الكتاب الاية كلها الى الحكمة النظرية ثم قال واوصاني بالصلوة والزكوة ما دمت حيا
وهو الحكمة العملية وقال الله سبحانه لرسوله الخاتم وحبيبه صلى الله عليه فاعلم انه لا اله الا هو
وهو الحكمة النظرية ثم قال واستغفر لذنبك وهو الحكمة العملية لان علم التوحيد لا يحصل بكماله

بكمال الاعجل لاطلاع على جميع ابواب الحكمة النظرية والعمل الخالص من شوب اغراض النفس لا ينبغي
الامان بكون الانسان حكيما فانا بان ما عند الله خير للابرار فقال في حق جميع الانبياء ينزل
الملائكة بالروح من امره على من يشاء من عباده ان انذروا انه لا اله الا انا وهو الحكمة النظرية
ثم قال فاتقون وهو الحكمة العملية والقران مملوء من الايات الدالة على ان كمال الانسان ليس الا
في تحلية هذين الجزئين من النفس بهاتين الحكمتين وقال ابو مسلم الحكمة فعيلة من احكم والحكمة
من الخلق ورجل حكيم اذا كان ذا حجى ولب وكما انتهى راى وهو في هذا الموضع في معنى
الفاعل ويقال امر حكيم اي محكم وهو فعيل بمعنى مفعول كما قال الله تعالى فيها يفرق كل امر حكيم وهذا
الذي ذكره ابو مسلم من اشتقاق اللفظ يناسب ما ذكرناه من معناه الحقيقي اشراق اعلم ان معلم
الحكمة ومفيضها وموجدها في النفس ومخرجها من القوة الى الفعل هو الله تعالى لقيام القواطع
البرهانية دالة على ان فياض المعارف على النفوس هو الله سبحانه باستخدام بعض ملائكته العالية
البريئة من كل وجه عن القوة والاستعداد ومادية الاجسام والمواد كما ان الباري جل مجده
مبرا عن جميع الوجوه عن الامكان وماهية الماهيات لانه محض وجوب بلا امكان ووجود
بلا ماهية فالمنذر والمعلم هو النبي ع والمهدي الهادي لمن يشاء الفياض على قلوب عباده بصور
الاشياء كما يدل عليه قوله ليس عليك هديهم ولكن الله يهدي من يشاء وتوضيح ذلك ان الحكمة
ان فسرناها بالعلم لم يكن من العلوم الضرورية لانها حاصلة للبهائم وعامة الناس والمجانين
والاطفال ومثلها لا يوصف بانها حكمة فهي لا محالة مفسرة اما بالعلوم النظرية مطلقا او مجعولة بكونها
مبدأ الافعال الحسنة نظرا الى منتهاها فان الغاية في احاطتها بتلك العلوم وفي الاخلاق تحصيل
الخلق الجيد والملكة الملكية وعلى التقديرين فيلزم ان يكون صور العلوم النظرية ومنشأ
الافعال الحسنة حادثة في نفس الانسان واردة عليه من خارج فيكون حصولها في نفسه بتاثير
مؤثر خارج عن ذاته اذ الشيء لا يتاثر عن نفسه والا يكون الشيء اثرا من ذاته واعلم

منها

منها فذلك المؤثر الخارج يجب ان يكون عقلا عالما حكيما فعالا بالفعل لا بالقوة والا لافتقر
ايضا الى ما يخرجه من القوة الى الفعل ومن النقص الى الكمال وهكذا حتى ينتهي الى العقل الفعال
السبب المستكمل دفعا للدور والتسلسل والمبدأ الفعال الكل هو الذات الالهية المبرئة عن شوب
الامكان والزوال بالكلية فعلم ان الحكمة نور فائض من الحق الاول على قلب من يشاء من عباده
واليه الاشارة بقوله ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء وقوله والله ذو الفضل العظيم ثم ان الله
ما يفيضه ويؤتيه لخواص عباده نفحة من نفحات بحار علمه ولمعة من لمعات انوار حكمته
الا ترى فيه تنبيه تامل ايها العارف ان الله تعالى ما اعطى عباده الا القليل من العلم لقوله وما
اوتيتم من العلم الا قليلا وسمى الدنيا بكل اجزائها قليلا قل متاع الدنيا قليل ثم قال في العلم الذي هو حظ
لعباده ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء وقال ايضا ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا فانظر كم
مقدار هذا القليل حتى تعرف عظمة ذلك العظيم الكثير والبرهان العقلي ايضا يطابقه لان الدنيا
باسرها متناهية المقدار ومتناهية العدد ومتناهية المدة والعلم لا نهاية لمراتبه ومعلوماته وعلله
وغاياته والسعادات الحاصلة منه فذلك دال على فضيلة الحكمة ومما ولاجله استدل صاحب التفسير
الكبير على هذه الاية وعلى قوله تعالى ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا على ان افعال العباد مخلوقة
لله سبحانه ومقالة الاستدلال ان الحكمة نور من انوار الله وهي ليست من فعل العبد اصلا
وان كان تحصيلها مقتضيا من الله بما يتوقف على تطهير وتصفية بيت القلب بمكانس الرياضة وتطهيره
بازالة الاوهام الباطلة وازاحة الخيالات الفاسدة بالتاملات والتفكرات الموافقة لصورة الحق
وهي من جملة الحركات الاختيارية النفسية والاعمال البدنية القلبية المعدة لورود اشعة نور الله
فلا اختيار للعبد الا في مثل ما ذكر واما وقوع نور الحكمة في قلبه فذلك فضل الله يؤتيه
من يشاء لا اختيار لاحد فيه الا ان القلب الغالب عدم تخلف ذلك النور عن قلب العبد المجاهد
الصبور مع شرائط الحضور اللهم الا ان فسر الحكمة بنفس الافعال الحسنة فهو ايضا صحيح الا
لكان كل فعل حسن حكمة وكل فاعل يفعل فعلا حسنا حكيما وان كان من المجانين والسفهاء بل البهائم

من الحكمة كما وقعت اليه الاشارة فانما نفس العلوم الحقيقية او الخلق الذي هو منشاها او الملكة التامة
من الافعال على وجه الصواب وعلى اى وجه من هذه لم يكن الحكمة من الافعال البشرية بل كونه
اما من الكيفية النفسانية او الجوهر المفارق فتامل فى ذلك الاية واشباهها ما دلت على ان الحالة
النفسانية مخلوقة للحق فلا نزاع لاحد من اهل الكلام فيها فلا دلالة فيها على ان افعال البشر مخلوقة
له مع عدم اختيار العباد فيها وتحقيق هذه المسئلة العظيمة التى هى مزلة الاقدام ومزلقة الاقدام
مما يحتاج الى بسط فى الكلام لا يليق بهذا المقام وتحقيق ان كلا من فرقتى الاسلام الذين لم ينفع من حجة
الافراط والتفريط فى هذا المرام فكم من مقصر وغال فيه وفى الاشد مخافة مما ذهب اليه اصحاب
ابى الحسن من الاعتقاد بخلق الافعال فى العباد على الوجه الذى صوروه وتصوروه والمعتقدون
انه بها ينسد ابواب المعرفة والحكمة وينفسخ الاعتقادات البرهانية ويبطل الغايات والنتايج [العقلية]
المبنية كلها على اثبات الترتيب والعلية والمعلولية بين الموجودات ووجود سلسلة الاسباب
المؤدية الى الغايات ولنا ما نوره به قلوب المهتدين بانوار حكمة الانبياء ومذهب المحققين
من اكابر الحكماء من كون الوجود على الاطلاق فايضا من الحق على كل موجود لا بالاتفاق بل بترتيب
لازم واستحقاق ثابت فالمقدم متقدم والمتاخر متاخر لا بتفاوت فى قبول ولا خلل فهو
الحق الذى لا محيد عنه وهو معنى التوحيد فى الافعال مع اثبات الحكمة والمصلحة والنظام من غير
اختلال وتحقيق هذا فوق ما يصل اليه اذهان الاشاعرة واهل الاعتزال فسبحان من تنزه
عن الفحشاء وسبحان من لا يجرى فى ملكه الا ما يشاء بحث وتحصيل فان قيل لم لا يجوز ان يكون
المراد من الحكمة المستعملة فى هذه المواضع من القرآن اما السنة او القرآن او فقه الفهم او الخشية
على ما هو قول اكثر التابعين من المفسرين قلنا الدليل المذكور يدفع هذه الاحتمالات لانه ثبت بالنقل
المتواتر انه يشتمل لفظ الحكيم فى خبر الانبياء فيكون الحكمة مغايرة للسنة والقرآن فلو كانت
بمعنى الفهم لكان كل من فقه الفهم حكيما وكذا لو كانت بمعنى الخشية لكان كل خاشى حكيما ولا يكن

والخشية

وانما الخشية الكاملة التى لا يحصل الا فى الحكماء كما يدل عليه قوله انما يخشى الله من عباده العلماء
فهى ايضا من لوازم الحكمة وليست نفسها لانها معلولة بالعلم والحكمة كما يدل عليه تعليق الحكم
بالوصف ثم ان الخشية الموجودة فيهم ليس خشية العقاب بل خشية العقاب العزيز فكيف يتحقق
الا بعد المعرفة التامة والحكمة الكاملة فمن فسر الحكمة بالخشية فكانه اراد به تفسيرها باللازم الاعم
او المساوى فافهم المطلع الثانى فى قوله سبحانه ولآخرين منهم لما يلحقوا بهم وهو العزيز الحكيم وفيه
ثلاث فرشية واشارة حكمية اما الفرشية فلا شئ فى الاعراب فى قوله وآخرين منهم لمجرورة معطوف
على الاميين بعوا انه بعث فى الاميين وفى من يجيء بعدهم الى يوم الدين وفى الكشاف يجوز
ان ينتصب عطفا على المنصوب فى يعلمهم اى يعلمهم ويعلم آخرين من وجه ذلك ما دام التعليم اذا تناسق
الى آخر الزمان كان كله مسندا الى اوله فكانه هو الذى تولى كل ما وجد منه واعلم ان هذا الوجه
الذى ذكره فى كون البعثة شاملا للكل من يجيء يوم القيمة وان كان متوجها على طريقة اهل الحجاب
وارباب العقول النظرية وجملة الكتاب كقول اصحاب الحكمة الرسمية فى ارسطو انه اول معلم
اولا لمن يجيء بعده من اتباع المشائين من الفلاسفة الا ان اصحاب العيون المكحلة بانوار الفقه
العارفين بحقيقة خاتم الانبياء يرون ببصيرتهم السليمة عن غشاوة الامتراء ان امداد حقيقة
ونورانيته فى تنوير ارواح من لحقه من الاولياء والعلماء الحكماء الالهية بل فى ارواح
8 من سبقه زمانا من الانبياء والحكماء من وقت آدم من جهة السبب الباطنى الفاعلى والغائى
جميعا وقد بين هذا فى موضعه الثانى المراد من الآخرين قيل هم الذين لم يلحقوا بالاميين
بعد وسيلحقون بهم وهم الذين بعد الصحابة من التابعين وقيل هم الذين يأتون من بعدهم
الى يوم القيمة فان الله سبحانه بعث النبى اليهم وشريعته تلزمهم وان لم يلحقوا بزمان الصحابة وعن
مجاهد وابن زيد وقيل هم الاعاجم ومن لا يتكلم بلغة العرب فان النبى مبعوث الى من شاهده والى
كل من بعدهم من العرب والعجم عن ابن عمر وسعيد بن جبير وهو المروى عن ابى جعفر وقيل لما نزلت

هذه الاية قيل من هم يا رسول الله فوضع يده على كتف سلمان وقال لو كان الايمان في الثريا
لنالته رجال من هؤلاء وعلى هذين الوجهين فاما قال منهم لانهم اذا اسلموا صاروا منهم كما قال المسلمون كلهم
يد واحدة على من سواهم وانه واحدة وان اختلفت انواعهم وكما قال سبحانه والمؤمنون والمؤمنات
بعضهم اولياء بعض وكل مؤمن بالنبي فانهم ليسوا من غيرهم الله حقيقة ولحقوا منهم وان كان بعضهم
على كافة الخلق بالدعوة ويتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة فان من لم يؤمن لم يكن من زكاه
وعلمه القرآن والحكمة وقيل انه قوله لما يلحقوا بهم في الفضل والسابقة فان التابعين لا يدركون
سابقة السابقين من الصحابة وخيار المؤمنين تامل ان اكون من شر تحقيق الكلام وتلخيص المرام في هذا
السبق واللحوق ان الناس في الايمان بالله واليوم الاخر والملائكة والنبيين والكتب والائمة والدنيا
والاخرة وعالم البرزخ ومعرفة النفس على ثلث طبقات لانهم اما ان ينالوا ذلك بالالهام الله ووحيه
من غير تعليم بشري اصلا وهولاء في الاول مرتبة الانبياء صلوات الله عليهم واما الثاني فلا يخلو اما ان يصلوا
الى نتيجة مقام الاستفاضة من الله بحسب التابعية بلا تعلم فكري وهولاء في الاول مرتبة الاولياء ذوي
الاستبصار والثالث مرتبة الحكماء والعلماء النظار واما اهل التقليد فهم بمعزل عن البلوغ الى حقائق
الايمان بل انما يصلون الى نتيجة منه في الاخرة ضربا من رحمة الله وتفضله بحسب ما تصور
ومن هذه الطائفة على سبيل التمثيل بحكم من تشبه بقوم فهو منهم يحشرون في زمرة الذين
انعم الله من النبيين والصديقين يحشرون في الاخرة حيرة بالعرض كحيوة الشعر والظفر من الانسان
فان الحيوة القائمة بنفس الانسان وروحه يسري في اعضائه الحساسة قصدا وفي غيرها تبعا
اذا تقرر هذا فنقول السابقية في الايمان كما يستفاد في مواضع من القرآن كقوله والسابقون
السابقون اولئك المقربون اشارة الى مرتبة اولياء هذه الملة في الايمان واللاحقية فيه اشارة
الى مرتبة علمائها قبل وصولهم الى مرتبة الكشف والعيان وهم المشار اليهم باصحاب اليمين واما
مجرد السابقية واللاحقية بين المؤمنين في الزمان فليس فيه كثير تفاضل بحسب الارتقاء في عظم

ولقد يس كتاب الله عن ان يعتبر فيه تقادم الازمنة والاجيال بين الناس في تفاضل احوال الرجال بل يجب
ان يكون الملاك الامر في ذلك تفاوت القرب والبعد من الحق المتعال ومدرجات شدة انقطاع النفس
عن هذه الدنيا الفانية منزل الجهال والارذال المطلع الرابع في قوله ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء
والله ذو الفضل العظيم ظاهر في الكشاف ذلك الفضل الذي اعطاه محمدا وهو ان يكون
نبي ابناء عصره ونبي ابناء العصور الغوابر هو فضل الله يؤتيه من يشاء ويقتضيه حكمته وفي
مجمع البيان عن محمد بن ابي عمير عن هشام بن سالم يرفعه قال جاء الفقراء الى رسول الله فقالوا
يا رسول الله ان للاغنياء ما يتصدقون وليس لنا ما نتصدق ولهم ما يحجون وليس لنا
ما نحج ولهم ما يعتقون وليس لنا ما نعتق فقال لنا ما من كبر الله مائة مرة كان افضل من عتق
رقبة ومن سبح الله مائة مرة كان افضل الناس عملا في ذلك اليوم الا من زاد فبلغ ذلك الاغنياء
فقالوه فرجع الفقراء الى النبي فقالوا يا رسول الله قد بلغ الاغنياء ما قلت فصنعوه فقال رسول
الله ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء اقول وعندي ما يجري في مواضع استعمالات هذا اللفظ
في القرآن يعم جميع ضروب الهام الله وتاييده هو ان الفضل عبارة عما به يتفضل الانسان
على جميع ما في هذا العالم من الجواهر والاعراض ويستحق بذلك مسجودية الملائكة والجان وهو عبادة
عن الايمان بالله والعلم بحقائق الاشياء كما هي والتجرد عن العالم الحسي وهو انما يحصل غالبا للنبي
بالاصالة ولاولياء الله من اهل بيت نبوته وولايته تبعا وحصل لطالبيها الحكماء اشد وتعلما
تقليدا بالعلماء اهل الايمان كل ذلك بواسطة اشراق نور النبوة على اراضي قابلية قلوبهم الا
ان في الاول وقوع النور وفي الثاني عكسه وفي الثالث ظله ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور
فقوله ثم ذلك اشارة الى ما تضمنه قوله يعلمهم الكتاب والحكمة اي العلم بهما فكل من كان ذا حظ
من العلماء الربانيين والحكماء الالهيين وسيجيء في هذا العالم فهو من الذين يزكيهم الله ويعلمهم
الكتاب والحكمة فهم من الذين شاء الله ان يؤتيهم هذا الفضل وماخذ هذا التعليم هو ما يتلى عليهم

من صنع نفسه ومن سبح الله مائة مرة كان افضل من مائة فرس في سبيل الله
لم يرجها ... الجهاد ومن هلل الله مائة مرة كان افضل ح

٧١ قوله وآتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علما اي لا يقتبس نور العلم والحكمة الا من مشكوة النبوة
ولهذا من يؤتيها فقد اوتي خيرا كثيرا ويشهد بذلك قوله وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله
عليك عظيما فالتخلق باخلاقه مما يوجب للعبد استعداد القبول للمعارف الالهية الفائضة على
على سبيل الانعكاس منه على قلب هذا العبد المطيع لله ولرسوله لقوله ومن يطع الرسول فقد
اطاع الله واما من لم يكن متادبا بآدابه متخلقا باخلاقه ولا مهتديا بهديه ضميرا واعتقادا
سواء تكلف في ذلك ظاهرا كالمنافقين المتخلقين بمذهبه من غير بصيرة باطنية ولا انقياد سري
او كان من المنكرين الجاحدين واساغي اليهم ما كشف عنه تعالى بقوله سواء عليهم أأنذرتهم
ام لم تنذرهم فهم لا يؤمنون فالتذكير والتعليم لا ينجع معهم لان نفعه مختص بالمؤمنين وان كان
نور الهداية والرحمة منتشرة على العالمين لقوله تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين والدعوة
اليه شاملة لكافة المكلفين الا ان صيت النفوس الكدرة والاوهام الصرفة فمنها البهائم
الوحشة والعمى والظلمة والضلال والخزي والوبال معلا عن [illegible] نفذ حكم القضاء
الحتم والعقد المبرم ولذلك خلقهم وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته وهو السميع
العليم لان نظم العالم لا يقتضي الا نفوسا [illegible] ولا يصلح العمارة في الدنيا الا بطباع
جسمانية معلولة [illegible] الاحتجاب عليه عن [illegible] الشهوية والصفات الغضبية والاخلاق
البهيمية والسبعية ثم العجب ان النفس الزكية والتعليم كما يوجب الفضل الجسيم للقلوب الصافية
والضمائر النقية لذلك يوجب العذاب الاليم على سبيل التبع والعرض للنفوس المريضة بداء الجهالة
والغفلة والمعلولة بعلة الجحود والانكار ومرض العناد والاستكبار بعد ذلك كما يجده [illegible]
[illegible] الخبيثة الزكوم [illegible] فهاهنا تحقيق

ويكشف

٧٢ ويكشف عند البصير المحقق والخبير المدقق انه اذا انجلت شمس عظمة القرآن ومعرفة اشعة
انواره على منافذ مشاكي الارواح الانسية وسطوح قوابل العقول الهيولانية فكما يظهر منه
بالارادة الالهية والمشيئة الربانية نتيجة الهداية المحمدية واكثر الخلائق المهدي ومعدن [illegible]
الالهية ومولد النشأة الثانية الدائمة فكذلك ينشأ منه جوهر النار الابليسية ويتولد
الشجرة الخبيثة الشيطانية وفي الخلائق [illegible] الهداية [illegible] وخلق ابليس
مضلة وملبس [illegible] الاضلال شيء كما ينشأ من التعليم المحمدي في النفوس الشقية زيادة في مرض
الجهل والضلال لقوله فزادهم الله مرضا ولهم عذاب اليم وقوله [illegible]
من الاعوذ [illegible] في القلوب السليمة الخالصة المخلصة زيادة في الصحة والهداية [illegible] الله كما انه
في حق يوسف الصديق على نبينا وعليه السلام كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء انه من عبادنا المخلصين
فالله الهادي والمضل وهاهنا اسرار لا يحتمل الاذهان من كلها فان [illegible] تذكرة بتحقيق
قوله يؤتيه من يشاء فيه اشارة الى ان مشيئة الازلية متعلقة بامور متكثرة متخالفة بحسب صفات
واسماء متعددة متقابلة فان لله تعالى صفة لطف وقهر ومن الواجب في الحكمة ان يكون الملك
[illegible] للملوك كذلك كل منهما من اوصاف الكمال كما لا يخفى ولا بد لكل من الوصفين
من مظهر فالملائكة ونفوس المقربين والاخيار [illegible] مظاهر اللطف والشياطين
والاشرار ومن والاهم مظاهر القهر ومظاهر اللطف هم اهل الجنة والاعمال المستعقبة لها
ومظاهر القهر هم اهل النار والاعمال المعقبة اياها ثم اعلم انه لا يمكن ان في عالم الامكان
لكل نور ظلمة ولكل كمال نقص وان كل ممكن زوج تركيبي كما اشارت اليه الحكماء وبهذا
جرت المشيئة الازلية والسنة الالهية وعلى هذا يكون مقتضى السلطنة الربانية بحسب ازدواج
صفة القهر والمحبة والغضب والرحمة ومنهما ينشأ الهداية والضلالة والتوفيق والخذلان

والسعادة والشقاوة والجنة والنار والآخرة والدنيا والارواح والاجرام يجب غلبة
احد الطرفين وان كان لكل جمال ايضا جمال جلال كما ان الجمال الحاصل من الجلال الالهي فان غيبا
عنا نفهال الجلال منه ومعرفة وبكل جلال جمال وهو اللطف المستتر في القهر الالهي كما
قال تعالى ولكم في القصاص حيوة يا اولي الالباب وقال امير المؤمنين عليه السلام في بعض
خطبه سبحان من اتسعت رحمته لاوليائه في شدة نقمته واشتدت نقمته لاعدائه في
نقمته ومن هيهنا سر قوله حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات فهو الله البار
الصدوق الغفار لقوم وهو الله الواحد العزيز القهار المتكبر لقوم ولا اعتراض عليه في تخصيص
كل من الفريقين بما خصصه به فانه لو عكس الامر لكان الاعتراض بحاله اشرف ممن يخشى ثم اعلم ان لكل
ما في عالم الملك والملكوت له طباع خاص بحسبه منه آثار وافعال مخصوصة وكل طبع مسخر لفعل
خاص كالنار للتسخين والماء للتبريد ولا حد محدود ولا يتجاوزه ومقام معلوم لا
يتعداه من اعلى شيء هو عالم الامر الى ادنى منازل عالم الخلق الا الانسان فانه مسخر لاختيار
فالاختيار له بمنزلة الفعل الطبيعي لغيره وذلك لانه ذاته ليست مما يقف على حد ومقام في
جوهره وهويته بل ينقلب من طور الى طور ومن نشأة الى نشأة وسعة هذا التقلبات في الانسان
الكامل اكثر فيخالف اطواره اشد ويترقى من الصورة لعظم وارتقائه الى عالم الملكوت اعلم وانتم
فلذلك قيل ان الانسان لمضطر في صورة مختار وفي الاختيار مطبوعة فيه باضطراره له وهو مجبول
عليه كما جبل الجميع الماء والنار والجزء والكل على التبريد والتسخين والتعفين فهو من لدن اول
تكونه النطفي الى تمام بلوغه الحسي واستعداده النطفي لم يكن لاختيار في القوة والتقلبات
مدخلا حتى بلغ الى مرتبة حيوة تام الحيوانية منصب القيام عن حضيض الاطفال بادي البشر ثم
من حد كونه عاقلا مكلفا ينتقل باختياره الذي هو عين اضطراره ويتطور باطواره في مراتب

سعدهم

خفتهم

آخر

افتقاره فهو لما ان يرتقي الى اعلى عليين او يتردى الى اسفل سافلين او يقع في احد مراتب
المتوسطين حسب ما شاء الله وكتب في كتاب المبين فمنهم شقي وسعيد فاما الذين شقوا
ففي النار لهم فيها زفير وشهيق الآية واما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها الآية
اما السعيد فلا يختار الا محل اهل السعادة اما الشقي فلا يختار الا محل اهل الشقاوة اما الذين
آمنوا وعملوا الصالحات فلهم جنات المأوى نزلا بما كانوا يعملون واما الذين فسقوا فمأويهم
النار كلما ارادوا ان يخرجوا منها اعيدوا فيها ومع ذلك فلا اعتذار لاحد في الترغيب الى الجميع
خوطبوا بخطاب واحد اعلموا فكل ميسر لما خلق له ومن هيهنا انه ازاله شبهة قد يختلج
الى ان اية لقد كشف الحقائق وهو الكل اذ كان نبينا انهما الغاية في بعث الرسول وذكر
والتهذيب والانذار والتأديب فقال الله انزل الكتاب الكتب وارسال الرسل كما هو سبب من اسباب
سعادة السعداء هو بعينه سبب من اسباب شقاوة الاشقياء وبهذا السبب كما يرتقي السعيد الى
منازل الملكوت يهوى الشقي الى مهاوي الطاغوت كما اشير اليه واعلم ان شهوات الدنيا مقرونة
بالآفات العظيمة ومحلوة ايضا ممزوجة بالسموم المهلكة لقتالة وفوائد البعثة والانزال اعلام
الخلايق وانذارها عن تناولها والتشاغل بها فمن كان ذا فطرة صحيحة صدق الرسول وسمع
القرآن بقلبه فانتهى عن تناولها ومنهم من يصدق الرسول ويصم عن سماع الكتاب ويعمى عن رؤية
الآيات وكان من خبث النفس عليل القلب اخلد الى الارض واتبع هواه فوقع في الهلاك ويحشر الى النار
كما يحشر الكفار من اهل القبور فكما ان الملك والنبي والقرآن رسل الله الى هؤلاء فالهوى والنفس
والشيطان رسل الله الى هؤلاء العميان فاقرأ قوله تعالى الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات
الى النور والذين كفروا اولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور الى الظلمات اولئك وقوله يعدكم
الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا والله واسع عليم يختص برحمته من يشاء

وقوله في الحديث القدسي خلقت هؤلاء للجنة ولا ابالي وخلقت هؤلاء للنار ولا ابالي فالمؤمن
الحنيفي من يقبل دعوة الله ويرد دعوة الشيطان ولا يقع في حبائل غروره ومن مكره
ولا يبيع النقد بالنسيئة قول البليغ رب شهوة ساعة اورثت حزنا طويلا والرسول قد حذر
بقوله الدنيا جيفة فالموقنا والقرآن علمه بالبيان والبرهان اعلموا انما الحيوة الدنيا لعب ولهو وزينة
وتفاخر وتكاثر بينكم في الاموال والمنافق يرد دعوة الرحمن ويقبل دعوة الشيطان فلا يفتح
لهم ابواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط وكذلك نجزي المجرمين لهم من جهنم
مهاد ومن فوقهم غواش وكذلك نجزي الظالمين قال بعض اصحاب القلوب ان الله يعمل العباد
في الابد على ما علمهم في الازل فقال الحزن منهم ليس الخوف من سوء العاقبة انما الخوف من سوء
السابقة فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم فالسعيد
في الازل والشقي شقي لم يزل ولا يزال قوله منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة قوله
ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها ومن يرد ثواب الآخرة نؤته منها وسنجزي الشاكرين
المطلع الخامس في قوله تعالى مثل الذين حملوا التورية ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل اسفارا بئس مثل
القوم الذين كذبوا بآيات الله والله لا يهدي القوم الظالمين وفيه اشراقات الاول في الغرض
المسوق له هذا التمثيل ان الله قد مثل الذين حملوا الكتب السماوية وكلفوا القيام بها والعمل
بموجبها ثم لم يحملوها حق حملها من اداء حقها ولم ينتفعوا بها ولم ينظروا بعين الاستبصار
والاعتبار بل حفظوها بالتكرار لفظا ومد نوها في الاسفار لاغراض فاسدة لهم في هذه الدار
ثم لم يعملوا بما فيها بالحمار الذي يحمل اسفارا لان الحمار الذي يحمل كتب الحكمة على ظهره لا يشعر
بما فيها فكل من يحفظ الكتاب ولا يدرك اسراره ومعانيه فلا يعمل بموجباته ومقتضاه كمثل دابة
يحمل على ظهرها الكتب لا يعلم بما فيها قال ابن عباس هو مثل حمار على ظهره او حمل اذا لم يعمل

وعم

وعلى هذا فمن يحمل ملأ القرآن ولم يفهم معناه واعرض عنه اعراض من لا يحتاج اليه فكان حريا
بهذا المثل وكذا من يلتذ في اعراب الفاظه ودقايق عربيته ونكات البديعية وهو بمعزل عن
اسرار حكمه ومقاصده الاصلية من المعارف الالهية والعلوم الربانية واسرار المبدأ والمعاد
وعلم الروحانيين والملائكة والشياطين وكيفية الوحي والتنزيل وعلم النفس ومعرفة
الروح وصعودها الى هذا العالم وهبوطها الى اسفل السافلين الى عروجها ورجوعها الى
بارئها وعقباها الراضية المرضية ان كانت من سعدات الطاهرات او ناكسة منكوسة
محجوبة مظلمة اذا جحدت معدات السيئات وكيفية نشوء الآخرة من الدنيا واحوال القبر والبعث
والحشر والنشر المعبر عنه من المعارف التي هي الغرض الاصلي من انزال الوحي والكتاب و
والالهام والخطاب فمن لم يطلع من القرآن الا على تفسير الاعلى تفسير الالفاظ وتبيين اللغات
ودقايق العربية وفنون الادبية وعلم الفصاحة والبيان وعلم بدايع اللسان وهو عند
نفسه انه من محل التفسير في شيء وان القرآن انما انزل لتحصيل هذه المعارف الجزئية فهو احرى
بهذا التمثيل من لا جزاله اصلا الا من اعراب اللفظ وكلام حقايق المعاني مع الغرائب بتجزء وقصوى
ومما انشد في هذا الباب شعر ابو سعيد الضرير زوامل للاشعار لا علم عندهم بجيدها
الا كعلم الاباعر لعمرك ما يدري المطي اذا غدا باسفاره او راح ما في الغرائر وفي قوله بئس
مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله تنبيه بليغ على كلية هذه القضية وحقية هذا المثل من غير
اختصاصها بشأن اليهود الذين كذبوا بآيات الله الدالة على اعجاز القرآن وعلى انه حق
بل كل من جحد شيئا من آي نفسه وانكر ما سوى ما اخذه من معلمه واستاذه على غير بصيرة او وجد ملح
من ظواهر المنقول والروايات فهو حقيق بهذا التمثيل بالقياس الى ما جحد وانكره عند
عند التحقيق الاشراق الثاني ان قوله بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله معناه بئس

النفس فوم هذا مثلهم لان اليهود انما صاروا مذمومين مطرودين عن باب الله لانكارهم
حقية الرسول واعراضهم عن مطالعة ايات الله وجحودهم لما سمعوا من الحقايق الايمانية و
والمعارف الربانية التي لم يبلغ افهامهم اليه من قبل ولم يسمعوا من شيوخهم الماضين و
ومعلميهم واباءهم السابقين كما حكى الله عنهم بقوله ما سمعنا بهذا في اباءنا الاولين اولو كان
اباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون وكل من هذا صفته بالنسبة الى اهل الحق واصحاب الحكمة
القرانية في ما ورآء معلومه ومحفوظه من الاعراض والانكار اغترارا بظواهر الاثار وما سمعه
او تلقفه من مشايخ ومعلميه او احتجابا بما حصله بالبحث والتكرار من غير استكشاف واستنباط
فهو داخل في هذا الحكم القرانية في ما ورآء معلومه ومحفوظه مفهومه ومكذب لايات الله بالحقيقة
لان مقاصد اهل الله هي بعينها معارف الكتاب والسنة وهو جرى بهذا التمثيل لانه قد لم
يكن يهوديا بالحقيقة لكنه يهودي الخصلة فعلم ان الفرقة المحجوبة من هذه الامة بالظاهرية والمتشبهة
يهود هذه الامة والباطنية نصارى هذه الامة فان جميع المذاهب الفرعية يوجد في الامة بنيانا
تواحد بتواحد عليها وهي الفرقة الناجية والباقون في النار كما ورد به الحديث المشهور وهذه
الفرقة الناجية في غاية الخمول والندرة والاختفاء الاشراق الثالث ان المؤمن الحقيقي من
يكون من الحكماء الالهيين والاولياء الربانيين وان غيرهم اما من اهل الاغترار بمعطلة الافكار
ومتخذة الاقوال المنسلخين عن الفطرة الاصلية كالحمار المقيدين بسلاسل تعلقات هذه
الدنيا لا يهديهم الله لظلمهم وعنادهم سبيلا للانقياد لاهل الحق وفلا يوفقهم للنجاة من منازل
الاشرار ومصرع الفجار الى عالم الابرار ومعلمة الارواح اما من اهل السلامة والتسليم والطاعة
والانقياد من غير جحود ولا انكار ولستكمال لبقائهم على فطرتهم الاصلية ونقاء صحايف
خواطرهم وانفطامهم عن نقوش الاقاويل الظلمة المظلمة فهم من اهل الرحمة والنجاة الذين

ينالهم ضرب من الرحمة الواسعة التي وسعت كل شيء والدليل على ما ادعيناه من كون المؤمن
الحقيقي هو العارف الرباني والحكيم الالهي ما يستفاد من هذه الايات على اتم وجه واوضحه
فان ما ذكره تعالى في علة البعثة وغاية الرسالة من قوله يتلوا عليهم اياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب
والحكمة يدل على ذلك واوضح على ان نتيجة البعثة دعوة الخلق الى العلم والحكمة وان الايمان بالله وبالرسول
عبارة عن تعلم الكتاب والحكمة بالحقيقة لا بالمجاز والا لكان الايمان ايمانا بالمجاز فيكون المؤمن مجازيا
مسلوبا عنه الايمان الحقيقي كما هو شأن اطلاق اللفظ على سبيل المجاز فثبت ان الايمان الذي
يكون فايدة البعثة وثمرة انزال القران عبارة عن صيرورة كون العبد المسلم حكيما عارفا بحقايق
ما في الكتاب لا مجرد حفظ الالفاظ وتكرارها ولا مجرد تفسير العربية ونكاتها البديعية فان معرفة
الفاظ العرب وحده فاين علم البيان ليس من مقصود علم القران في شيء بل المقصود سياقة الخلق
الى تحلية انفسهم بالعلم بحقايق الاشياء والتجرد عن علائق الدنيا وهي لا تحصل بمجرد الاطلاع على علم
العربية ولا الكلام والقران انما نزل بلغة العرب ليكون اوضح دلالة واوضح بيانا اذ لا يكون في
سوء الالفاظ وغرابة ابنية الكلام فائدة يعتد بها كما دل عليه ايات كثيرة مثل قوله تعالى انا جعلناه
قرانا عربيا لعلكم تعقلون ونحوه ومثل هذا ان شاء الله تعرفه في بيان الاشراق الرابع ثم لما بين فائدة
البعثة وثمرة الرسالة وهو تزكية الامة باصلاح الجزء العملي من نفوسهم ليكونوا صلحاء حكماء
وتعليمهم الكتاب والحكمة بتكميل الجزء العلمي منها ليكونوا علماء حكماء اشار الى ان طهارة القلب
عن رذايل الصفات واستكماله بمعارف الايات الالهية من فضل الله يؤتيه من يشاء ففي
فيه من سابقة عناية ازلية وهداية الهية وجذبة ربانية لا يؤتيها عمل وكسب وهي من
الحكمة التي من يؤتها فقد اوتي خيرا كثيرا يعني ذلك مزية نورانية ونفحة روحانية لا يتوقف

بكثرة الكلام آناء الليل واطراف النهار ولا بجمع الكتب والاسفار ولا بطول الرحلة الى اهل
الاشتهار والتبسط في البلاد والتادب بطلب الحطام من الله كما هو عادة المشتغلين بكتب المنحرفة
ورياسة المذاهب وشبهه طالب الافتخار بفضل الحجج والاكثار مع اشتغالهم بما فهمه
من علم الدين واسرار اليقين ومشاهدة المغالطة وعند اهل الشقاق فهو حجاب الحق الذي
يعمي القلب عن رؤية الحقائق ويصم السمع عن الشعور بغيرها يتوسل به الى تحصيل المنزلة عند الخلق
فانه من غلب على قلبه حب الجاه وميل الثروة وصار مقصورا همه على مراعاة الخلق ولا يزال
في احواله واقواله يحصل ظواهر العلوم واتيان صور العبادات والخيرات ملتفتا الى ما
يعظم منزلته عندهم ويرتقي درجاته ويشتهي ان يجمع الدنيا مع الدين ويجمع الخلق مع الحق بطريق النفاق
ويطمع الكاسد ان ذلك لم يمكن ولا يدري الجاهل المسكين ان ذلك بعينه النفاق وعادة الغافلين
وسبب المحجوبين والغافلين في العلوم وعين الرياء في الفضل والعبادات المتوسل بها الى تقلب
القلوب وجلب حطام الخلق ثم لا يدري المسكين انه من اراد ان يجمع بين الدين والدنيا فاته
فخر الا بعيشة لا دين له ولا دنيا لطالب الدنيا الا خسيسة له عند العقلاء بل من قبيل الاوهام
والاحلام مصورة بالرياء والطلال وقد شبه رسول الله صلعم حب الجاه والرياء وافسادهما
للدين بذئبين ضاريين كما هو مروي عنه في كتب العامة والخاصة وهذا الحديث مروي عن بعض
سادتنا المعصومين صلوات الله عليهم اجمعين في صحيح صفوان بن يحيى حيث قال ما ذئبان
ضاريان في غنم قد غاب عنها رعاؤها باضر في دين المسلم من حب الرياسة لكن صفوا
لا يصلح الرياسة وسمع عن النبوة نبت النفاق في القلب كما ينبت الماء البقل حب الجاه

والشهوة

والشهوة من المهلكات التي لا يمكن النجاة لاحد منها واهلكته وافناه المغترين بظواهر العلوم
انه واكثر من الهلكة المغترين بظواهر الاعمال بعد التفاوت بين قبح الكبر الذي هو من ثمرات
من فساد العلم وبين الفسق الذي هو من ثمرات فساد العلم العملي ومن الامور الواضحة المتبينة
عند ارباب الاطلاع على كيفية حصول المعارف اليقينية ان حب الجاه والكبر يحجب القلوب
عن مطالعة الايات ومشاهدة الحقائق كما قال الله تعالى ساصرف عن آياتي الذين يتكبرون
في الارض بغير الحق ثم انظر الى انه تعالى كيف اشار الى ان المؤمنين هم اولياء الله والحكماء
الالهيين وان المغترين بظواهر الاثار من الاحبار الناقلين حسابه اولا غرض لهم الا بالرياسة وجمع
العشرة وانهما تصفية القلوب عن الجهل والرذايل وتكميلها بعلم الكتاب والحكمة التي هي
الفضائل ثم ضرب الله تعالى مثلا لليهود ومن يجري مجراهم بالحمار في حمل الكتب والاسفار
ومن كونهم التقليد والاعتبار بالآثار واخذهم من آيات الله على الوجه ابتغاء وجوه ما فقد
من انوار الله في قلوب اوليائه واحبائه ثم اشار بعد ذلك الى بطلان زعمهم وفساد اعمالهم بانهم
انهم من اولياء الله واحبائه انهم لو كانوا كذلك لوجب ان يعرضوا عن الدنيا وطلبها
ويحبوا الموت لكونه وسيلة الى لقاء الله ولا يكونوا احرص الناس على حيوة هذه النشأة
الجسمانية وحيث انهم كانوا على اضداد صفات اولياء الله والحكماء فقد علم انهم من اعداء الله
المكذبين لدار الاخرة وعالم الغيب وعالم الارواح الكارهين لقاء الله كره الله لقاءه ومن كره
لقاء الله لا جرم انهم في الاخرة هم الاخسرون كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون فقد بان انهم
ما كانوا يكسبونه الا انه في الحاسم كان من يكتفي بظاهر العربية وما يدرك من تفسير القرآن بمجرد
نقل الكتب وحمل الاسفار من غير الارتقاء الى عالم الانوار ومعرفة الاسرار ونفاق الرتب
عن اغراضهن الله وحمل القلب عن تلاوة هذه الآثار فهو حري بهذا المثل فان
الاطلاع على ظاهر العربية وحفظ النقل عن ائمة التفسير في توجيه الالفاظ لا يكفي في فهم خطاب

المعاني ومن اراد ان يتحقق ان هذه المرتبة ليست من مرتبة ادراك المعاني الظاهرة والاطلاع على خفاياها ٧٣
فبيان في مسئلة واحدة منها يعجز المفسرين عن دركها الذين عليها غيرها وهو ان الله تعالى
قال وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى فظاهر تفسيره واضح وحقيقة معناه في غاية الغموض
فانه اثبات للرمي ونفي له وهما متضادان في الظاهر ما لم يفهم انه رمى من وجه ولم يرم من وجه
ومن الوجه الذي لم يرم رماه الله تعالى ثم انه من جهة الوحدة والخصوصية ومن جهة الغيرية والكثرة وكذلك
قال تعالى قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم فاذا كانوا هم المقاتلين كيف يكون الله هو المعذب وان كان الله
هو المعذب بتحريك ايديهم فما معنى امرهم بالقتال فالتحقيق في مثل هذا المقام يحتاج الى علوم المكاشفات عن علم
المعاملات ولكن يفهم منه علم العربية وتفسير الالفاظ ولعل العمر لو انفق في استكشاف اسرار هذا
المعنى وما يرتبط بمقدماته ولواحقه لانقطع العمر قبل الوصول الى الاحاطة بجميع لواحقه والقرآن
مشحون بامثاله بل ما من كلمة من القرآن الا وتحقيقها محوج الى ذلك وانما ينكشف للعلماء الراسخين
في العلم من اسراره وانواره بقدر غزارة علومهم وصفاء قلوبهم وتوفر دواعيهم على التدبر
وتجردهم للطلب ويكون لكل واحد حد في الترقي الى درجة منه فاما الاستيفاء فلا
مطمع فيه ولو كان البحر مدادا والاشجار اقلاما والخلائق كتابا لنفد البحر قبل ان ينفد
كلمات الله فاسرار كلمات الله وايضا آياته مما لا نهاية لها ولا غاية فمن هذا الوجه تفاضل الخلق
في الفهم بعد الاشتراك في معرفة ظاهر التفسير فقس على هذا المثال جميع ما ورد في الكتاب والسنة
ولا تغتر بما سمعته او تلقفته من معلميك في اوان الجاهلية وزمان الاحتجاب فانها كلها تماثيل
واشباح الحقائق وانه لم يكن اكثرها فاسدة وانها قوالب وصور بلا معنى وانه لم يكن اكثرها ما
بالملاك وظاهر اعمال بلا فائدة يبقى مع حبال اشخاص من غير صورة بها يحيي ومثال انجادها مرة
عصي او حبال وعصي فخيل من سحرهم انها حية تسعى قل هل ننبئكم بالاخسرين اعمالا الذين

ضل

٨١ ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا ومن الامثلة الثانية في فهم الاسرار
والاسرار المودعة في الفاظ القرآن والحديث ما ذكر بعض اصحاب القلوب في معنى قوله عليه السلام في سجوده
اعوذ بعفوك من عقابك واعوذ برضاك من سخطك واعوذ بك منك لا احصي ثناء عليك
انت كما اثنيت على نفسك فهذه وامثالها خواطر تنفتح لارباب المعاني واصحاب القلوب ثم لها
وهو انه لما قيل له واسجد واقترب فوجد القرب في سجوده فنظر الى الافعال فاستعاذ من بعضها
ببعض ثم زاد قربه فنظر الى الصفات فاستعاذ من بعضها ببعض فان الرضا والسخط وصفان
ثم زاد قربه واستحيى من الاستعاذة على بساط القرب فالتجأ الى الثناء فاثنى بقوله لا احصي ثناء
عليك ثم علم ان ذلك قصور فقال انت كما اثنيت على نفسك فهذه وامثالها خواطر تنفتح
لارباب المعاني واصحاب القلوب ثم لها اغوار وراء هذا وهو فهم معنى القرب و
واختصاصه بالسجود ومعنى الاستعاذة من فعل الى فعل ومن صفة الى صفة ومنه به واسراره
ذلك كثيرة ولا يدل ظاهر تفسير اللفظ عليها ومع ذلك فليس مناقضا لظاهر التفسير بل هو استكمال
ووصول الى لبابه من قشره فان للقرآن حقيقة كالانسان وله قشر ولباب كالجوز وللكل منها
مراتب كثيرة بحسب تعدد النشآت وكما ان للانسان الخصوص مراتب بحسب ... وافقي اوله مرتبة
الانسانية ومرتبة معهودة وعالم ... الانسان الثالث ثم الانسان القسمة العظمى كالحكماء
ثم الالهي كالمحققين من العرفاء والاولياء فهكذا يجب ان يعلم مراتب فهم القرآن فكل احد منهم
الا يا ... فيه والقرآن بحسب حقيقة الاصلية يخاطب الكل وكلما يفهمه المفسرون ويحصل
البادين كلهم في ظل من ظلال القرب والبعد وشيء من اشباحه الغائبة والملكية فافهم هذا واغتنم
المطلع الثاني السادس في قوله تعالى قل يا ايها الذين هادوا ان زعمتم انكم اولياء لله من دون الناس
فتمنوا الموت ان كنتم صادقين ولا يتمنونه ابدا بما قدمت ايديهم والله عليم بالظالمين

وفيه إشارات الأول في اللغة هاد يهود إذا تهود أي انتحل ملتهم ورأيهم في ذات الله وصفاته
وأفعاله وكتبه ورسله واليوم الآخر أما في الذات فكذبهم إلى أنه ثم نعلمه ومعلوم وأما
في صفاته فالحادم فيها تشبيههم وأما في الأفعال فالكلام في النسخ والتغيير وقولهم يد الله مغلولة
وأما في الكتب والرسل فالكلام في صحة القرآن وحقيقة الرسول المقدم وأما في اليوم الآخر
فلما قالوا لن تمسنا النار إلا أياما معدودة والنعيم فيها مختص بهم ولا ولياء جمع ولي وهو
المحقق بالنعمة عند الحاجة والله ولي المؤمنين لأنه يوليهم النصرة عند حاجتهم والمؤمن ولي الله
لهذه العلة لأنه ينصر دينه ويجوز أن يكون لأنه يولي المطيع فيتقصر عند حاجته والتمني قول القائل
لما كان ليته لم يكن ولما لم يكن ليته كان فهو يتعلق بالماضي والمستقبل وهو من جنس الكلام عند
الجبائي والقاضي وقال أبو هاشم هو معنى في النفس يوافق هذا القول وهو ليس بتمني إذ جميع أقسام
الكلام خبرا كان أو أمرا ومثل هذا القبيل يجب أن لها معاني في النفس ومعنا بأن الألفاظ عبارات عنها
ودوال عليها ومعنى فتمنوا الموت إن كنتم صادقين بكسر الواو وتشبيها بواو استطاعوا ولا كلن في
النفي المستقبل ولا فرق بينهما إلا أن في لن زيادة تأكيد وما بيدا ليس في لا فلا ... مؤكدا في لن
ومرة ... ولا يتمنونه الإشارة الثاني في النظم لما تقدم ذكر اليهود في الكلام لما في اليهودية
من المعاني التي يتسلط بها أو ينتفع بها بغير الجنة ومع بعضهم الكلام عن ... كما هو عادة ...
بقوله للدنيا وشهواتها ... ألفاظ الكتاب إلى معان توافق طباعهم الخبيثة ...
مقامهم الخبيثة وادعائهم مع ذلك أنهم من أولياء الله وأصفيائه ودينه ... بما
يفضحهم هي فقال قل يا محمد يا أيها الذين هادوا أي تحولوا بني اليهود وانتسبوا إليهم
إن زعمتم أنكم أولياء لله ... على زعمكم أنكم أصفياء الله وأنه ينصركم من دون الناس
فتمنوا الموت إن كنتم صادقين في دعواكم أنكم أولياء الله وأحباؤه والموت من أسباب الوصلة

إليه

إليه ثم أخبر عن حالهم وكذب مقالهم وفساد زعمهم وقبح سيرتهم وضلال ... ومسوء ...
واضطراب رأيهم وتزلزل دعاويهم وحصافة عاقبتهم ولخزيهم وأنهم عجزوا وفضحوا بافتضاح ...
إذ ليس بناء على أصل صحيح وبرهان متين بل على جحود ظني فاسد وعقيدة ... بالحجة
أهل الظاهر فقال ولا يتمنونه أبدا بما قدمت أيديهم من الكفر والمعاصي معناه فلا يتمنون الموت لما
اكتسبت نفوسهم ملكة محبة الدنيا ولذاتها وشهواتها وملكة الانجذاب إلى ما يعبها ... فيها
فصارت نفوسهم من هذه الملكة متعلقة بها محبوسة فيها لكثرة الأفاعيل الدنية البهيمية والغضبية
وكثرة الأعمال الحيوانية البهيمية والسبعية الموجبة للركون إلى نعيم الدنيا وزينتها والخلود إلى الأرض
الشهوات والاستغراق في لجة اللذات ومعنا هذه الأعمال والأفعال كلها هو الفساد في الأرض الجرم
والإثم في بقاء النفس في الفساد ورجوعها إلى الواحد القهار فصار هذه الأخلاق الرذيلة
والملكات الدنية الحاصلة من تكرار الالتفات إلى عالم الخلق وكثرة الإعراض والاستيحاش
من العالم الحق وملكوته الأعلى ... الصفات ... يموت ... العقليات
سائرة متمكنة ... في النفس بحيث لا فرق عندهم بين ترك البدن ونزع الروح
عن الدنيا وبين ترك اللذات ونزع الروح عن التروح لأن نفوسهم صارت كأنها
عين البدن ولهذا لا يمكنهم تصور بقاء النفس من دون استعمالها الجوارح واشتغالها
بالمحسوسات فلو فرضوا أن أحدا منهم بنفسه من غير مباشرة الأكل والشرب والوقاع ولا
مصاحبة الأزواج والعشائر والأولاد والعقار والضياع والمواشي ... لم يكن ...
... ملكوته لاستحالوا ذلك ... من سوى الخلود ... الأصوات
والجمادات جهلا بأن غاية ما سموه لذة ... بالنسبة إلى ما يجده أولياء الله من ...
حضرة الربوبية ... العاكفين بجنابه أشبه بأن يسمى ... المأخوذ ...
لذة ومحبة كيف ولو كان ما زعموه حقا لكان البغال والحمير أوفى سعادة وأجل ...

وغبطة من مثل تلك الذين طعامهم الذكر والتحميد وشرابهم التنزيه والتقديس الاشراق
انّ في الآية اشعاراً بان طبيعة اكثر الناس متنفرة عن حقيقة الدين معرضة عن لقاء الحق
لكونهم غير متمنين للموت بل مستكرهين له فهم ليسوا من اولياء الله بل هم على عكس التحقيق
بل من اولياء الطاغوت فلذلك طبايعهم مجبولة على حب الدنيا وزينتها ورياستها والجوهر
الروحاني الذي جبل على فطرة الله وفطر على قبول دعوة الاسلام ودين التوحيد فهو بالقوة
في الادميين كالجوهر العلوي لا يستخرج الى الفعل الا بجهد جهيد وكد شديد وسعي تام و
وتنقية للقلب وتصفية للباطن عن اغراض النفس واعمال وعبادات على قانون الشريعة الحقة
ومتابعة تامة للنبي ع في قوله وفعله واحكامه وسكونه واشاراته ومن يقوم مقامه لوراثة
علمه وخزانة كتابه من الائمة المعصومين من اهل بيت نبوته وولايته والعلماء الربانيين
الراسخون في العلوم الالهية المتأدبين بالآداب النبوية خلفا بعد خلف وطبقة بعد
طبقة الى آخر الدهر والقران وينتهي العصر والزمان وقد ترى ان اكثر منهم جمهور الناس
بل اكثر علمائهم وفقهائهم مع دعوى ايمانهم علانية ينكرون طريقة الائمة ويرونهم ضعفاء
وسراً ويستبعدون ترك الدنيا والعزلة والانقطاع عن الخلق وهو بعيد تمني الموت
وينكرون التبتل الى الله بالكلية بالموت الى الارادي طلبا للحياة الحقيقية الابدية الا من كتب
الله في قلوبهم الايمان وايدهم بروح منه وهو نتيجة الصدق في الطلب وحسن الارادة
من بين محبتهم ومحبته وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والآن حقيقة الانسان بحسب ما
ذكرته من الطبيعة الظلمانية التي يحب لاصحاب الشيطان ان يرفضوا من الدين كما يرفض السهم
من الرمية وان كانوا يصلون ويصومون ويزعمون انهم مسلمون ولكن بالتقليد لا
بالتحقيق اللهم الا من شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه فويل للقاسية قلوبهم
من ذكر الله تنبيه لا يخفى عليك ان في الاخبار ما يدل على ان الموت مما يجب العقل والشان

معجزة

معجزة من معجزات رسول الله ص لما روي عنه انه قال لهم والذي نفسي بيده لا يقولها احد منكم
الا غصّ الله بريقه فلولا انهم كانوا موقنين بصدق الرسول لتمنوا ذلك ولكنهم علموا انهم
لو تمنوا لماتوا من ساعتهم ولحقهم الوعيد فما تمالك احد ان يتمنى الاشراق الرابع قد ثبت لله
في هذه الآية على كذب اليهود في دعويهم ولاية الله وقربه ونبه في موضع آخر على كذبهم في دعوى
ان الآخرة خير لهم من الاولى وان الدار الآخرة خالصة لهم وكشف عن ذلك ايضا بهذا الطريق
فقال لحبيبه الرسول ص قل ان كانت لكم الدار الآخرة خالصة عند الله من دون الناس فتمنوا الموت
ان كنتم صادقين فاخبر انهم لن يتمنوا الموت ابدا بما قدمت ايديهم من سوء الافعال وقبح الاعمال وفساد
الانظار والاطوار المؤدية الى الاختصاص بالنار كما قال الحق هذا القائل ولن يتمنوه ابدا بما قدمت
ايديهم تنبيها على انهم ليسوا من اهل سلامة الآخرة وسعادة تلك الدار اذ ليسوا من اهل المحبة
الالهية والمودة الروحانية فان محبة الله وولايته التي للعلماء المقربين علامات ترجيحها
الحق بدون الالتفات بغير الله وقطع النظر عن ما سواه وتنقية القلب عن سائر المحبوبات والمشتهى
لهذه الخصال كلها هو الموت فمن احب لقاء الله اشتاق الى الموت اذ بالموت يتخلص عن محبة
الاغيار بالكلية ويرجع الى لقاء الله العزيز لعشقها بعض جملة الاغيار المحبوبة بالمحبة المجازية
هي النفس والاهل والولد والمال والجاه والشهوة فكل محبة لمحبوب مجازي يمنعه عن نحو من العشق الحقيقي
الثابتة والمحبة الحقيقية لله تعالى فمن غلب عليه محبة المال يمنعه عن الزكوة ومحبة حب الوطن تمنعه
عن الحج ومحبة البدن بالاكل والشرب يمنعه عن الصوم ومحبة النفس يمنعه عن الجهاد ومحبة الجاه
والشهوة يمنعه عن تعلم العلوم الحقيقية عن العزلة والاعتراف فيضيع وعجلة والاوقات فيفقد من هو
اعلم منه كثيرا فقد كل منها علامة من علامات محبة الله من حيث امتثال امره بما يكرهه وفيه
عما هو يحبه منهما فمن جمع محبة تحصل له علامة الاستعداد للقاء الله فيكون عنده

مثل الموت لان محبة كل شيء سوى الله نوع محبة النفس فهما نزل محبة الله محبة النفس اذ كل
محبة كل شيء سوى الله ضا بعضيا من اولياء الله عارفا به مشتاقا الى وصل عالم الملكوت فيتمنى
الموت هذا الوجه يكون من علامة ولاية الله ومعرفته ولذا قال فتمنوا الموت ان كنتم صادقين
ومن كان حاله على مضادة هذا الحال حب بحب النفس والولد والاهل والمال والعشيرة والجاه
يكون من اعداء الله كما قال سبحانه قل ان كان اباؤكم وابناؤكم واخوانكم وازواجكم وعشيرتكم واموال
اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها احب اليكم من الله ورسوله وجهاد
في سبيله فتربصوا حتى ياتي الله بامره الاشراق الخامس قد نفى الله تعالى عن اليهود ومن يحذو
حذوهم من اولي الطبايع الغليظة والقلوب القاسية عن قبول نور المعرفة والحكمة الذي هو درجة
الولاية والقرب كما في هذه الآية ولم ينف عنهم درجة السعادة الاخروية كما في الآية المقولة والسبب
في ذلك ان اهل الاخرة ان كانوا من الكاملين في المعرفة واليقين فهم من اولياء الله المقربين
وان كانوا من الكاملين في العمل فهم من اصحاب اليمين ومن المقربين مجاورة الحق الاول وشاهد
لقائه ولقاء العاكفين في حظيرة قدسه وساحة ملكوته ومن اصحاب اليمين السكان في روضات
الجنات ومنادمة الحور والغلمان والابتهاج باللؤلؤ والمرجان وهاتان المرتبتان كلتاهما
مسلوبتان عنهم راسا لفساد اعتقادهم لعنادهم وجحودهم للعلوم الحقة الحقيقية ولعنادهم
على اوهام حكمائهم تقليدا بلا تقية من غير دراية وبطلان اعمالهم لغلبة دواعيهم الحيوانية
وانكبابهم الى طلب هذه الدنيا الدنية فينتفي عنهم ما يؤدي الى الكمال العلمي والعملي بالكلية
فيمتنع عنهم تمني الموت وانما يتمناه من كان حكيما عارفا بالله حارثا للاخرة عاملا بعمل اهلها خاليا
من التعلق بالدنيا وزينتها ومرغوباتها ومستلذاتها ولباساتها فحينئذ يكون الموت وصلة
اياه الى المحبوب الاصلي ومطلقا له عن اسر الطبيعة وحبس الظلمات وصحبة الاضداد والمؤذيات

ومقاطعة

ومقاطعة كلفة العبادات وشدائد الرياضات والمحن والامراض الاشراق السادس ان في كل
واحدة من هذه الآية ونظيرتها اشارة الى ان اصحاب العلوم الظاهرة المنكرين على ارباب
المعارف الحقيقية يزعمون انهم من اهل النجاة واهل الدرجات دون هؤلاء المحققين المعرضين
عن الصيت والاشتهار وطلب الافتخار والتقلب في البلاد والديار والمعرضين الشيخوخة
والقضاء وتولية الاوقاف فجعل الله تعالى علامة اهل النجاة الناشئة من صوب هذه الدنيا
وتمني الموت واشار الى ان هذا حال السالك والمحب الصادق والمحقق العاشق كما قال بعضهم
اقتلوني يا ثقاتي ان في قتلي حياتي فان العبد المطيع يحب الرجوع الى مولاه والعبد العاصي لا يحب ان
يكون الرجوع الى مولاه وفي الحديث من احب لقاء الله احب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه
اي محبة العبد للقاء الله نتيجة محبة الله للقاء العبد بحسب العناية الالهية التي يتوانيها على القلبين
ولذا قال يحبهم ويحبونه بتقديم الاول على الثاني دون العكس وبالمقابلة حال السالك
العارف يعرف حال الواقف الجاهل والمبتدع الضال الداعين الحريص على الدنيا لان حال العارف
نتيجة حال الولي وحال الساكن الواقف في النشأة الاولى يخالف المسافر السائر الى النشأة الآخرة
اذ ابتلي النشأة الاولى ظهر لا مدركا ولذا قال سبحانه في وصفهم ولتجدنهم احرص الناس على
حيوة ومن الذين اشركوا لان المشركين وان كانوا حراصا على الحيوة الدنيا ولكن لم يكن لهم
خوف العذاب لانكارهم البعث واما المذهب المذكور فيكون احرص لحبهم وخوف العقاب فيكون
احرص الناس على الحيوة من المشرك وبالجملة حب الدنيا نتيجة الغفلة من الله فاشتغلهم بغفلة
احبهم للدنيا وحال المؤمن على ضد هؤلاء كما عرفت الاشراق السابع قوله والله عليم بالظالمين

اشارة الى ان ايمان الموسويين ونفاق المنافقين امور منوطة بالعلم الازلي والقضاء الاول
بحسب اقتضاء الاسماء الالهية الموجبة لان يكون وجود هذا العالم السفلي والمحل الهيولاني
ممتزجا بالانوار والظلمات مركبا من الشرور والخيرات لان نظامه حاصل من تركيب الاضداد و
طبايع متخالفة المواد والاجساد لا يصلح بغيرها الا بنفوس ظلمانية ملطخة وقلوب قاسية كالحجارة
مسطحة بالظلمة والسواد لا يليها الا الاثار الاخروية التي وقودها الناس والحجارة اعدت للكافرين
فلا يؤثر فيها الوعظ والنصيحة والانذار ولا ينفع لها تلاوة الكتاب والسنة بالتذكير والتكرار
لعدم اهتدائهم بنا لم الكتاب ولا يحيي نفوس الاخبار بمعرفة العلوم والاطلاع على بعضهم
فابطل قول اليهود واظهر كذبهم في هذه السورة في ثلاثة امور افتخروا بانهم اولياء الله وا
فكذبهم في قوله فتمنوا الموت ان كنتم صادقين وبانهم اهل الكتاب والعرب لا كتاب لهم فشبههم بالحمار
يحمل اسفارا وبالسبت وانه ليس للمسلمين مثله فشرع الله لهم الجمعة والله ولي التوفيق [illegible]

قل ان الموت الذي تفرون منه فانه ملاقيكم ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون
وفيه اشارات الاول في القراءة قرا زيد بن علي عليه السلام انه ملاقيكم بدون الفاء وفي قراءة
ابن مسعود تفرون منه ملاقيكم وهي ظاهرة واما التي بالفاء فلتضمن الذي معنى الشرط وقيل
الصفة فادة للموت الذي تفرون منه جعل الذي في موضع الخبر لا صفة للموت ويكون فانه ملاقيكم استئنافا
مكن الفاء في قراءة زيد تدل على ان الموت الذي تفرون منه كالمحال اي ان الموت هو الشيء
الذي تفرون منه ثم استونفت فانه ملاقيكم الثاني في ان تاويل قل يا محمد ان الموت الذي تفرون منه
لاعتيادكم صحبة اهل الدنيا ولذاتها وشهواتها وزينتها واموالها واسبابها ومناصبها
فانه ملاقيكم اي انكم وان فررتم من الموت والقتل بقوة التوقي والتحصن والاغذية الجيدة

والمشروبات

والمشروبات المقوية والدوامات الاضعف والترياقات لدفع السموم والافات وتحصيل الوقاية
من الاسلحة الدافعة والدروع الواقية واتخاذ الابنية والحصون الرفيعة والقلاع العالية المحصنة
والبروج الحارسة عن العدو والحصن ونحو ذلك من الاسباب الجزئية المشيدة والحيل الاتية لدفعه
الموت فانه لا ينفعكم عند حلول الاجل المعلوم عند الله ولا بد ان ينزل بكم الموت ويلاقيكم
ويدرككم ولا ينفعكم الهرب منه اينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة وانما اتى
بالفاء لحرف التاكيد والجملة الاسمية مبالغة في الدلالة على انه لا ينفع الفرار منه سواء فروا منه
او لم يفروا فانه ملاقيهم بل ربما كان نفس الفرار من اسباب الموت كما يتاهل في بعض مواضع
الاحتياطات والاستعلاجات الطبية والنجومية حيث يصير بعينه سببا من اسباب الوقوع
فيما يقع الفرار منه فاذا كان الفرار كالسبب في ملاقاة ما يفر منه فلا معنى للتعرض للفرار
لانه لا ينافيه عدم على التحقيق ولهذا المعنى اشار امير المؤمنين عليه السلام كل امرئ لاق ما يفر منه
والاجل مساق النفس والهرب منه موافاته وقال بعضهم ومن هاب اسباب المنايا ينلنه ولو نال
اسباب السماء بسلم ولا شك انها نالته هابها او لم يهبها ولكنه اذا كانت منه بغتة المنية
فالهيبة لا معنى لها الاشارة الثالث في حكمة الموت لعلم انه قد تقرر في العلوم الكلية بيان حكمة
الموت وحكمة ترغيب النفوس عنه اما حكمة الموت فلان كون النفس في هذه الدنيا حال النقص دون
التمام وكونها في الاخرة حال تمام بالبقاء على حال التمام افضل والكامل الذي شرف كما ان حال
الابدان في الارحام حال النقص عن التمام والكمال الحاصل لها بعد الولادة حال تمام وكمال
على حدة ولا يحصل فيها الغاية الباقية لهما لا شيء من الكمالات والخيرات ومعلوم الاجادة على
بفيض جوده ورحمة الكمال لكل ما هو في ... وكانه لا يمكن الوصول الى التام

٨١ البتة في الدنيا الى بعد تقدم حال النطفة في الرحم والحب لتعلقه والخروج عنه فهكذا حال الارواح
في تمام تكونها الاخروي ونشاتها الثانية فانها لا تصل الى البقاء الابدي الا بعد تقدم حال النفس في
عدم الدنيا والوجود فيها والحب لتعلقها والخروج عنها فحال الارواح بعد الموت على مثال
حال الابدان بعد مفارقتها الارحام لان الموت ليس معناه سوى مفارقة الروح الجسد والدنيا
كما ان الولادة ليست سوى مفارقة الجسد المشيمة والرحم فالدنيا كالرحم والبدن كالمشيمة والروح
كالجنين والم النزع كالم الولادة وملك الموت كالقابلة والقبر كالمهد وفضاء الآخرة وانوارها
الالهية والجبروتية والملكوتية بالنسبة الى ضيق الدنيا وظلماتها الثلث التي بعضها فوق بعض
ظلمة الهيولى وظلمة الطبيعة وظلمة النفس بدواعيها الشهوية والغضبية والوهمية كفضاء الدنيا
وانوارها الشمسية والقمرية والسراجية بالنسبة الى ضيق الجوف وظلمات الثلث ظلمة المشيمة وظلمة
الرحم وظلمة البطن او ظلمات الجمادية والنباتية والحيوانية والحكمة في كراهة الموت انه
جل شانه وجل بوجه حكمته فطبع النفوس محبة الوجود والبقاء ابدا سرمدا وجبل في جبلتها
كراهة الفناء والعدم لان الوجود خير محض تنوع عند الكل محبته كل احد يبغض زواله والموت
يزيل هذا الوجود الدنيوي فيكون كرهها هذا هو لسبب الفنا واما السبب الثاني حكمة طبع
النفوس بطباعها وغرايزها على حفظ البقاء وبه يجب الاصلاح والفساد والمفسدات قبل بلوغها
الى درجة الكمال ومنها وجهان اخران احدهما ان الباري جل مجده لما كان ذاته بذاته علة
الموجودات ومقوم الحقايق ومقيم الكاينات وممسك الارض والسموات وهو باق ابدا صار
الموجودات كلها تحب البقاء وتشتاق اليه لانه صفة موجدها ومقيمها والمعلول يحب علته وصفاتها

ويشتاق

١٨ ويشتاق اليها لمحبة البقاء وكراهة الفناء من فرع محبة الباري جل ذكره فمن اجل هذا قالت
الحكماء الاقدمون والعرفاء المحققون ان الباري جل شانه هو المعشوق الاول لسائر
الخلايق جبلة وفطرة ويعبده الكل طبعا وارادة وثانيها ان اكثر النفوس لا يدرى ما حالها
وجودا خلوا عن الاجسام فيتوهم ان الموت فناء الذات بالكلية فان قيل لم لا يلهمهم الله النفوس
بان لها وجودا مستقلا لا حاجة فيه الى هذا البدن قلنا لانه لا يصلح لها العلم مثل في العالم
اذ لو علمت لفارقت اجسادها قبل ان يتم ويكمل ادواتها وتتم في تدبيرها كما ينبغي فاذا فارقت الاجساد
قبل ذلك تبقى فارغة معطلة بلا شغل وعمل ولا معطل في الوجود والحكمة يقتضي ان لا يكون
شيء من الموجودات مهملا معطلا كما ان الباري جل ذكره لم يخل ابدا من تدبير وصنعة حتى يكون
فارغا بلا تدبير ولا صنعة بل كل يوم هو في شان فظهر ان الموت لا بد ان يلائمه الانسان
من جهة القضية الربانية مع كونه مكروها من جهة النفوس بحسب ما هو مركوز في غريزتها
من جهة التدبير الالهي ولذلك سلط عليها دواعي هي اسباب بقائها الدنياوي وهي بعينها
اسباب عطبها وهلاكها وهذا كلها وشقاوة نفوسها وهذا من عجايب حكمة الله في هذا
العالم حيث يكون سبب البقاء بعينها سبب الهلاك والشقاوة وتلك الاسباب والدواعي
المسلطة هي مثل الجوع والعطش والشهوات المختلفة والاشواق واللذات الزائدة اما فصل الاولى
في تكوين الجوع والعطش وتسليطها على النفوس ليدعوها الى الاكل والشرب ليخلف على ابدانها
من الكيموسات الصالحة بدلا عما يتحلل منها سامية ضانعة ليبقى بها الشخص والنوع اذ كانت اجسادها

الى الفساد قبل استعدادها للمعاد
وهذا ما يبطل حكمة ايجاد العباد
وايضا اذا فارقت النفوس الاجساد م

دبا في النخل والديدان والسيلان ولما الشهوة المستولية فلذة بمعوها الى الاغذية الجيدة
والماكولات المختلفة الموافقة لامزجة ابدانها فما يحتاج اليه طباعها من الكمية واما اللذة فلان يكون
ما ياكل ويشرب بقدر الحاجة ولا يزيد ولا ينقص واما التي يعرض لها من الآلام والاوجاع عند
الامراض والافات العارضة لاجسادها فلاجل ان تحرص على حفظ اجسادها من الافات ليبقى بحرص
الى وقت معلوم ولا ينبغي تعلل بلوغ النفس الى كمالها اللائق بحالها فان استكمالها بالعلم والعمل وبلوغها
الى درجة العقل بالمعنى بالفعل انما يحصل بالآت البدن واستعمال حواسه الظاهرة والباطنة ثم بيّنا
ما قيل من تقدم حاصلها الاستئناف الرابع اعلم انا بينا في بعض فصول اسفارنا على تحقيق الحق
الطبيعي لكل شيء متقومة بوجه تختفي عنها ما اشتهر في الكتب الطبيعية والطبية واستنبطنا
ذلك من بعض الايات القرآنية حسبما الهمني الله واثبتناه بالبرهان على نهج الحكماء الالهيين
لا بالبيانات التي هي مسلك الاطباء والطبيعيين وحكاية القول فيه ان في جملة النفوس بل الكائنات
العنصرية كلها التنقل من حال الى حال والتدرج الى كمال بعد كمال والتوجه بالرجعة الى المبدأ الفعال
والصنع المتعال وهذا امر مشاهد في النبات والحيوان فضلا عن الانسان ومقامه في موضعه
عليه البرهان اولا ومنها ان النفس الانسانية في اول تكونها النطفة وحين تكونها النطفة كانت
لها قوة قابلة هيولانية شبيهة بالعدم كما قال تعالى هل اتى على الانسان حين من الدهر لم يكن
شيئا مذكورا ثم تحصل في درجة النبات ثم في درجة الحيوان ثم ظهر فيها آثار الجنينية حتى بلغ غاية
النشو وكمال الخلقة فيها … بدنها الصوري … عنها القوة الشهوية والغضبية ثم اذا جاوز حد

من

وقت بلوغ غاية النشو وشرع في الذبول العارض الضعف البدني فلم يكن منشأ ذلك آفة خارجية
وردت عليها او قصور يعرض لها في حد حركتها نحو الكمال واعتقدنا ان الغاية من الجبلة
الخلقية لا الاجزاء ولا الاعداد او … واستعداد القابل منه ليس الا البقاء والدوام لا الذبول
والفساد بل منشأه توجه الطبيعة النفسانية … نشأة ثانية وسلوكها مسلكا نحو عالم آخر نحو
كما سنبرهن عليه بتنبيها التي يليق بهذا الموضع واما حدوث تناهي القوى الجسمانية في فعلها او انفعالها
وكذا الاماثلات عن تمادي الحركات والتغيرات الى لا نهاية فهو انما يصدق فيما يكون الافعال
والانفعالات صادرة عنها على سبيل الاستقلال واما على سبيل الاستمداد عما هو ارفع منها
فيحتمل اللانهاية كما في حركات الافلاك على دوامهم واما حدوث نضج مراتب الغذاء التي يصير
بالاخرة بحال عجب الكيفية عن مزاج اصل البدن من جهة … مراتب الهضم والتحليل فيه عن مراتبها
في مادة البدن بمرتبة فتحله … لذلك لان النطفة بما دخلت عليه خمسة هضوم وتحليلات
احدها في المعدة والثاني في الكبد والثالث في العروق والرابع عند الاعضاء والخامس في اوعية
المني مثل الانثيين والرحم بخلاف الغذاء فانها … من الهاضمة في تلك المرتبة فتحل لعدم الهضم
وهي التي يصير التي بها تمام الاستعداد لقبول الصورة الحيوانية فلذلك يفيها بنيتها على البدن
لا ينقص من الاعضاء عند … الفناء فهو قاعدة لم … بناء على الظنون والتجارب
الحيالية لا على المقدمات الاضطرارية البرهانية والبرهان هو المتبع فلولا تواريخهم انكم ان كنتم
صادقين وما لحكاية المنجمين واحكامها في باب مقادير الاعمار فكذبها تجارب وتخمينات
وما يتبع اكثرهم الا ظنا ان الظن لا يغني من الحق شيئا بالحق الحقيق بالتصديق ان الطبيعة بحب

ما اودعه الله في جبلتها اذا جاوزت النوع الاخر وتقف بحيث بعد فلا بد ان يتخطى النوع
الاشرف والا لكانت معطلة ولا معطل في الوجود وقد تقرر ايضا في العلوم الالهية ان الطبيعة
العنصرية ما لم توف النوع الاخس لم تتجاوز منه الى النوع الذي فوقه ثم لا شبهة في ان الانسان
بحسب كمال الخلقة البدنية اشرف الانواع الحيوانية لكونه تام الحواس مع قوى اخرى يختص
به وهي القوى النطقية وعملية فمعلوم ان طبيعته قد تجاوزت عن جميع الحدود الدنية التي في سائر
الحيوانات بعد ما تجاوزت عن سائر الدرجات النباتية المتجاوزة عن الجمادية والحيثية
والجوهرية المطلقة والنسبية العامة وهي بعد في الحركة الصعودية ولم يبق من الصور والانواع
الممكنة في عالم الطبيعة ونشأة الدنياوية الا وتجاوزت عنه متوجهة نحو مركزه فلا بد من توجهها
او رجوعها الى عالم الآخرة وعند ذلك متى كانت سعيدة مسرورة او شقية محترقة معذبة منكوسة
لان هذه الحركة من النفس ليست اختيارية بل اضطرارية جبلية فالموت الطبيعي عبارة عن تجاوز
الطبيعة الانسانية عن مراتب الاستحالات الحيوانية المناسبة لها في هذه الدار وهي عالم الشهادة
الى اول نشأة يكون لها في الدار الآخرة وعالم الغيب فهذا هو السبب الغائي القريب لعروض الموت
كما ان ما ذكرناه اولا هو السبب الفاعلي له فافهم واغتنم فانه مع كمال وضاحته وقوته ووضوحه
وجلالته مما يخفى على الاذهان القاصرة الغير المناسبة لطالعة السائرة الاشراقية واخذ النتائج
المطلوبة منها لاعتيادها بالنقل والاكتساب عن الناس للتقليد المحض والله لا يهدي من يشاء
الى صراط مستقيم تذكرة وتمثيل ان الموت في الحقيقة يرجع الى ترك النفس استعمال الجسد لان
البدن للنفس بمنزلة الدكان للصانع والاعضاء بمنزلة الآلات فاذا كانت الآلات للصانع او انكسرت

او خرب

او خرب الدكان دائما نعلم بان الصانع لا يقدر على عمل شيء من الصنعة الا ان يتخذ دكانا
اخرى وادوات جديدة اخرى فكل صانع حكيم اذا تفكر في امره ونظر في عواقب امره علم
بانه لا بد وان يخرب يوما دكانه وتكل ادواته ويضعف قوة بدنه ويذهب ايام شبابه فمن
بادر واجتهد قبل خراب الدكان وكسر الآلات وذهاب القوة واكتسب ما يغنيه عن الدكان
واستغنى عن السعي فانه لا يحتاج بعد ذلك الى دكان آخر وادوات اخرى جديدة بل يستريح من العمل
ويشتغل بالتمتع والالتذاذ بما كسب وادخر فهكذا يكون حال النفوس الفاضلة بعد خراب ابدانها
وعطب جوارحها فتفكر يا مسكين وبادر واجتهد وتزود قبل خراب هذا الدكان وفساد الآلات
فانه خسران المقبوض شك وتحقيق ان قيل ما العلة في بقاء النفوس الكاملة المتجردة بذاتها
المتعلقة عن البدن وتفوقها في هذه الدار مع ما يعتريهم من المحن والالام وما يلحقهم من
الاوجاع والشدائد ومعاداة الجهال ومعارضة الاشرار فقال الحكيم في ذلك ليكون كون تلك
النفوس مشغولة بتدبير النفوس الناقصة المتجسدة لكيلا تتم هذه وتتخلص من النقص ويكمل تلك
ويبلغ بمبلغها التام ومبالغة الى كمال بعد الكمال والحال الاشرف والاعلى في النحال وذاته الى ربك
المنتهى والمثال في ذلك الاب الشفيق والاستاد الرفيق في تعليم التلامذة والاولاد وتخريجهم اياها
من الظلمات والجهالات الى فسحة العلوم والمعارف ليتحقق هؤلاء ويكملوا اولئك الآباء
والاستادون ويخرجون بما في قوة نفوسهم من العلوم والصنائع والحكم الى الفعل والظهور
اقتداء بالباري سبحانه وتشبها بالحكيم الاول في حكمة وجوده اذ هو الباعث لاخراج الوجودات
من القوة والبطون الى الفعل والظهور وكل مقتض لاكتهاله واحكم صنعه واحوجه على

غيرها اكثر افاضة وجودا وافادة فهي اقرب الى الله نسبة واشد تشبها وهذه اولاهي رتبة الملائكة
الذين لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون يبتغون الى ربهم الوسيلة ايهم اقرب
ولهذا قالت ائمة الحكمة العتيقة في تعريفها انها هي التشبه بالاله بقدر الطاقة البشرية وفي
الحكمة المحمدية على الصادع بها وآله افضل الصلوات والتسليمات تخلقوا باخلاق الله يعني
من كونه عالما حقيقيا وصانعا محكما واعمالا صالحة صافية من الغش والدغل وجعل ذاته
جميلة وارادة صحيحة ويفيض على من دونه متشبها فهو من اولياء الله المؤمنين المقربين
منه واحبائه المذكورين لديه الاشارة الى الخامس في قوله ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة
اعلم انه قد ينسب قبض الارواح وجذب النفوس وردها الى العالم الآخرة تارة الى الله
كما في قوله تعالى الله يتوفى الانفس حين موتها وتارة الى بعض ملائكة الله المقربين كما في قوله
قل يتوفيكم ملك الموت الذي وكل بكم وتارة الى رسل الله كما في قوله توفته رسلنا وهم لا يفرطون
وتارة الى نفس النفس كما في قوله تعالى يا ايتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية وتارة
لم ينسب الى فاعل معين وقابض معلوم كما في هذه الاية وحتى قد ذكرنا في تفسير سورة يس سابقا
منه وجه في تصحيح هذه النسب الى [...] وذكرنا المباحث في هذا الفصل ما يحتاج اليه الا ان الاولى لكن
لا اشك ههنا عن ذكر شيء يسير الى من يقال بحسب الحال فنقول ان بين الذات الاحدية الالهية
وبين كل موجود طبيعي امور متوسطة هي اسباب مختلفة ووسائط تكوينه وبها هي اسباب
جذب الارواح والنفوس من اسفل السافلين كما انها بعينها اسباب وجودها ومعيدها
مبدأها على عليين فاولها اسم الله القابض في العالم الالهي ثم الملك المقرب الذي يجذب الارواح

في عالم القدس ثم نفوس رسل الله وهم الذين الى الله ثم النفوس المطمئنة الراضية المرضية
راضية مرضية في عالم النفوس ثم الطبيعة الانطباعية في عالم الطبائع فان لكل انسان قوة
محركة جاذبة للاسم المجسم الغذائي الترابي الى حيز الطبيعة النباتية وله قوة اخرى حيوانية
فاعلة للحس والحركة الارادية تجذب لطائف الاخلاط الى افق الارواح البخارية وله قوة نطقية
فوق القوة الحيوانية تجذبها الى مرتبة النفس الناطقة وفوقها قوة نبوتية تدعو النفس
الناطقة جاذبة الى عالم الملكوت الغيبية وفوقها قوة جبريلية باتقها وتبعثها الى عالم
الربوبية والله سبحانه من فوقها التي يمسك السموات والارض ان تزولا وفوق الكل وهو
القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة يقبض الكل باسمه القابض والارض جميعا قبضته يوم
القيمة فللاشارة الى هذه المراتب المتفقة لقبض الارواح وجذب النفوس الى الله تعالى و
وقعت نسبة التوفي تارة الى الله تعالى وتارة الى الملك الروحاني والى ملائكة هي دونه
في الرتبة وتارة الى رسل الله وتارة الى النفس وتارة الى الطبيعة المسخرة كما في هذه الاية
تنبيها على اختلاف النشآت وتعدد العوالم وتفاوت الدرجات للانسان لكن يجب
على الناظر المتأمل ان يعلم ما اكثرنا ذكره وكررنا ابانه في توضيح اسرار بعض الايات
ان كل فعل اذا نسب الى المبادي العالية يكون بالحقيقة لا بالمجاز واذا نسب الى ما سواه يكون
بالمجاز وذلك لان الاسباب مستهلكة الذوات والهيئات عند مسببها فاذا سمعت مثل
قوله تعالى الله يتوفى الانفس حين موتها فاحملها على الحقيقة فاذا سمعت مثل قوله قل يتوفيكم
ملك الموت فاحمله على المجاز فالكامل في العرفان من كان في صلاته عرفانه نوعه نور التوحيد
ونور الحكمة ولا يطفئ نور احدهما نور الآخر فاحد النورين ينظر الى التوحيد وبالنور
الآخر ينظر الحكمة في ترتيب الاسباب للمسببات ويرعى كثرة صور الاعيان التي هي مظاهر
الاسماء في وحدة وجوده وفيض جوده واكثر الناس قد يشغلهم شاهد عن شاهد فمنهم من

من اعجب جانب التوحيد في الافعال واهمل رعاية الحكمة والترتيب كالاشاعرة المنكرين القول
بالعلة والمعلول وترتيب الاسباب ولم يتدبروا في خلق السموات والارض وما بينهما
من عجايب الحكمة وبدايع الفطرة فقد قال سبحانه وما خلقنا السموات والارض وما بينهما
لاعبين وقال تعالى اولم ينظروا في ملكوت السموات والارض وما خلق الله من شيء وان عسى
ان يكون قد اقترب اجلهم فباي حديث بعده يؤمنون ومن يضلل الله فلا هادي له و
يذرهم في طغيانهم يعمهون فهذه الاية ناصة على وجوب النظر في المسايل الحكمية على من
يقوى له ومنهم من اعجب جانب الحكمة في اسباب الوسايط لكن اهمل جانب التوحيد الافعالي
فصارت روية الاسباب القريبة حجابا له عن روية مسبب الاسباب وهذا كالمعتزلة المثبتين
للعبد قدرة مستقلة واما الذي تبع محققي الاسلام وحكماء شريعة سيد الانام عليه وآله
السلام وهم الراسخون في علم القران والعالمون بتاويل الاحاديث فهو الجامع بين التوحيد و
الحكمة ولاجل هذا الجمع والتوفيق نسب الله الافعال في القران مرة الى الملائكة او العباد ومرة الى نفسه
فقال في الصنفين انه قل يتوفيكم ملك الموت الذي وكل بكم وتارة يتوفى الانفس حين موتها وتارة
ارجعي الى ربك وقال في باب الحراثة افرايتم ما تحرثون ثم قال انا صببنا الماء صبا ثم شققنا
الارض شقا فانبتنا فيها حبا وقال في باب نفخ الارواح في الاجساد مرة فارسلنا اليها روحنا فتمثل
لها بشرا سويا ومرة فنفخنا فيه من روحنا ومرة فانفخ فيه فيكون طيرا باذني وفي الحديث عن
رسول الله ص في وصف ملك الارحام انه يدخل الرحم فياخذ النطفة في يده ثم يصورها جسدا
فيقول يا رب اذكر ام انثى اسوي ام معوج فيقول الله ما شاء ويخلق الملك وفي لفظ اخر ويصور
الملك فيها الروح بالسعادة والشقاوة وقال بعض السلف ان الملك الذي يقال له الروح هو الذي

يولج

يولج الارواح في الاجسام وانه يتنفس بوصفه فيكون كل نفس من انفاسه روحا يلج في جسم
ولذلك سمي روحا وما ذكروه في مثل هذا الملك وصفته فهو حق يشاهده اصحاب القلوب
ببصايرهم وهذا بعينه كما قال المتكلم بالكلام الحكمي حين ان كل نفس من انفاسه يفيض معنى
عند الحق في شكل كلامه وكذا المذكور الله في القران الايات الدالات على وجوده ووحدته
مثل قوله ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لايات لاولي الالباب
ومثل قوله سنريهم اياتنا في الافاق وفي انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق فهذا الدلالة على
وجود ذاته والشهادة على وحدانيته الى الموجودات الافاقية والانفسية ثم قال اولم يكف
بربك انه على كل شيء شهيد وقال ايضا شهد الله انه لا اله الا هو فبين انه الدليل على نفسه وليس
ذلك بمناف فطرق المعرفة مختلفة بعضها من جهة الحكمة والترتيب في النظم وبعضها
من جهة التوحيد وحقيقة الجمع فكم من سالك عرف ذاته بوسيلة النظر الى الموجودات وكم
من طالب عرفه بالنظر اليه كل الموجودات فقال عرفت ربي بربي ولولا ربي لما عرفت ربي
وهذا بعينه مسلك الصديقين والاول مسلك نوع الابرار وايضا فقد وصف الله
نفسه بانه المحيي والمميت ثم فوض امر الموت والحيوة الى ملكين ففي الخبر ان ملك الموت وملك الحيوة
تناظرا فقال ملك الموت انا اميت وقال ملك الحيوة انا احيي لا اموت فاوحى الله اليهما كونا على عملكما
وما سخرتكما له من الصنع فانا المحيي والمميت ولا محيي ولا مميت سواي فالمحقق العارف هو الذي
ينكشف له سر معرفته ان لا قوام للاشياء عنده بانفسها وانما قوامها بغيرها فهي باعتبار
انفسها باطلة الذوات هالكات الهويات والانيات وانما حقيقتها وحقيتها بغيرها
لا بانفسها من حيث هي هي فلا حق عند المحقق الا الحق القيوم الذي ليس كمثله شيء فهو
القايم بذاته وكل ما سواه قايم بقيومه فهو الحق وما سواه باطل وقد جرى هذا المعنى على لسان بعض

الاعراب فصلا اعاقنا فاسرقة رسول الله فقال الصدق بدت له الساعة فقال لا بد لا كل
شئ من حلول بقدر باجل الاشراق السادس لما علمت ان للانسان مرتبة مختلفة في الوجود لتحصيل كل
مرتبة اسباب وعلل اوجدها الله تعالى فاعلم ان يحصل كل مرتبة عالية للانسان بطل ان يستتبع
لتعلم مرتبة دانية لها العرض والنعمة تحيى للانسان في كل نشأة هو مبنية في النشأة المتقدمة
عليها ولذا قيل لقابض الروح انه ملك الموت نظرا الى حقائق الجهتين ويسمى ايضا بعزرائيل على
الرسم لانه من باب تسمية الشئ باسم ضده كما هو عادة العرب واما تسمية الاحياء الملك الآخر ضد
ملك الموت كما سبق فذلك الفن يحكي القياس الى حجة مرتبة ونشأة وعدم مرتبة ونشأة
اخرى الاشراق السابع في لمية تعلق الروح الانساني الى الله سبحانه ان من الحكمة البالغة والنعمة
السابغة ان الله قد جمع في صحيفة الانسان ما افرد به الملائكة المقربين والحيوانات المبعدين
فضلا عما خص به غيرهم من الجنسين من العالمين اجمعين فمن ذلك انه قد افرد الملك بروح روحاني
علوي باق لا يفنى لانه صادر من امر الله وسر من اسرار الله وافرد الحيوانات بروح سفلي
فان ظلماني فافرد للانسان بالتركيب بين الروحين فهو فان حيواني وباق ملكي فالحكمة في
ذلك ان الروح الملكي غير مغتذ ولا نائم دائما غذاؤه بالتسبيح والتقديس وهما بمثابة النفس
للحيوان ولهذا لم يبق الملك الا في مقامه لقوله كل له مقام معلوم والروح الحيواني قابل للترقي
لانه سبحانه جعل الانسان مركبا من الروحين لينطبع بعضه الملكي بطبع بعضه الحيواني في الغذاء
ويقبل الفناء الذي يعبر عنه بالموت ليصير فانيا كالحيوان وليلا ان ينتقل من هذه الدار الى
دار البقاء مترقيا الى العالم الاعلى وينطبع بعضه الحيواني بطبع بعضه الملكي ليصير مسبحا
مقدسا كالملك باقيا بعد المفارقة عارفا بالله بخلاف الحيوانات ولكن من خصائص

الروح

الروح الحيواني بالغذاء ان يحصل الغذاء من جنس المغتذي ولونه وصفته ومن خصائص الروح الانساني
ان يكون مشاركا للون الغذاء ومتصفا بصفته وذلك لان غذاء الروح الحيواني الطعام والشراب
وهما من الجماد والنبات والحيوان المذبوح المطبوخ وفيهما الرطوبة واليبوسة والحرارة والبرودة
مركوزة بالطبع والروح الحيواني غالب عليهما ومتصرف فيهما يجعلهما من جنس المغتذي وغذاء الروح
الانساني ذكر الله وطاعته والشوق الى جنابه والحنين الى لقائه كما قال الله تعالى في آخر هذه السورة
فاذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون وقوله الا بذكر الله تطمئن القلوب وامثال ذلك فغذاء الروح من الجنبة
الالهية لما كان غالبا عليه الروح يحيى بحياتها ويفنى بفنائه ويتخلق بخلق الروح الرباني ويرجع من الفناء
عن وجوده والبقاء بوجود ربه فهو بما يبيت ذاق الموت ثم احيي بوجود ربه كما قال تعالى اومن كان
ميتا فاحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس وقد انكشف هذا المعنى لبعض الحكماء السابقين
كفرفوريوس مقدم المشائين وهو اعظم تلامذة ارسطاطاليس الحكيم حيث ذهب الى ان النفس الانسانية
تصير بعد احكام معرفتها عين النور العقلي الذي هو بدا به تعقل بالفعل وفاعل المعقولات
التفصيلية وظاهرات النفس لما لم يبق عن ذاتها الفناء ثم لم يحجبه العقل الفعال المنور لما في الله
الاخرة من الصور والهيئات فهذا المعنى الفناء الذي يستحق به الروح الانساني الاحياء الاخروي
من الله انما استفاده من النفس الحيوانية التي هي ذائقة الموت ومائلة الفناء فافهم واغتنم فانه
عزيز الوجود الاشراق الثامن في قوله تعالى هل انبئكم باكرم خلقه معلومة اشارة الى ظهور صورة الاعمال الا
يوم القيامة فان الناس يحشرون يوم القيامة على صور نياتهم وهيئات ضمائرهم واشكال اخلاقهم
وصفاتهم الحاصلة من تكرير الافعال والاعمال المؤثرة في القلوب ايانا لمثل ما في الاعمال انها
بمنزلة الحراثة والزراعة وطرح البذر في اراضي القلوب والنبات والاعتقادات المستقرة فيها

مثلة الانبياء ومدة الكون في الدنيا بمنزلة الساعة التي تحجب الارض فيها عن الشمس عن سمت
رؤوس اهلها فاذا ارتفع النهار واشتدت حرارة الشمس وفي الربيع يظهر ما كمن في باطن
الارض من البذور ويحصل الازهار والاثمار واكتشف ما استتر في بواطن الاشجار من الانواع
المختلفة والالوان المتضادة فيكون كل ثمرة مناسبا لحبة وبذرة ويكون بعضها حلوا في بعضها
مرا وبعضها حامضا وبعضها ناقصا وبعضها تاما ناضجا فهكذا يكون الحال يوم قيام الساعة
وطلوع شمس الحقيقة من مغربها فعند ذلك يكون حشر الخلائق وحشرناهم فلم نغادر منهم احدا
وبروزها الخفية وبرزوا لله الواحد القهار وظهور بواطنها وسرائرها يوم تبلى السرائر
ويكون حشرهم على صور مختلفة فيحشر بعضهم على الحيثية يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا ونسوق
على سبيل الوعيد والعذاب ونسوق المجرمين الى جهنم وردا ويوم يحشر اعداء الله الى النار وقوم
يسحبون على وجوههم كالحيوانات الموذية وبالجملة كل احد يحشر الى ما يميل اليه ويحبه كما قال
عليه السلام قل كل يعمل على شاكلته وقوله احشروا الذين ظلموا وازواجهم وقوله واذا النفوس زوجت
والسنة المنقولة لو احب احدكم حجرا لحشر معه كما ورد في الحديث ولا شك ان الحشر مع الحجر لما
كان من جنس الحجر وفيه سر تناسخ وبالجملة ان اعمال الاشقياء الذين المتوغلين في حب
الفانية عن الارتقاء الى العالم الملكوت في البرازخ الحيوانية وما دونها من عالم الاجسام ولهذا تكون
تصوراتهم مقصورة على الاغراض الشهوية او الغضبية او محبة لحب جمادية كالذهب والفضة و
والياقوت فيحشرون على صور تلك الحيوانات وما هي اخس منها في النشأة الاخرى كما دل عليه قوله
واذا الوحوش حشرت وقوله النبي عم يحشر بعض الناس على صور يحسن عندها القردة والخنازير

وربما يتمثل بعضهم في هذه النشأة بصور تلك الجيفة الاخروية لاهل الكشف والشهود ومن ذلك
غلبة سلطان الاخرة على بواطنهم ان في ذلك لآيات لقوم يعقلون المطلع الثامن في قوله
سبحانه يا ايها الذين آمنوا اذا نودي للصلوة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله وذروا البيع
ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون وفيه اشارات الاول في اللغة والقراءة قال الشيخ ابو علي الطبرسي
رحمه الله الجمعة والجمعة لغتان وجمعهما جمع وجمعات قال الفراء وفيه لغة ثالثة جمعة بفتح الميم
كهمزة ولمزة في الكشاف يوم الجمعة يوم الفوج المجموع كقولهم ضحكة للمضحوك منه ويوم الجمعة بفتح
الميم يوم الوقت الجامع كقولهم ضحكة للضاحك ويوم الجمعة تثقيل الجمعة كما قيل عشرة في عشرة والثاني في
النداء ومعناه معنى الاذان والنداء الاذان وقد كان لرسول الله صلعم مؤذن واحد
اذا جلس على المنبر اذن المؤذن على باب المسجد فاذا نزل اقام للصلوة فكان ذلك مستمرا الى زمن
عثمان فكثر الناس وتباعدت المنازل فاحدث الاذان الثاني فزاد مؤذنا آخر فامر بالتأذين الاول
على داره التي تسمى زوراء فاذا جلس على المنبر اذن المؤذن الثاني فاذا نزل اقام للصلوة
وانما سميت جمعة لان الله تعالى فرغ فيه من خلق الاشياء فاجتمعت فيه المخلوقات وقيل
لانه تجتمع فيه الجماعات وقيل ان اول من سماها جمعة كعب بن لوي وهو اول من قال
اما بعد وكان يقال لها العروبة وقيل اول من سماها جمعة الانصار وذكر ابن سيرين
جمع اهل المدينة قبل قدوم النبي عم وقبل نزول السورة فقالت الانصار لليهود يوم يجمعون
فيه كل سبعة ايام وللنصارى مثل ذلك فهلم فلنجعل لنا يوما نجتمع فيه فنذكر الله فيه ونصلي
يوم السبت لليهود ويوم الاحد للنصارى فاجعلوه يوم العروبة فاجتمعوا الى سعد بن

٨٨ زرارة فضل يوم بيوم نقص وذكرهم فسموه يوم الجمعة لاجتماعهم فيه فانزل آية الجمعة فهي
اول جمعة كانت في الاسلام واما اول جمعة جمعها رسول الله ص فهي انه لما قدم المدينة مهاجرا
نزل قبا على بني عمرو بن عوف واقام بها يوم الاثنين والثلثا والاربعا والخميس واسس مسجدهم
ثم خرج يوم الجمعة عامدا المدينة فادركته صلوة الجمعة في بني سالم بن عوف في بطن واد لهم فخطب
وصلى الجمعة الاشراق الثاني في فضل يوم الجمعة عن النبي ص خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة فيه
خلق آدم وفيه ادخل الجنة وفيه اهبط الى الارض وفيه تقوم الساعة وعنه ص اتاني جبرئيل وفي
كفه مرآة بيضاء فقال هذه الجمعة يعرضها عليك ربك لتكون لك عيدا ولامتك من بعدك وهو سيد
الايام عندنا ونحن ندعوه في الآخرة يوم المزيد وعنه ص ان لله في كل جمعة ستمائة الف عتيق
من النار وفي الحديث اذا كان يوم الجمعة قعدت الملائكة على ابواب المساجد بايديهم صحف من فضة
واقلام من ذهب يكتبون الاول فالاول على مراتبهم فلما كانت الطرقات في ايام السلف وقت السحر
وبعد الفجر مغتصة بالمبكرين الى الجمعة يمشون بالسرج وقيل اول بدعة احدثت في الاسلام
ترك البكور الى الجمعة وعن ابي جعفر ع قال ما طلعت الشمس بيوم افضل من يوم الجمعة وعن
سهل بن زياد عن ابي بصير عن ابي الحسن الرضا ع قال قال رسول الله ص ان يوم الجمعة سيد الايام
يضاعف فيه الحسنات ويمحى فيه السيئات ويرفع فيه الدرجات ويستجاب فيه الدعوات ويكشف
به الكربات ويقضى فيه الحاجات العظام وهو يوم المزيد لله فيه عتقاء وطلقاء من النار ومن
مات فيه يوم الجمعة او ليلته مات شهيدا وبعث آمنا وما استخف احد بحرمته وضيع حقه الا
كان حقا على الله ان يصليه نار جهنم الا ان يتوب وفي فضله احاديث كثيرة وفي هذا كفاية

ما دعى الله فيه احد من الناس وعرف حقه وحرمته الا كان حقا على الله ان يجعله من عتقائه وطلقائه ح

مستبصر

٨٩ المستبصر الاشراق الثالث في الحكمة المتعلقة بالنداء اي الاذان اعلم انه لما كان كل واحد من الاوضاع
الشرعية مشتملا على سر الهي ونوع كاستمال الانسان المكلف بحظ لطيفة ربانية نورية الى جناب ليكون له قربة من
الحق وتعطفه الى صلوته ومناجاته ومن جملة تلك الاوضاع الاذان فشرع قبل الصلوة
لينبه ويعرض عن غير الله ويتوجه بشراشر قلبه وسره الى جناب القدس ليتأهل للمناجاة مع الحق
لان الانسان متغير عما هو عليه حالا بعد حال متعرض للانتقال عما هو له لا يحصل له قوة الثبات
على امر ولهذا كان النبي ص مع جلالة قدره وعلو شرفه يؤمر بالثبات والاستقامة وبالثبات
على الدين والطاعة فكان شرع الاذان موجبا لانتباه النفس الراقدة ليحصل لان يتاهل
النفس لذكر الله لانه معراج للمؤمن وذكر العبد لله مستلزم لذكر الله العبد كما قال تع اذكروني
اذكركم وفي الحديث القدسي من ذكرني في خلاء ذكرته في خلاء ومن ذكرني في ملاء ذكرته في
ملاء خير منه ومعلوم ان من ذكر الحق فقد جالسه لقوله تع انا جليس من ذكرني ومن جالس
من ذكره وهو ودعيه داوم جليسه وشاهده ومن شاهده فقد ادركه وهذا غاية مطلب الصديقين
ومآل حال اهل الله ومن ذكر الله تطمئن القلوب ثم الاذان مجمع صفات الجلال والاكرام ولعل الحكمة في تقديمه
الكبير فهو ابدا ان ذات الله اكبر من جميع الاشياء بل هو اكبر من ان يتنبه اليه هذا العبد فان
الكبرياء ردائه والعظمة ازاره وطبيعة السامع من استماع هذه الكلمة الرجوع الى الله ونفض ما
سوى الله هو ظله لان الوجه كله لله من حيث ذاته ومن حيث اسمائه الحسنى ومن حيث انه لا موجود
لما سواها فلما كانت الفقرة الاولى لتنبيه النفوس المشتغلة بالبدنية غالبا شرع التكرار لاثبات معنى
الالوهية الجامعة لجملة الاسماء والصفات في مرآة النفس الناطقة ثم كلمة الشهادة التي هي كالعمود

للحصل في النفس من معنى جزء الاول من التصديق الذى هو عمل القلب والجزء الاول يشير الى اثبات
الواحد الحق والثانى يشير الى نفى شريكه وقد علمت مما سبق ذلك في المقام ان الايمان بالله يجعل
للنفس استعداد القبول الفيض الالهى الموجب للقربة وان الفوز ينبغى للنفس من الفساد الدنيوية
والاخروية على ما ينبغى مما سبق من تقرير ان النور انكلمة التوحيد بمنزلة الصيقل في ازالة ظلمة
الدين والطبع عن مرآة القلب ثم عقب الكلمة الثالثة المشيرة الى الاقرار برسالته المحمدية ليحصل لهم
بذلك الحق لم اوامره ونواهيه وقد علمت الاحتياج الى وجود النبى عليه السلام بالرسالة الاشارة ومن
ان الناس صنفان صنف يستوى عندهم المعقول والمحسوس وهم الانبياء وصنف لا يتعلق
نظرهم عن عالم المحسوس وهم اكثر الخلق فلابد لهم من مرشد يرشدهم الى ما يهتدى اليه العقل بل
العقل فان للنبوة طورا وراء طور العقل لا يدرك الا بالكشف الشهودى وليس لكل عبد
ان ينال درجة النبوة بل رتبة الولاية فان جناب الحق جل من ان يكون شريعة لكل وارد او
او يطلع عليه الا واحدا بعد واحد على ان النبوة قد ختمت بنبينا محمد عليه السلام لانه في اعلى رتبة العلم
والحكمة وله الدرجة العليا في الانس وقد طلب ابرهيم الخليل عليه السلام في دعائه عن الله تعالى بعثته منه
في ذريته حيث قال تعالى حكاية عن دعائه ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلوا عليهم آياتك
ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم انك انت العزيز الحكيم ثم بعد ذكر كلمتى الشهادة دعوة الخلق
الى مناجاة الحق وطلب الوقوف بين يدى الرب سبحانه بالدعاء والصلوة الموجبة للفلاح وهو ادراك
المنية والحياة الطيبة اما في الدنيا فالسعادة التى بها يطيب حيوتهم في هذه الايام واما في العقبى فهو
بقاء بلا فناء وعز بلا ذل وعلم بلا جهل وان الذات الاخروية لهم الى ان لو كانوا على

ثم

ثم ابهم لو تم عبا بدا منه اشارة الى استغنائه عن الجميع فان الله غنى عن العالمين والامر كله
منه ابتداؤه واليه انتهاؤه واليه يرجع الامر كله وهو المقصود الاول والمرجع والرجعى كما قيل
تخرت الكلمات المقصد والغرض وغاية ما الهاربين ولا غرض من كان في مثقال قلبه خردلة
سوى جلاله فاعلم انه مرض واعلم ان سر الاذان قد علم مما سبق ويذكر فيها التكبير اجهر
الاذان لكونه اسرع الى المراد الذى هو الصلوة وفيه اشارة الى طلبه بابه الاعلام والخشوع
والتواضع لقربه من الوقوف بين يدى الله والثانية زيادة لفظ قد قامت الصلوة لانه لان
ذكر الله قديم على باطن كل نفس فيجب ان يكون الظاهر موافقا للباطن والعلانية حاكية عن السر
الاسرار فالرابع في الحكمة المتعلقة بوجوب الصلوة يوم الجمعة اعلم انه لما اقتضت الاسماء
الحسنى الالهية ظهور آثارها جميعا في المظاهر الكونية لئلا يتعطل طرف من الالوهية لم يصح
نوع الانسان الذى وجده لاجل العبادة كما اشار اليه بقوله وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون
وطبائع اكثر الناس مجبولة من العدول عن نهج الحق والانحراف من سنن العدل كما اشار اليه بقوله
وقليل من عبادى الشكور وبقوله وما اكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين وبقوله واكثرهم للحق كارهون
الى غير ذلك من الايات الكثيرة وقد عبر بهذا البيان بيانا في كثير من الاحاديث القدسية
وهو مثل قوله تعالى كلكم ضال الا من هديته فاسئلونى الهدى اهدكم وكلكم فقير الا من اغنيته
فاسئلونى ارزقكم وكلكم مذنب الا من عافيته فمن علم منكم انى ذو قدرة على المغفرة
فاستغفرنى غفرت له ولا ابالى فلو ان الناس اهملوا طبايعهم ومن كان اسيرا وخلى بينهم وبين
طبايعهم لتوغلوا في الدنيا وانهمكوا في اللذات الجسمانية وطلبوا دواعى القوى الظلمانية
لضراوتهم بها واعتيادهم من الطفولية والصبى حتى زال استعدادهم واضلوا عن رتبة

الانسانية فتحقوا وتسلوا بالبهائم والسباع كما قال الله وجعل منهم القردة والخنازير وان
حوفظوا ووعوا بالبينات الشرعية والعقلية والحكم والاداب والمواعظ الوعدية والوعيدية
ترقوا من حد البهيمية وتنورت بواطنهم بنور الملكية كما قال الشاعر هي النفس ان تهمل تلازم
خساسة وان تنبعث نحو الفضائل تلهج فلهذا وضعت العبادات وفرض عليهم ذكر الله
في الاوقات المعينة لئلا يغلبهم بقاء عدة الطبائع التي كمنت في مقامات العقلات وظلمة الشواغل
الفاضحة في ازمنة انعقاد اللذات وارتكاب الشهوات فتنور بواطنهم بنور الحضور ويتخلص
قلوبهم بالتوجه الى الحق عن السقوط في هاوية الغفلة والسهو ويستريح بروح الذكر عن حب الوحدة
عن وحشة الهوى وتفرق الكثرة كما قال الله الصلوة الى الصلوة كفارة ما بينهما من الصغائر ما اجتنب
الكبائر الا ترى كيف امرهم عند الحدث الاكبر بمباشرة الشهوة بتطهير البدن بالغسل وعند الحدث
الاصغر بالوضوء وعند الاشتغال بالاشغال الدنيوية في ساعات اليوم والليلة بالصلوات الخمس المرتبة
لكدورات ما يكون من الحجاب الحاصل في النفس منها كل باب باب ولذلك وضعوا بازاء وحشة
تفرقة الاسبوع وظلمة انفرادهم بسبب الاشتغال بالمكاسب والملاذ البدنية والملاذ الجسمانية
اجتماعهم يوما على العبادة والتوجه ليتخلصوا من وحشة التفرقة بانس الاجتماع والحضور ويحصل لهم
نور الجمعية الايمانية والمواجهة القلبية ويترفع عنهم ظلمة الاشتغال بالامور الدنيوية والاعراض
عن الحق من جهة الاعراض المحضة الشخصية فوضع اليهود في تعليم الايام اول الاسابيع لكونهم اهل
المبدء والحجاب الظاهر والنصارى ما بعد اخرها لكونهم اهل المعاد الروحاني واهل الباطن الحاجبين
عن المبدء الظاهر والمسلمين اخرها الذي هو يوم الجمعة لكونهم في اخر الزمان وهم اهل الشق الجمعية
واهل الوحدة الجمعية للكل وان جعل السبت من اخر الاسبوع على ما نقل انه السبع فالمبدا الحق

لان عالم الحس الذي اليه دعوة اليهود هو اخر العوالم بالنسبة اليه واول العوالم عالم العقل الذي اليه
دعوة النصارى والجمعة هي الجمعة التي يوم والختم هذا ما ذكره بعض اهل العرفان رحمه الله سبحانه
قولي وما باب ما ذكر ويؤكده ما استفيد من كلام بعض المحققين هو ان موسى ع لما كان
باعتبار دعوته من اهل المبدا وصاحب التنزيل كان من جانب الغرب وهو موضع افول النور
كما اشير اليه بقوله تعالى وما كنت بجانب الغربي اذ قضينا الى موسى الامر وان عيسى ع لما كان من اهل
اللقاء وصاحب التاويل كان مكانه في الشرق وهو موضع ظهور النور وطلوعه واذكر في الكتاب
مريم اذ انتبذت من اهلها مكانا شرقيا وان نبينا ص لما كان جامع التنزيل المبدا والمعاد
والبرزخ المتوسط بين الجانبين الشرقي والغربي بوجه وللبرزخ بين الدنيا والاخرة بوجه كان مكانه
متوسطا بين الشرق والغرب اما كونه جامعا المبدا والمعاد فلانه لم يزل في المبدا كنت نبيا وادم
بين الماء والطين ولكل وجهة هو موليها وليس في المعاد اذ هو شفيع يوم الحشر لقوله
ادخرت شفاعتي لاهل الكبائر من امتي واما كونه متوسطا فلان قبلة موسى ع الى الغرب من
وسط العالم وقبلة عيسى ع الى الشرق وقبلة نبينا بينهما كما قال ما بين المشرق والمغرب قبلة
واما كونه برزخا بينهما فلقوله تعالى لا شرقية ولا غربية وهذا احرام على اهل الله الاشارة الخاص في بيته
وجوب الصلوة فقال العلم الشارع ان جميع افراد الانسان لا يترقون في مدارج العقل الى مرتبة
العرفان فلا جرم سوى لهم رياضة بدنية وسياسة تكليفية تخالف اهواءهم الطبيعية وحافظ
لهم الصورة الانسانية ويحفظهم حكاية النسك العقلية فيهيئ لهم تمرنا في الاذكار والاوراد
والزمهم ترك الشان تكرير الاعداد ومعامة في الحس اعظم لتربط بظاهر الانسان ويمنعهم
عن التشبه بسائر انواع الحيوان واقر بهذا الهيكل الظاهر على كل ما انه عاقل ان يصلوا كما يصلون
فهاهنا ولو في ان يصلوا كصلوتنا فمن الذي يصلي مثل صلوته لانه كان يصلي ويسجد اذ ركع

من ورا وكان في صلوته يرى من خلفه فقد ظهر ان في صلوة القلب بمثابة كثيرة لا يخفى على اللبيب
الغافل ولا يفي بها لسان الجاهل الغافل وهذا المعنى من الصلوة قد كانت واجبة على الامم السابقة
على اعتدادهم حتى عدد صلوتنا المعهود جميعها وكانوا مكلفين باعمال جسمانية كثيرة الثقيلة
الجسمانية عليهم وظهر آثار الملكوتية فيهم شريعتنا المحمدية على الشارع بها وآله افضل الصلوة والتحية
اول تخلفنا والترغيب لصفاء الفواعل وطهارة القلوب ورفع الحجاب في اشتراط الانفلاع بغير
بالشريعة السهلة السمحاء الاشراق السادس في لمية وجوب الصلوتين الجسمانية والروحانية ان الله
قد بعث النبيين معلمين بالكتاب والحكمة واصحاب الشريعة والملاحم المقيمين العدل والقسط لقوله تعالى
وانزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط فوضعوا للناس النواميس الالهية ليخرجهم عن
حيث عالم برزخ الظلمات ويبلغهم الى اوج العالم النوراني ليتخرطوا في سلك الملائكة المقربين
ويتفقوا في جوار القدس مع النبيين والصديقين بجهة من الله وفضل ونعمة منه ولما كان الغرض
كل منهم باذن الله لا منتخب ما اعطته العناية الالهية واقتضته الرحمة الازلية فبذلك الوضع والدوام
من الاعمال القلبية والبدنية ما يكمل به قوتا ام العلمية والعملية بحسب طاقتهم ولما كانت الحكمة المحمدية على
منشيها وآله افضل المحامد العلية حكمة فرقية لانه الكامل في هذا النوع الانساني بل هو الكل الحكم
علويها وسفليها روحانيها وجسمانيها وكان تاثير قوة نبوته في تكميل نوع الانسان ابلغ واتم
كلامه اعم وحكمته احكم وكتابه وشريعته ابلغ وامته كانت خير الامم واعلاها واشرف الفرق واكملها
كما قال كنتم خير امة اخرجت للناس واليه اشار بقوله علماء امتي كانبياء بني اسرائيل خص الحكم بوجوب
بوجوب حقيقة الصلوة والفكر الذكر القلبي والمعرفة الالهية التي هي روح الصلوة كما وجب
عليهم صورة الصلوة الخمس المكتوبة وامروا بالمواظبة عليها والمحافظة لها وتكريرها في كل يوم
بهيئة مخصوصة مشتملة على سر الهي في اوقات معينة وهي ذكر الله ورفع الحجاب والحق ومناجاة

معه وروح الصلوة اشد وجوبا على بواطن العقلاء الكاملين من صورتها على ظواهر سائر الناس
وقد قال سبحانه ومن اعرض عن ذكري فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيمة اعمى الاشراق السابع
في تحقيق القول من سبيل اخر فيه بان لك ان في الانسان شيئا من العالم الاسفل وشيئا من عالم
الاعلى واعني بالعالم الاسفل الدنيا وما فيها واعني بالعالم الاعلى الآخرة وما فيها فالنفس كل
على ان غاية الاعمال الدينية تطهير القلب بالحق فالنفس متعلق بالدنيا والقلب متعلق بالآخرة فكما
ان مقصود الشارع من طهارة الثوب وهو القشر الخارج ثم من طهارة البدن وهو القشر القريب
انما هو طهارة القلب وهو اللب الباطن وطهارة القلب عن نجاسات الاخلاق الذميمة كالكفر والحقد
والبخل والاسراف وغيرها فكذلك مقصود الشارع من صورة كل عبادة هو الاثر الحاصل منه في القلب
ولا يبعد ان يكون الاعمال الجوارح اثار في تنوير القلب واصلاحه كما لا يبعد ان يكون الطهارة
الظاهرية بانبعاث اشراق نورها على القلب فلذلك اذا اسبغت الوضوء واستشعرت نظافة ظاهرك
صادفت في القلب انشراحا وصفاء لا تصادفه قبله فكيف وادراك النظافة بوجب حصول صورتها
في القلب وهذا ضرب من الوجوه تفعل الطهارة او وجب حصولها في القلب ولو بوجه ضعيف
وذلك لسر العلاقة بين عالم الشهادة وعالم الغيب فان ظاهر البدن من عالم الشهادة والقلب من عالم
الملكوت وعالم الغيب باصل فطرته وانما يكون هبوطه الى هذا القالب كالغريب عن موطنه الاصلي
ونزله الى الارض عالم الشهادة عن الجنة التي هي موطنه وموطن ابيه المقدس لجناية صدرت
اولا من ابيه وكما انحدرت من عادات القلب اثار الى البدن فلذلك يرتفع من احوال الجوارح انوار الى
القلب ولذلك امر بالصلوة مع انها حركات الجوارح وهي من عالم الشهادة وبهذا الوجه جعلها رسول
من الدنيا فقال حبب الي من دنياكم ثلث الحديث وعد الصلوة من جملتها ومن هنا فلا تحسبن شيئا
ليس من روح اسرار الطهارة ايضا فانك يجب لا تصادف بعد الطهارة واسباغ الوضوء
شيئا من الصفاء الذي وصفناه فاعلم ان الخبث الذي عرض على قلبك من كدورة شغل الدنيا

ومشوشها امتنع كمال الحس قلبك فصار لا يحس باللطايف والاشياء الخفية اللطيفة كما كره الناس
فاشتغل بمجاهدة قلبك فلذلك وجب عليك من كل ما اشتغل به فاذا تقرر هذا عندك وعلمت هذا
التقسيم منها وفي جميع العبادات وانفتح لبيت الك وتاكد عندك ما قدمناه اليك ان الصلوة
منقسمة الى ما هو جسماني والى حقيقي روحاني فاعلم ان نفوس الانسان تتفاوت بحسب
القوى والارواح والدواعي المركبة فيها فمن غلب عليه الروح الطبيعي والحيواني فانه اشتغل البدن
بجسب نظافته وترتيبه واكله وشربه ولبسه وطالب لجذب منفعته ودفع مضرته وهذا الطالب
من هذه الحيوانات وفي زمرة البهايم فاياه مستغرقة باهتمام بدنه واوقات عمره موقوفة على مصالح
جسده وتخصيبه فهو غافل عن الحق جاهل بامره ولا يحصل له النهوض بهذا الامر الشرعي الذي هو
الواجب وان تغدّ عنه فبالسياسات والزواجر يكره عليه ويحجز حتى لا يفوت عنه بالكلية
حال الشرع والاتيان الى الله تعالى لينفض عليه بجوده وينجيه من عذاب جحوده ويخلصه من نار
بدنه ويوصله الى ما هي امله فانه لو انقطع عنه قبل احراز ما ندب اليه كثيرة وكان ادنى
درجة من البهايم واضل سبيلا من الانعام ومن غلب عليه قواه الروحانية وتسلط على قواه
ونفسه الناطقة وتجرد عن محبة الدنيا وعلا بنور العالم الاعلى فهذا الامر الحقيقي والتعبد والاتحاد
وذكر الله بالقلب ومناجاته وقربانه واجب عليه اشد وجوبا واقوى لزوما كما قيل الحكمة
اشد تحكما على باطن العاقل من السيف على ظاهر الاحمق لانه اشتغل بطهارة نفسه وتشرفه
عقله ليفيض عليه ربه فلو اقبل عليه عشقه واجتهد في تعبده لشارع اليه جميع الخيرات العلوية
والسعادات الاخروية حتى اذا انفصل عن جسمه وفارق الدنيا يدخل عليه الملائكة من كل باب
ويشاهد مقصده وموجده ويكلمه رب الارباب بلا حجاب وحضرته وملكه عباده تم

ومجاوريه وهم سكان عالم الملكوت وقطان عالم الجبروت الاشراق الثامن في سر الصلوة
وروحها فيقبل الصلوة الكاملة بالانسان الكامل من جهة اشتمالها على ظاهر جسماني
وباطن روحاني اعلم ان الصلوة عبارة عن تشبه للنفس الانسانية بالاشخاص الملكية
فانه تشابهه الانسان حين اشتغل بالصلوة الكاملة بتلك الاجرام الكريمة بارواحها الملكية
لان تعبدها الدايم في ركوعها وسجودها وقيامها وقعودها طلبا للثواب السرمدي وتقربا
الى المعبود الصمد ولذلك قال الصلوة معراج المؤمن وقال الصلوة عماد الدين وفضل الله من
تصفية الروح عن الكدورات الشيطانية والهواجس النفسانية والصلوة هي التعبد للعلة الاولى
والمعبود الاعظم والخير الاعلى والتعبد في الحقيقة معرفة الحق جل مجده والعلم به وبالمعرفة التي
تنشاء القلب الغني والنفس الناطقة فروح الصلوة التي هي عماد الدين هو العلم بوحدانية الله ووجوب
وجوده وتنزه ذاته وتقدس صفاته واحكام آياته ومعرفة امره وخلقه وقضائه وقدره
وعنايته وحكمته وارادته وعلمه وبعثه ورسله وكتبه وملائكته وكرام الكاتبين
وكتبه ورسله واليوم الاخر الحق لمعاد عباده اليه ورجوع الخلائق لديه ومثول الارواح
والنفوس بين يديه مع الاخلاص لمقام العبودية واعني بالاخلاص ان يعبد الله بلا اشراك
احد وان يعلم ذاته وصفاته بحيث لا يبقى الكثرة فيه شرعا ولا القضاوة منه على من فعل هذا
فقد اخلص وصلى بما امر واعتقد ومن لم يفعل هكذا فقد افترى وعصى والله تعالى اعلم ذلك
واعلم ثم انك ان لم تفرح سمعك ان الموجودات العالم الطبيعي والنشاة الدنيوية تنوير

٩٣

مثوبة وحقيقة الإنسان من جملتها لها ظاهر جلي وباطن خفي ولها صورة مشهودة وحقيقة مستورة
فهو منقسم إلى ظاهر متغير وباطن ثابت هو قلبه وسره فالصلوة التي هي أشرف أعماله منقسمة إلى ظاهر
خلقي وهو الرياضة المتعلقة بالظاهر وباطن أمري وهو المحقق المتمم به الباطن والأول يجري
مجرى السياسات البدنية والرياضات للقوى والأدوات للصورة بربط نظام الجمعية
البدنية ومعالم الشريعة المصلحة لإصلاح الخلق بحسب ما لهم على وجه نوعي إلى كمالهم وإصلاح
بالهم لسلامة مآلهم وكلاهما واجبان شرعا وعقلا أما الأولى فلأنه كلفه الشارع بالغا ما في
بدنه بما يختص به ويقتضيه من التضرع والخشوع إلى الجهة العالية شرعا وعقلا ليفارق البهائم
بهذه الهيئة الشرعية فإن البهائم متروكة عن الخطاب سالمة عن الحساب بل العذاب فأما الإنسان
فإنه مخاطب ومحاسب مثاب ومعاقب إذ يجب عليه امتثال الأوامر الشرعية والعقلية والاجتناب
عن المناهي الشرعية والعقلية فلما رأى الشارع الحكيم أن العقل اللطيف بمعرفة الله أكرم عند الله
ألزم النفس بالصلوة الحقيقية الجزئية وهي عرفان الله وملكوته وكلفه على بدنه الصلوة الجسمانية
أثرا على تلك الصلوة وعنوانا لها لكون قوى العملية تابعة لقوى الإدراكية ثم لا بد أن أحدهما في
نظيرها ما ذكرنا من مطالعة البصر للأرقام الهندسية عند مطالعة العقل براهينها الكلية وكذا الحال كانت
الخيالية والبدنية عند الخوض في العلوم الدقيقة وأشباهها وذلك لعلاقة شديدة بين النفس
والبدن فإذا كان حركات القالب محاكية لما بضمير القلب يكون أعمال القلب أكثر وأصفى
عن الكدرة فلذلك أوجب الشارع صورة الصلوة على الإنسان تتميما للصلوة الحقيقية ما دام في الدنيا
كما أثبت عليه هذا الوجود الجسدي ما دام في الدنيا وقاية لبصيرته وحفظا وأساسا لأعمال

وبهذه

٩٤

والفساد إلى الحسن بلوغه العقل ووصوله إلى عالم المعاد فركب أعلاه هذا القلب الجسماني في نظم
أركانه على أبلغ نظام في أحسن صورة وأتم هيئة لتشابك الأشباح الأرواح في القلب وأن لم يكن بينهما
في المرتبة والتوحد تباين في الكثرة وإن لم يتوقف في الدوام ولا الاتصال لا اشتياق التابع إلى
متبوعه وجب هذا القلب الروحاني هذه الصلوة فلا تجب على سيدنا محمد في ليلة معراجه إلى العالم
العلوي وتجرده من بدنه وتنزهه من شواغله ولم يتوقعه من آثار الحيوانية شهوة وكلام من لوازم الطبيعة
قوة وكلام الروح على النفسانية بغية فلم يجيبه ربه بقبله وسمعه فقال لما رجع عنه وجدت لذة
غريبة في الليلة هذه فأعطى هديتي وصبر على طريقنا نوصلني كل وقت إلى الحضرة مرة الله
بالصلوة فقال يا محمد إذا صلى المناجي ربه ولا يخفى على المتأمل العاقل أن مناجاة الله لا يكون بالأعضاء
الجسمانية ولا بالألسن الحسية لأن هذه الكالمة لا تصلح إلا لمن يحيط به مكان وتعتريه حركة وزمان
أما الواحد المقدس الذي لا يحيط به مكان ولا يعتريه زمان تعالى عن أن يدركه حس لعدم أينيته والجهة
من الجهات ولا يختلف حكمه في صفة من الصفات ولا يتغير في وقت من الأوقات فكيف تناجيه
الإنسان بالشكل المجسم المحدود بحجبه وقوله وفعله وحسه وكيف يناجي في هذا العالم المركب
المحجوب من لا يعرف حدود جهاته ولا يحجب بصفاته فإن الموجود المطلق عن عالم الحس
والمحسوسات بل المرتفع عن المعقول المقدس إذ غائب عن الحواس غير شاهد له الإحساس
ولا يدرك بالآلات ومن عادة الجسم والجسماني لا يناجي ولا يجالس إلا من يراه بالبصر ويحس
بالحس ويدركه الجرم الحسي وإذا لم ينظر إليه عده غائبا فيكون نفسه عن المشاعر حجابا
فمن كان محجوبا عن هذا الباب يصير ساعيا من طرف هذا النفي والإثبات جميعا وعن المحلة والحلية

رغبا فلطخانة باحدى الطلوع والالات احمل الحالات ولغش الخرافات الموهومات فاذن
قول المصلى المناجي ربه محمول على عرفان النفوس العارفة العالمة الجود منزهة عن جهات الجسم والمكان
محلوة من الحركة والزمان فهم يشاهدون الحق مشاهدة عقلية ويبصرونه لا ابصيرة نورية و
ويسمعون كلامه سماعا روحانيا تفريع فينبغي ان الصلوة الحقيقية التي تنهى عن فحشاء
القوة الشهوية البهيمية ومنكر القوة الغضبية السبعية وبغي القوة الوهمية الابليسية هي المعارف
الربانية والمشاهدة الالهية والكالمة العقلية وهي التوجه بالنفس الناطقة نحو الاله الحق والموجود
المطلق والاصطحاب العلوم الطاهرة من هذه خطنا وحق وان لم تفعل من نزل البهائم فلا دواء الفعل
من درجة العوام والانعام ليراد للمصلين شيخهم وليزداد نصيب كامل من هذه الحال الخرو لهم قرة
عين في الصلوة وهي كما حفظ اكمل فتوابه اجزل فالاقوى بنا ان سلوك طريق التعبد والمداومة
على الصلوة ولينه بمناجات ربه لا يتخصه ونطقه لا بقول له وبصره لا ابيره وحبه لا يحبه
واما الجاهل المغرور فطلب ربه بشخصه وجسمه ويطمع في رؤيته بعينه وكذا العالم المكون المشوف
بما غشوه من القشور الطالب في مناجاته للذات عالم النعد المتوجه المحصل للذة فالحاء عند
اصحاب المتقين ممن تابع الهوى واتبع الشيطان محروم عن الحق والهدى محروم الله عليه لذة
مناجاته كما ورد في اخبار داود على نبينا وعليه السلام ان ادنى ما اصنع بالعالم اذا اثر شهوته
على محبتي ان احرمه طيب لذيذ مناجاتي وقال مالك بن دينار قرأت في بعض الكتب ان الله عز وجل يقول
ان اهون ما اصنع بالعالم اذا احب الدنيا ان اخرج حلاوة مناجاتي من قلبه فلعل لحمه لدنو فاعلم
من نور الاثر فالفاتة في سر الاسبوع ولمجة وضع اياتها اعلم ان كل وضع من الاوضاع ان لم يطلع

على سر العقول البشرية فلا تبقى ادراكه لبه وبيه من طور احر وراء طور العقل المشوب بالوهم
وذلك لاتساع التخصيص من غير مختص كحروف التهجي وايام الاسبوع فما ثبت للعقول الكشفية
من اصحاب الذوق والعرفان انها وصف باء الايام الالهية التي هي مدة عمر الدنيا وهي سبعة الاف
كما هو المشهور بين الجمهور على عدد اعداد الكواكب السبعة السيارة التي مدة دورة كل منها الف
الف سنة وقد روي عن رسول الله انه قال عمر الدنيا سبعة الاف سنة بعثت في اخرها الف
وقال لا تجتمع على هذه الامة الى يوم القيمة وهو يوم العرض الاكبر ويوم العرض الثاني كما ان
يوم الميثاق يوم العرض الاول كما اشار اليه بقوله واذ اخذ ربك من بني ادم من ظهورهم
ذريتهم واشهدهم على انفسهم الست بربكم قالوا بلى شهدنا ان تقولوا يوم القيمة انا كنا عن هذا
غافلين وبين اليومين مدة ايام سبعة كل يوم كالف سنة مما تعدون فكان الدنيا كمدينة جامعة
ومصر جامع فيها من كل الخلائق والرجال والنسوان والمشايخ والصبيان فمنهم اخيار واشرار
وصلحاء وفجار وعلماء وجهال مختلفة الطبايع والاحوال والاخلاق والالات والاعمال كما ان
في عالم الكبير نفوس كثيرة بسيطة ونفوس جزوية مختلفة الحالات فمنها نفوس علامة خيرة فاضلة
ومنها نفوس مدركة شريرة وهمية ومنها نفوس جاهلة شريرة ومنها جاهلة غير شريرة ولا
فالاولى اجناس الملائكة وصالح المؤمنين والعلماء الربانيون والثانية مردة الشياطين وكفرة الجن
والانس والفلاسفة والمجادلون والثالثة نفوس السباع الضارية والجهال الاشرار من الناس والرابعة
انفس الحيوانات السليمة كالغنم والحمام ونحوهما والنفوس الساذجة من الانسان وكما ان للمدينة الجامعة
مساجد وبيع وصلوات واهل الدين فيها مجالس وجماعات واعياد وجمعات وعبادات وكذا
فكذلك في فضاء الملكوت وارض القيامة وعرصة الجنان وسقف العرش والسموات جمع من الملائكة

٩٥ فاصلح الانبياء والاولياء ولهم تسبيحات ودعوات مستجابات كما ذكر الله تعالى بقوله يسبحون الليل
والنهار لا يفترون وقال تعالى وترى الملائكة حافين من حول العرش يسبحون بحمد ربهم الاية وكما ان لاهل المدينة
فيها جواسيس وعطاير فيها تراجم واعوان فهكذا في العالم الكبير النفوس الشريرة جهنم وشياطين وزبانية
وهاوية عليها زبانية ومالك وغضبان وكما ان تلك المدينة فيها لاهلها اسباب واعمال والصناع
والعمال الجزئية وارزاق وفيها اسواق ومنها اذان صيحة الموذن بموازين ومكاييل ولهم مظالم وخصومات
ودعاوى ولهم فيها قضاة وعدول ولهم فصل وحكام وفصول وداد من سنة القضاة فالحكام البروز
والجلوس لفصل القضاء في كل سبعة ايام يوم واحد فهكذا يجري حكم الله وحكم النفوس الكلية يوم القيمة
ويوم العرض الاكبر ففي كل سبعة ايام يوم واحد وضع لعرض النفوس الجزئية لذوي النفوس الكلية لتفصل
القضاء بينهم لقوله تعالى واشرقت الارض بنور ربها ووضع الكتاب وجيء بالنبيين والشهداء وقضي
بينهم بالقسط بالحق وهم لا يظلمون ووفيت كل نفس ما عملت وهو اعلم بما يفعلون وقوله فلا تظلم نفس
شيئا وان كان مثقال حبة من خردل اتينا بها وكفى بنا حاسبين الاية ولما كان هو قيمة يوم
الجمعة اعلم ان اليوم السابع من الايام الستة الاسبوعية الذي وقع فيه ظهور النور التوحيدي في المظهر
المحمدي الحق واكمال الدين ولما ارتقاء النفوس الى المبدا الذي هبطت منه وقطع النفوس درجة الى
غايتها الاصلية هو يوم الجمعة وهو اخر يوم من ايام الدنيا جمعه واول يوم من ايام الاخرة يوم قيام
الساعة فيه والظهور التام للحق ووضع القيمة الكبرى وعند ذلك يظهر فيه الحق للخلق وليعث النشور
والحساب وفيه يتميز من عمر اثناه اهل الجنة واهل النار وفيه يرى رسول الله بارزا كما حكى في
حديث حارثة الانصاري رضي الله عنه عن شهوده وقدم في تفسير سورة الحديد وقوله وخلق السموات
في الارض في ستة ايام ثم ان الايام الستة الماضية هي مدة احتجاب الحق بالخلق لان الخلق حجاب على وجه

الحق

عجلدم

٩٥ الحق فيخفى خلقهم احتجبهم ونعطيهم فاذاك لوجه حتى ان فناء الدنيا وعالم الطبيعة فرجعه ونهايتها
وتغيرها ووجودها بعد عدمها وزوالها واليوم السابع هو يوم الجمعة وفيه كان استوى الرحمن
على العرش بالظهور في جميع الصفات وابتداء يوم القيمة الذي صلح لمجيء بعثة نبينا فالمهدي فيبعث
اهل الجمعة ومحمد صاحبها وخاتم النبيين وبها كمال الدين لقوله تعالى اليوم اكملت لكم دينكم الاية ثم
اتفق اهل الملل كلها من اليهود وغيرهم ان الله تعالى فرغ من خلق السموات والارض في اليوم السابع
الا ان اليهود قالوا انه السبت وابتدا الخلق من يوم الاحد وعلى التاويل الذي ... الا انا وجدنا ان
هو يوم الجمعة وكون الاحد ابتدا الخلق باول ابان لحدوثه الذاتية ومن هنا الكثرة وان جعلنا الاحد
اول الايام وبعث ابتدا الخلق كان جميع بعد النبوة ودور الخلفاء في السادس ابتدا ولا بد في
الخلوص كما ذكر انه يوم خلق ادم ابي البشر ويوم الساعة ويوم المزيد ويوم دخل الجنة وسيد الايام
كما ذكر في الاحاديث المروية في فضل يوم الجمعة حتى ينتهي الى تمام الظهور وانتفاء الخفاء حتى اخر
عند خروج المهدي ويتم الظهور في السابع الذي هو السبت كمال المكان فهذا اليوم اي الجمعة
موضوعا بازاء الخفي المذكور يندب الناس فيه الى الفراغ من الاشغال الدنيوية التي هي حجب كلها
والحضور والاجتماع في الصلوة واوجب السعي الى ذكر الله وترك البيع والسعي في الدنيا لكن لما كان في
النفوس بقية الاجتماع فصار الحضور لمعد الحصول الحضور في الجمع بالصلوة الحقيقية والعبادة الجامعة
على ان يتذكر لحاظهم بالفراغ عن الاشغال الدنيوية التجرد عن الحجب الخلقية بالسعي الى ذكر الله
السلوك في طريق الوصول اليه بالصلوة مع الاجتماع الوصول الحضرة الجمع فقال ذلكم خير لكم ان كنتم
تعلمون اي سر ذلك وحقيقة الاشراق التي عرفتها قبل في قوله تعالى الى ذكر الله قال المفسرون اي الى
الخطبة والصلوة ولتسمية الخطبة ذكرا ذهب ابو حنيفة واتباعه الى انه ان اقتصر الخطيب على مقدار ما يسمى

ذكر الله كقول الحمد لله سبحان الله لكفى وقيل ان عثمان صعد المنبر فقال الحمد لله وارتج عليه فقال
ان ابا بكر وعمر كانا يعدان لهذا المقام مقالا وانكم الى امام فعّال احوج منكم الى امام قوّال
وستأتيكم الخطبة ثم نزل وكان ذلك بحضور الصحابة فلم يعب عليه وعند الشافعي لا بد فيه
لابد من كلام يسمى خطبة وعند فقهائنا الامامية رضوان الله عليهم اجمعين يجب الخطبتان
ويجب في كل منهما الحمد لله بما هو اهله والصلوة على النبي وآله عليهم السلام والوعظ وقراءة سورة
خفيفة وقيل يجزي ولو آية واحدة تامة يتم فائدتها وفي رواية سماعة يحمد الله ويثني عليه
ثم يوصي بتقوى الله ويقرأ سورة خفيفة من القرآن ثم يجلس ثم يقوم ثم يحمد الله ويثني عليه
ويصلي على النبي وآله وعلى ائمة المسلمين ويستغفر للمؤمنين والمؤمنات فان سئل كيف
يفسر ذكر الله بالخطبة وفيها ذكر غير الله اجيب بان ما كان من ذكر رسول الله والثناء عليه
وعلى ائمة المسلمين واهل بيته والدعاء للمؤمنين والموعظة والتذكير فهو في حكم ذكر الله
واما ما عدا ذلك من ذكر الظلمة والقابهم والثناء عليهم والدعاء لهم وهم احقاء بعكس ذلك
فمن ذكر الشيطان نعوذ بالله من غربة الاسلام وهكذا الامر الثالث في قوله تعالى
وذروا البيع ذلكم خير لكم اي دعوا المبايعة قال الحسن كل بيع تفوت فيه الصلوة يوم الجمعة
فانه بيع حرام لا يجوز وهذا هو الذي يقتضيه ظاهر الآية لان النهي يدل على فساد المنهي عنه
مطلقا عبادة كان او غيرها ولكن فقهاؤنا الامامية رضوان الله عليهم على ان البيع حرام
الا انه غير فاسد بل منعقد لان النهي في العبادات وان كان مستلزما للفساد لاستحالة
الجمع بين المامور به والمنهي عنه ولكن في غيرها غير مستلزم له وقيل ان النهي فيها ايضا
غير مستلزم للفساد الا ان يكون النهي منافيا لها او لبعض اركانها كالصلوة في الدار

المغصوبة

المغصوبة لان خروج المكلف عنها مامور به والقيام منهي عنه وهو ركن في الصلوة والحركة
والسكون متنافيان فلا يكونان مامورا بهما معا وكيف يكونان مامورا بهما حتى يلزم ان
يكون قيام واحد مامورا به ومنهيا عنه وهو محال لان الامر بالشيء مستلزم للنهي عن ضده
العام بل الخاص على رأي وتنقيح هذه المسئلة موكول الى علم اصول الفقه فليطلب من هناك
الامر الرابع ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون اي ما امرتم به من حضور الجمعة واستماع الذكر واداء
الفريضة وترك البيع انفع لكم عاقبة ان كنتم عالمين بمنافع الامور ومضارها ومصالح انفسكم
وارواحكم ومفاسدها وفيه دليل على ان هذا الامر في العبادات على العلم الصحيح والاثبات
لما فات وقيل معناه اعلموا ذلك عن الجاني وفي هذه الآية دلالة على وجوب الجمعة وتحريم جميع التصرفات
عند سماع اذان الجمعة والبيع انما خص بالنهي عنه لكونه اعم التصرفات في اسباب المعاش وفي
الكشاف لان يوم الجمعة يوم يهبط الناس من قراهم وبواديهم وينصبون الى المصر من كل اوب ووقت
سوقهم واجتماعهم واغتصاص الاسواق بهم اذا انتفخ النهار وتعالى الضحى ودنى
وقت الظهيرة وحينئذ تحر التجارة ويتكاثر البيع والشراء فقيل لهم بادروا تجارة الآخرة
واتركوا تجارة الدنيا واسعوا الى ذكر الله الذي لا شيء انفع منه واربح وذروا البيع الذي
نفعه يسير وربحه مقارب وتمايل على غير سوق الدنيا عن حضور الجمعة عند النداء
ان الله سماه خيرا وترك الخير الكثير من التجارة لاجل النفع الحقير وان كان الخير حلالا والكرامة
حرام عقلا فيكون حراما شرعا كما هو عند اصحابنا القائلين بالحسن والقبح العقليين تفريع
في هذه الآية دلالة على امور الاول ان الخطاب للاحرار لان العبد لا يملك البيع الثاني اختصاص الجمعة
بمكان معين لذلك اوجب السعي اليه الثالث اختصاص وجوبها على من يعقبه على الحكم والنهي
فخرج من المكلفين اصحاب الاعذار من السفر والمرض والعمى والعرج او يكون رأيه او يبيعها الا الآخر

اوصيدا او يكون على راس اكثر من فرسخين من الجامع عند حصول هذه الشروط ونفي الاعذار
لا يجب الا بحضور السلطان العادل او من نصبه للصلوة والعدد تكامل عند اكثر فقهاء اهل
البيت عليهم السلام خمسة لصحيحة منصور بن حازم عن ابي عبد الله عليه السلام قال يجمع القوم
يوم الجمعة اذا كانوا خمسة فما زادوا فان كانوا اقل من خمسة فلا جمعة لهم وفي بعض الروايات
وقيل سبعة لما رواه محمد بن مسلم عن ابي جعفر قال تجب الجمعة على سبعة نفر من المسلمين ولا تجب
على اقل منهم الامام وقاضيه والمدعي حقا والمدعى عليه الحق والشاهدان والذي يضرب الحدود
بين يدي الامام وعند ابي حنيفة والثوري تتكامل العدد بثلثة سوى الامام وعند الشافعي
ينعقد باربعين رجلا احرارا بالغين مقيمين وعند ابي يوسف ينعقد باثنين سوى الامام ومحمد
الحسن وداود ينعقد بواحد مع الامام كسائر الجماعات ولاصحاب الكتاب عند ابي حنيفة لا ينعقد
الا بمصر جامع لما روي عنه لا جمعة ولا تشريق ولا اضحى الا في مصر جامع والمصر الجامع ما
اقيمت فيه الحدود ونفذت فيه الاحكام ومن شرطها الامام او من يقوم مقامه لقوله عليه السلام
فمن تركها وله امام عادل الحديث ولقوله ع اربع الى الولاة الفيء والصدقات والحدود والجمعة
فان لم يحصل بغير اذن الامام ومن ولاه من قاض او صاحب شرطة لم يجز فان لم يمكن الاستيذان
فاجتمعوا على واحد فصلى بهم جاز وهي ينعقد بثلثة سوى الامام اثنين والاختلاف بين
الفقهاء في مسائل الجمعة كثير موضع بيانه كتب الفقه المطلع الثالث في قوله سبحانه فاذا قضيت الصلوة
فانتشروا في الارض وابتغوا من فضل الله وفيه اشارات الاولى في الاثر تعالى بما قيل فيه قبل
ان الانتشار في الارض ليس لطلب دنيا ولكن لعيادة مريض وحضور جنازة وزيارة
اخ في الله وقال الحسن وسعيد بن جبير ومكحول المراد من الابتغاء من فضل الله طلب العلم وعن
عن ابي عبد الله ع انه قال الصلوة يوم الجمعة والانتشار يوم السبت وروى عمر بن يزيد

عن ابي عبد الله عليه السلام انه قال اني لاركب في الحاجة التي كفانيها الله ما اركب فيها الا التماس
ان يراني الله اضحى في طلب الحلال اما تسمع قول الله عز وجل فاذا قضيت الصلوة فانتشروا في الارض
وابتغوا من فضل الله ارايت لو ان رجلا دخل بيتا وطين عليه بابه ثم قال رزقي ينزل علي
كان يكون هذا اما انه احد الثلثة الذين لا يستجاب لهم قال قلت من هؤلاء الثلثة قال رجل يكون
عنده المراة فيدعو عليها فلا يستجاب له لان امرها بيده والرجل يكون عنده الشيء فيجلس في
بيته فلا ينتشر ولا يطلب ولا يلتمس حتى ياكله ثم يدعو فلا يستجاب له وعن بعض السلف انه
كان يشغل نفسه بعد الجمعة بشيء من امور الدنيا نظرا الى هذه الاية الاشراق الثاني في الاشارة
الى ان المخاطب الامر بالانتشار في الارض وابتغاء الفضل بعد قضاء الصلوة اشارة الى الرجوع
والمباشرة مع الخلق بالارشاد والتعليم والانتشار [illegible] بين الخلائق ونشر الفضائل في اراضي
قلوب المستعدين واقامة الصور الكمالية على وجوه قابلياتهم بعد العزلة عنهم والانزعاج
والتوحش عن صحبتهم والتخلي مع الله والوقوف بين يديه بالصلوة الحقيقية فان السالك
في اوائل سلوكه وانقطاعه عن الخلق الى الحق يجعل الهم من الحقيقة واهم الوصول فاما لم
استغرق في الحق واشتغاله بعين كل شيء وسيره فيه ووقوفه مع الجمع فيكون ابتهم محجوبا بالخلق عن
الحق بل بالذات عن الصفات ولما سعد بالجانبين وانشرح صدره للطرفين فالانتشار في الارض
هو السياحة في ارض الحقائق وابتغاء [illegible] الخلائق بالجهة الالهية الثانية من جهة الذات ومحجة
الصفات [illegible] يرى ذاته ثم يرى الصفات وصفاته في مظاهر الاسماء فيقول لسان
حاله ومقاله ما رايت شيئا الا ورايت الله فيه ومعه محجبة للخلائق بحجبة حالاتهم ويبتغي
من فضل الله بطلب حظوظ التجليات الصفاتية والاسمائية ويرجع من مقام الفناء الى ارض
النفس لتوفية حظوظها الجزوية ويبسط من جهة المعارف الالهية الخاتم البديه لتوفية حظوظ النفس

النفس المطمئنة بمنزلة زوجة العقل في جنة الصفات هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها
زوجها ليسكن إليها كما أن حواء زوجة آدم في جنة الأفعال سكن إليها ودخل الجنة كذلك
الرجال البالغون لهم أن يتصرفوا في الدنيا وزينتها والشهوات النفسانية ولا تغويها عند
بلوغهم سن المعرفة والتفقه الحقيقي مرتبة لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله بقوة ربانية
لا بشهوة حيوانية ولذة نفسانية بل عملهم كل أمر منهم ويكون لهم ذلك عونا في العبودية
وعونا في سلوك طريق الربوبية كما في الآية قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق
الطلع الكاملة في قوله سبحانه واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون وقيل إشارة إلى الكامل تمام عبادته
وصيام بالكمال التكلف حتى لا تلهيهم شيء من تجارة ولا بيع ولا أكل ولا شرب ولا غيرها عن معرفته
وعبوديته ولا يكون همهم مصروفة عن التوجه إلى عالم الربوبية ونفوسهم مستغرقة في طلب
الأغراض الحيوانية لأن فلاحهم في الخلاص عن النشأة السافلة الدنيوية وفوزهم بالوصول إلى الأعلى
إلى النشأة العالية الأخروية ولذلك قيل معناه اذكروا الله في تجاراتكم وأسواقكم كما روي
عن النبي ع أنه قال من ذكر الله في السوق مخلصا عند غفلة الناس وشغلهم بما فيه كتب له ألف
حسنة ويغفر له يوم القيامة مغفرة لم تخطر على قلب بشر واعلم أن المداومة على ذكر الله تعالى ودوام
اسمه توجب مصالح ولهذا قيل العبادة باعثة المحبة والمحبة باعثة الرؤية وعن أبي عبد الله ع
أن العبد في رهبة المخلوق فلو خلص نيته لله لأتاه الذي يريد في أسرع من ذلك ومن
علامة المحبة ذكر المحبوب من أحب شيئا أكثر ذكره وقيل الدوام الذي هو هنا الفكر لأنه فكر ساعة
خير من عبادة ستين وروي سبعين سنة وذلك ينبغي أن يكون حصا فإن الفكر في الحقيقة هو
الذكر الحقيقي العقلي لأن حقيقة الإنسان وروحه هو باطنه وسره لا بدنه وهيكله المحسوس فالذكر

الحقيقي

الحقيقي ما يقع من الإنسان بقلبه وإحضار صورة المذكور في باله ولهذا ورد في الحديث القدسي
أنا جليس من ذكرني والله سبحانه أجل وأرفع من أن يكون جليس البدن خاصة لعلوه وتقدسه مع
تجرده وتقدسه بل الحضور في قلب العارف ويقع عليه نوره واعلم أني لا أظن أحدا من الناس
أوفى بعهد الله وعمل بمقتضى هذه الوصية في باب الذكر ذكر الله والمداومة عليها إلا
الحقيقة الحكماء العارفين بالله لأنهم هم الذاكرون الله كثيرا وهم الذين يذكرون الله قياما وقعودا
وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السماوات والأرض وهم كالمشغوفين بهذا الأمر والذين آمنوا
أشد حبا لله وذلك لأن كل أحد سواهم له دوام شغل بغير الله ولما يه وافتخارهم بيصنا بعضهم الغالب والعلمي
مثلا النحوي أكثر اهتمامه بحفظ قوانين النحو لأنه الغالب على طبعه وكذا اللغوي والشاعر وما يجري
مجراهم وهمة المنجم طول عمره مصروفة في ضبط حركات الأفلاك ومقادير الكواكب واستنباط الأحكام
من حركاتها وأوضاعها وأنصبائها لأنها وارتباطاتها وإلا لم يكن منجما بالغا فائقا على الأقران
وكذا الطبيب لو لم يكن مشغوفا بعلمه مستفرغا جهده في طلبه ثم في حفظه وضبط قوانين العلاج
ومعرفة الأدوية المفردة والمركبة على أبلغ وجه والكمال لم يكن من البارعين في فنه وكذا الفقيه الحاذق
في تفريع الفقه المتبحر لمسائل الدقيقة في وجوه الاستنباطات الدقيقة وتفريع الاحتمالات البعيدة
مع جلوسه في مسند الفتوى والحكومات لا بد له من استغراق الطلب وصرف العمر واستيعاب الخاطر
وبذل الوسع والطاقة فيه حتى يكون فائقا على الأقران مشارا إليه بالأنامل والبنان وكذا المحدث
في استعمال أوقاته في علم الرواية لحفظ سماعة الحديث وجمع الطرق الكثيرة وطلب الأسانيد
العالية الغريبة فهمته أبدا مصروفة في تحصيل ما لم يحصل عند كثير من الناس ولهذا يطوف
في البلاد ويرى الشيوخ ليقول أنا أروي عن فلان ولقد لقيت فلانا ومعي من الأسانيد
العالية ما ليس مع غيري وكذلك سائر العلوم والصناعات إلا الحكيم الإلهي والعالم الرباني فإن موضوع
علمه ومادة صناعته هو الوجود المطلق والإله الحق جل مجده فتمام عمره مشغول بالحق وجميع همته مصروف

بالكشف عن توحيده وتقديس صفاته واحكام افعاله ومعرفة نعوته واسمائه وآياته فلا يشغل
ه الا ذكر الله وذكر الآية دل علمان شريفان نوريان علم المبدأ وعلم المعاد وعلق الاول منهما بان شريفا
احدهما اشرف وانور من الآخر وهو العالم بوجوده ووحدانيته وتقدس صفاته واسمائه وكمال
جبروته من المفارقات والروحانيات والآخر العلم بافعاله من السموات والارضين والبسائط
والمركبات واشار الى الاول بقوله تعالى الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم والى الثاني
بقوله تعالى ويتفكرون في خلق السموات والارض ربنا ما خلقت هذا باطلا والى علم المعاد بقوله
سبحانك فقنا عذاب النار وكذا اشار الحق سبحانه في معرفة المبدأ بقوله سنريهم آياتنا
في الآفاق وفي انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق والى الآخر بقوله اولم يكف بربك انه على كل شيء شهيد
قال بعض الفضلاء في تفسير الكبير القرآن مشحون بجملة بذكر هذه العلوم الثلاثة فان للانسان ايام
ثلاثة الامس والبحث عنه يسمى بمعرفة المبدأ واليوم الحاضر والبحث عنه يسمى بالعلم الاوسط واليوم
الآخر والبحث عنه يسمى علم المعاد وقد وقف فاتحة سورة البقرة اشارة الى العلوم الثلاثة فقوله تعالى
آمن الرسول بما انزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين احد
من رسله اشارة الى علم المبدأ والمعاد وقوله وقالوا سمعنا واطعنا اشارة الى علم الوسط وقوله غفرانك
ربنا واليك المصير الى علم المعاد وكذا في قوله تعالى ربنا اشارة الى الاول وقوله لا تؤاخذنا ان نسينا او اخطأنا
الى قوله ما لا طاقة لنا به اشارة الى الاوسط وقوله واعف عنا واغفر لنا الى آخره اشارة الى علم المعاد
وقال في اول سورة هود اشارة الى هذه المعارف الثلاثة ولله غيب السموات والارض واليه يرجع الامر كله
اشارة الى اولهما واما علم الوسط وهو علم يجب اليوم ان يشتغل به فلا بد من رعايته البداية والنهاية
اما البداية فعلم النفس والاشتغال بالعبودية واما النهاية فقطع النظر عن الوسائط والاسباب والتجرد
التام والاتصال بالمبدأ الفعال وتفويض الامور الى مسبب الاسباب وذلك هو

الزهد

التوكل فذكر هذا ها هنا من المقامين فقال واعبده وتوكل عليه واما علم المعاد فهو ما اشار اليه بقوله
وما ربك بغافل عما يعملون اي انه يوصل هذا متصل اليك فيه نتائج اعمالك وثمرات افعالك
وفي كلام امير المؤمنين ع ويعسوب الدين عليه ازكى تحيات المصلين اشارة الى هذه العلوم الثلاثة
للانسان لاصلاح الامام الثالث حيث قال رحم الله امرءا اعد لنفسه واستعد لرمسه وعلم من
اين وفي اين والى اين فقد اشتمل هذه الآية على العلوم الثلاثة ونظيرها آية قوله سبحان ربك
رب العزة عما يصفون اشارة الى علم المبدأ وقوله وسلام على المرسلين اشارة الى علم الوسط وقوله
والحمد لله رب العالمين اشارة الى علم المعاد ولهذا قال في صفة سعداء اهل المعاد وآخر دعويهم ان
الحمد لله رب العالمين وهذه العلوم الثلاثة مع اجزائها وابوابها وفصولها من علم الكليات وعلم الاحكام
للهيئات والعلم بالعلل الاربع والاسباب القصوى لوجود الاشياء الكائنة فاعلها وغايتها
وما دونها وصورها والعلم بمبادئ الحركات الكلية ومباديها وعلم المفارقات وعلم السموات وعلم
السماء والعالم وعلم الروحانيات وعلم النفس واحوالها بعد الموت وعلم البعثات والرسل وكيفية
الوحي والتنزيل والكتاب والتأويل وعلم النبوة والرسالة وعلم الامامة والنيابة كلها ذكر الله
وذكر صفاته واسمائه وآلائه ونعمائه فالحكماء الافاضل سيما الانبياء والاولياء منهم سلام الله عليهم
كلهم مشغولون بذكره مستغرقون بمناجاته ومخاطباته فهم الذاكرون الله كثيرا دون غيرهم اذ ليس
عشق المبدأ الاعلى ومعرفة ذاته داخلا في موضوعات علوم غيرهم ومضامينهم ولا مستويا لمطلوباتهم
من حيث هي مطلوباتهم ومسائلهم ولا غاية لانظارهم وافكارهم ومنتهى افعالهم واعمالهم البدنية
الا بوجه من التكلف والتجوز البعيد والتمحل الشديد ولذلك صح قوله ارشد دون غيرهم فهم حقا
بان يكونوا عباد الله الصالحين واولياءه المتقين وبان الحق جليسهم ورفيقهم ما ورد من قوله انا
جليس من ذكرني وبان يكون الحق حاضرا عندهم شاهدا لهم مخبرا في قوله انا عند المنكسرة قلوبهم

انا عند المنقدرية فقودهم اذلهم فقوم منكرة والداه كعقبوا منلد بتة لتوحشهم عن الناس
وتفردهم عن الخلق بالموت الارادى وتقربهم بها بالمنافات والتضاد بين سلوكهم وسلوك
غيرهم فان الرجل بقدر امعانه فى العلوم الباطنية يتوحش عن الخلق ويتباعد عن صحبة اهل الظاهر
على عرفانه بالخلق يباكر عن الناس ولهذا قال النبى ع وهو لعرفا المرقة بالحق ما اوذى نبى مثل ما
اوذيت فهو غير العالم الربانى فليس له هذا التوحش عن اهل الدنيا والخوف والخشية والموت الارادى
عن شهواتها والرياضة البدنية بالاعمال الطاعات والعبادات النفسية بالاذكار والتاملات لاشتغالهم
بما يوجب تقوية القوى وغلبة الهوى والركون الى اهل الدنيا والاخلاد الى الارض التسلى والانتفاع
لحوايج الحظوظ الفانية بالحكومة والفتوى والاعتزاز بتحصيل حطام الارض الزهيد حيث لم يتفقوا
على كذا الامر لالهم الخوض والامعان فى غرض من الشرائع سيما عجب الغاية القصوى فلكن الخلق كما اخبر الله تعالى
عن حالهم بقوله واذا راوا تجارة او لهوا انفضوا اليها وتركوك قائما ولم يتخذ مع الرسول سبيلا
فلم يبق منهم مع حبيب الانبياء الاولياء واهل الله فى غاية القلة والقلة وهم القائلون بان
ما عند الله خير من اللهو ومن التجارة من الدنيا وما يليها من الجنة ومشتهياتها وهم الذين
لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله واقام الصلوة لعلمهم بان ما عند الله خير لاولى الالباب الاترى
انه قال الله تعالى لنبيه واذكر اسم ربك وتبتل اليه تبتيلا وقال نبيه ع الا انبئكم بخير اعمالكم وازكاها
عند مليككم وارفعها فى درجاتكم وخير لكم من اعطاء الورق والذهب وخير لكم من ان تلقوا عدوكم
فتضربوا اعناقهم ويضربوا اعناقكم قالوا وما ذلك يا رسول الله قال ذكر الله عز وجل وقال ع
سبق المفردون سبق المفردون قيل ومن هم يا رسول الله قال المستهترون بذكر الله تعالى وضع الذكر عنهم اثقالهم
فجاءوا القيامة خفافا واعلم انه فهذا كشف لارباب البصيرة بنور المعرفة ان ذكر الله افضل الاعمال

ارجه

الروحية القلبية والنفسية والبدنية ولكن له مراتب بعضها فوق بعض وبعضها ابلغ واعلى والذكر نتيجته
مراتب محبته ولكل ذكر نتيجة ابقى فان نتيجة ذكر العبد لله ذكر الله له كما قال الله فاذكروني اذكركم
وتبلغ هذه العبادة تقديم وتاخير لان اقدامهم بالذكر مع فاء التعقيب كقوله يحبهم ويحبونه وقوله
رضى الله عنهم ورضوا عنه وذلك لان ذكر العبد لله تعالى نتيجة ذكر الله له كما ان محبتهم له ورضاهم
عنه نتيجة محبته اياهم ورضوانه تعالى عنهم والحق ان لكل من القولين وجها وجيها لان التقدم
فى الاول على سبيل الابتداء والنهاية وفى الثانى على سبيل العلية والتقدم لا ان جميع حالات العبد
ثابتة بما فى علم الله ومقتضاه الاجمالى ثم التفصيلى فذكرنا الذى سبق ثم ما فى اللوح المحفوظ والذكر الحكيم
فافهم هذا وانتبه فان ذكر العبد لله ومحبته له ورضاه عنه وسائر صفاته الحسنة واعماله الصالحة
موجبة له الى الوصول الى هذه النتائج على وجه الكمال والعلى فان لكل شى حادث كما قال سبحانه
كذلك فلا يكون لغاية وللمبادى الاشياء ذوات الغايات هى بعض الغايات بالذات وبحسبها بالاعتبار
كما حقق فى مظانه او لا ترى ان تصور كل فاعل مختار لنتيجة فعله وكمال علمه متقدم على الشروع على
تلك الغاية وهى متاخرة عنها فاذا كان هذا هكذا فتغفل لما كان الله سبحانه مبدا كل شى
وغايته واول كل فكر وذكر ونهايته وظاهر كل موجود وباطنه فهو الاول فهو عين الاخر والباطن
عين الظاهر والعلم هنا عين العين فصح كل من الوجهين فى الذكر وهذا انبه من العلوم المختصة
باحباء الله ومشابه المجذوبين اليه هذا ولنرجع الى ما كنا فيه من بيان مراتب الذكر والذاكر ونتيجة
كل مرتبة فنقول ان لمراتب الذكر والذاكر فذكر اللسان وذكر الجوارح والاركان وذكر النفس
وذكر القلب وذكر الروح وذكر السر واما تفسيرها وتبيين نتائجها فذكر اللسان الاقرار ونتيجته
احقاق الدم والمال بالايمان فاذكروني بالايمان اذكركم بالامان وذكر الاركان الاستعمال الطاعات

والعبادات للوصول الى المثوبات فاذكروني بالطاعات اذكركم بالمثوبات وذكر النفس بالاستسلام
للاوامر والنواهي للفوز بنور الاسلام فاذكروني بالاستسلام اذكركم بنور الاسلام وذكر القلب
بتبديل الاخلاق الذميمة وتحصيل الاخلاق الكريمة للتشبه بالحق والانخراط في سلك احبائه
والاتصال بجنابه فاذكروني بالاخلاق اذكركم بالاستغراق وذكر الروح بالتفريد والتجريد
لحصول المعرفة والحكمة فاذكروني بالتفريد والتجريد اذكركم بالتوحيد والقربة وذكر السر ببذل
الوجود لوجدان المعبود فاذكروني ببذل الوجود والفناء اذكركم ببذل الشهود والبقاء
وهذا حقيقة ما في الحديث القدسي وان ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي وهذا هو لب
الالباب وهو ذكر الحقيقي والغاية الحقيقية الاخروية في الخطاب وهو يجعل الذاكر مذكورا
والمذكور ذاكرا بل الذكر والذاكر والمذكور شيئا واحدا كما قال سبحانه لمن الملك اليوم لله الواحد القهار
كما قال قائلهم رق الزجاج ورقت الخمر فتشابها وتشاكل الامر فكانما خمر ولا قدح وكانما قدح
ولا خمر فافهم واعلم وتدبر فان الغرض من ذلك فضول واذكروا الله كثيرا مجمل الجميع وكذا فيه ما
هو نتيجة لجميع الاقسام من قوله لعلكم تفلحون فلكل ذكر من اقسام الاذكار فلاح يناسبه
معناه فاذكروا الله باللسان لعلكم تفلحون بالاحسان والايمان وعمل الاركان لعلكم تفلحون
بالوصول الى المثوبات والجنان وبالنفس بالاستسلام لعلكم تفلحون بنور الاسلام وتجلية القلب لعلكم
تفلحون بمعرفة وحكمة وبالسر من جهة الفناء فيه لعلكم تفلحون ببذل شهوده وجلاله والبقاء بعد
الفناء فيه هداية عرفانية اعلم ان مراتب الذكر كما ثبت بالحكمة اما متعلقة بذات الله او صفاته
او افعاله فيتعلق ذكر الذات من بين بعضه تخصيصه بفضل هذه الامة دون غيرهم وكذا جزاء الذكر

بالذكر

بالذكر المستفاد من قوله فاذكروني اذكركم فضيلة مخصصة بهم دون سائر الامم والدليل عليه قوله تعالى
يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم فقد لهذه الامة بذكر الذات كما اراه موسى بذكر
النعماء وذلك لان مفاتح الفكر والذكر والشهود لم يتجاوز في الامم السابقة من طبقات الافلاك
وما فيها ومنوا بانهم لو قدرت على نيل درجات الجنان واما فضيلة هذه الامة رضوان الله عليهم
ان يتخذوا مع الرسول سبيلا متجاوزا بما تبقى من عالم الخلق بل الاراءة لهم هاديا ودليلا بهم الى حضرة
خالقه لمن وجدانه ثم لم يرضون بما قضى الجنان فانهم ومن تبع الاثنا ثناك ما فوق سبعك
مراتب الذكر ودرجات الذاكر ونتيجة كل مرتبة ان بعضها فوق بعض حتى ينتهي الى مرتبة الفناء حتى
يصير الذكر الذاكر والمذكور شيئا واحدا وعلم ان ذلك انما يتصور بان يتمكن الذكر في القلب
ويتمكن بدءا وحصولا وثمرة نور يا عجب نتيجة الذكر حتى لا يلتفت القلب الى الذكر لصاده ولا الى الذاكر
الى القلب نفسه بل يستغرق جملته بالفنا المذكور وبهما ظهر له في اثناء ذلك التفات الى الذكر فهو يكون
ذلك حجابا عن المقصود وهو به البنيه الى الغاية الاصلية وذلك بان يغيب عن نفسه حتى لا يحس بشيء
من ظواهر جوارحه ولا من العوارض الباطنة فيه بل لا يغفل عن جميع ذلك ويغيب عنه جميع ذلك
ذاهبا الى ربه اولا كما قال الخليل على نبينا وعليه السلام فيما حكى الله عنه اني ذاهب الى ربي ذاهبا
فيه كما هو الى ربه فقوله سيهدين فان خطر له في اثناء ذلك انه ذهب الى ربه ومحى عن نفسه وغاب عن ذاته
فذلك سكون عن الذهاب في الجملة ووقوف مع النفس فهو بحوث ذكره من الكمال في نفي نفس
نفسه وغاب عن ذاته فذلك سكون عن الذهاب في الجملة ووقوف مع النفس فهو مشوب وكدورة
بل الكمال ان يغيب عن نفسه ويغيب عن الفنا ايضا فالفنا عن الفنا غاية الفناء ونتيجة البقاء والغيبة
عن الغيبة كمال الغيبة وغاية الحضور وهذا بطلة الغيبة لو تسمى انها مجرد الفاظ مجاهيل وطامات
غير معقولة وليس كذلك بل هذه الحالة للعرفاء الكاملين بالاضافة الى مقصودهم كحالة البالغ الى الكل

مطالبة تمام محبة كثير من جاه او مال او تقرب سلطان او تفوق في البحث على نظرائه او غير ذلك
فانه قد يصير مصروف الهمة مستغرقا لشدة الغضب بالفكر في عدو او منازع له في جاه علم او جاه
عند الناس او مستغرقا لشدة الشوق بالفكر فيما هو معشوقه حتى لا يكون فيه متسع لادراك غيره لما
هو فيه فذلك الحال تمام الخاطبة كلا منهم ويمشي بين يديه غيره فلا يراه ويحاذيه مستوحشا ويكلم
فلا يسمع وما ذاك الا من تصميم وهو في هذا الاستغراق غافل عن كل شيء وعن الاستغراق ايضا فان
التفت الى الاستغراق غافل عن المستغرق فيه وانما سموا هذه الحالة فناء وان كان الشخص والظل
باقيا لان الاشخاص والاظلال بل سائر المحسوسات ليس لها حقيقة الوجود بل وجودها
كحكايات المرائي والاظلال وانما الوجود الحقيقي لعالم الامر والملكوت والقلب من عالم الامر لانه
قل الروح من امر ربي والقوالب من عالم الخلق وعليه هذا اشارة الى قدم الروح وحدوث القالب
بل هما جميعا حادثان وانما اعني بعالم الخلق ما يقع التقدير بالمساحة وهي الاجسام وصفاتها
وبعالم الامر ما لا يتطرق اليه التقدير والمساحة ويختص بالجهة فلذلك ذهب بعض علماء النفس
الانسان الى جوهرا كان او عرضا غير موجود في نفسه وعلى انه مثل الجهالة والنسيان كما انه ساقط العدم
والفقدان لزوال كل جزء عن كل جزء وغيبة كل بعض عن كل بعض وعن الكل ايضا فالعالم الجسماني
ليس وجوده الا كوجود الظل فهو من عالم الحقيقي كالظل من الشخص فكما ليس لظل الشخص حقيقة الشخص
فليس للشخص اي الجسم حقيقة الوجود بل هو ظل حقيقة الوجود والكل من صنع الله ولله يسجد من في
السموات والارض طوعا وكرها وظلالهم بالغدو والاصال ويسجد عالم الامر طوعا ويسجد
الظلال كرها ومن هذا ستر على اسرار لا يجوز اذاعتها سلسلة الحاجبين والخفي فضلا عن افشاء
الاسرار فالحاصل اذا انقضت معنى مراتب الذكر والذاكر فنا الذاكر بحسب المرتبة الاخيرة في المذكور فانه

والاستكبار

والاستكبار والتكذيب بما لم يحيطوا بعلمه ولم يحط علمه كما قال سبحانه بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه
وقال ايضا واذ لم يهتدوا به فسيقولون هذا افك قديم واعلم ان اول الامر هو الذهاب الى الله وانما
الهدى بعده كما ذكره في قوله تعالى حكاية عن الخليل قال اني ذاهب الى ربي سيهدين فاول
الامر ذهاب الى الله ثم ذهاب في الله وذلك هو الفناء والاستغراق به ولكن هذا الاستغراق لا يكون
كالبرق الخاطف قلما يدوم ويثبت فان دام وصارت ملكة راسخة وهيئة ثابتة عرج به الى العالم
الاعلى وطالع الوجود الحقيقي الاعلى وانطبع فيه نقش الملكوت وتجلى له قدس اللاهوت واول
ما يتمثل له من ذلك العالم جواهر الملائكة وارواح الانبياء والاولياء عليهم السلام في صورة جميلة يفيض
بواسطتها عليه بعض الحقائق وذلك في البداية الى ان يعلو درجته عن المثال فيكافح بصريح الحق في كل شيء
فاذا رجع الى عالم الحجاب وجواهره التي هي كالاظلال نظر الى الخلق نظر مترحم عليهم لحرمانهم عن مطالعة
جمال حضرة القدس ويتعجب من اصحاب المفهوم الفكرية وارباب العلوم في العقائد الجزئية وقناعتهم
بالظلال واغتفالهم بعالم الغرور والخيال مع ما كان لهم اولا من الاستعداد لطلب الكمال والارتقاء
الى عالم الحق المتعال ما افسدوه بانكبابهم الى الغرض من هذا الادنى واعراضهم عن الطريق المثلى لغرابتهم
عن مطالعة ايات الله الكبرى ومع ذلك فيفارقهم ويخالطهم بالظاهر ويكون العبد به وبينهم
بعد الباطن كما بين المشرق والمغرب فيكون معهم حاضرا بشخصه غائبا بقلبه يتعجب هو من حضورهم
ويتعجبون هم من غيبته لو تفطنوا فهذه ثمرة لباب الذكر وانما مبدؤها ذكر اللسان ثم ذكر النفس
تكلفا ثم ذكر القلب طبعا ثم استيلاء المذكور على الروح ثم انمحاء الذكر عن الروح حقيقة وهذا سر قوله فاذكروا الله
كثيرا لعلكم تفلحون وسر قوله من احب ان يرتع في رياض الجنة فليكثر ذكر الله بل سر قوله تفضل الذكر

يحث على الذكر ويمنع الحظة سعيين صعفا فان كل ذكر يشعر بقلبك فيه منع الحظ وذلك لان
شعورهم بغاية شعوراتهم كما يعلم الراسخون في الحكمة حتى اذا غاب بذكره من شعوراته فغاب
في المذكور بالكلية فيغيب ذكره عن شعور الحظ وما دام القلب يشعر بالذكر وبلغت اليه فهو معرض
عن الله وغير متصل عن ترك نفسه حتى يصير مستغرقا بالواحد الحق فذلك هو التوحيد وكذلك المرضي كان
ما وجده بالوجدان المعروف به ضد خاص لجنة الوصال وهو الذي استكن من جنة الوصال ولخلاص
القدس فهذه امور نبهت عليه لكونه مشوقا الى ان يصير من اهل الذوق والمحبة بها فان لم يكن من
اهل العلم بها فان لم يكن من اهل الايمان بها ايمانا بالغيب يرفع الله الذين امنوا منكم والذين اوتوا العلم
درجات والا فان يكون من المكذبين لها فيلقى العذاب الشديد اذ كوشف الحق عند علامات
سكرات الموت الذي كنت منه تحيد وقيل لك لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك
فبصرك اليوم حديد. المطلع الحادي عشر في نعمة سبحانه واذا راوا تجارة او لهوا انفضوا اليها وتركوك
قائما فيه اشارات الاول فيما قيل في معنى الاية قالوا انجز الله عن جماعة عاتبهم قاطعا اكرم الكريم ليوم
اللهو وبلعو القسي (?) اخس الخسيس فقال اذا راوا تجارة او لهوا اي اذا عاينوا ذلك او علموا
تعالنه (?) وهي الطبل عن مجاهد او المزامير عن جابر انفضوا اليها اي تفرقوا عنك خارجين اليها
وعن الفراء مالوا اليها والضمير للتجارة وانما خصت برجاع الضمير اليها لان كانت اهم اليهم
وهم بها اسر وافرح من الطبل لان الطبل انما دل على التجارة وقيل عاد الضمير للتجارة واللهو حسبت ان يرجع
الى احدهما اكتفاء به وكانه على حذف والمعنى واذا راوا تجارة انفضوا اليها واذا راوا لهوا انفضوا
اليه فحذف لدلالة اليها عليه وروي ان اهل المدينة اصابهم جوع وغلاء شديد فقدم دحية بن خليفة
بتجارة من زيت الشام والنبي يخطب يوم الجمعة فقاموا اليه خشوا (?) ان يسبقوا اليه فما بقي معه الا يسير

قيل

قيل ثمانية عن الكلبي وقيل احد عشر عن ابن كيسان وقيل اثنا عشر عن جابر بن عبد الله قال اقبلت عير
ونحن نصلي مع رسول الله الجمعة فانفض الناس اليها فما بقي غير اثنا عشر رجلا انا فيهم وقيل اربعون
فقال والذي نفس محمد بيده لو خرجوا جميعا لاضرم الله عليهم الوادي نارا وكانوا اذا اقبلت العير
استقبلوها بالطبل والتصفيق فهو المراد باللهو فعلى هذا تعين رجوع الضمير الى التجارة لانها كانت
مقصودهم الاصلي وكان الطبل طريقا الى اطلاعهم عليها وعن قتادة ومقاتل فعلوا ذلك ثلث مرات في كل
يوم عير تقدم من الشام وكل ذلك وافق يوم الجمعة وقال القائل انما القائل بيننا رسول الله يخطب
يوم الجمعة اذ قدم دحية بن خليفة بن فروة الكلبي ثم احد بني الخزرج ثم احد بني زيد بن مناة من
الشام بتجارة وكان اذا قدم لم يبق بالمدينة الا اتته وكان يقدم اذا قدم بكل ما يحتاج اليه من دقيق
او بر او غيره فينزل عند احجار الزيت وهو مكان في سوق المدينة ثم يضرب بالطبل ليؤذن
الناس بقدومه فيخرج اليه الناس ليبتاعوا معه فقدم ذات جمعة وكان ذلك قبل ان يسلم
ورسول الله قائما على المنبر يخطب فخرج الناس فلم يبق في المسجد الا اثنا عشر رجلا وامراة فقال
لولا هؤلاء لسومت لهم الحجارة من السماء وانزلت هذه الاية وروي عن ابي عبد الله انه قال انصرفوا
اليها وتركوه قائما يخطب على المنبر وقال جابر بن سمرة ما رايت رسول الله يخطب الا وهو قائم
فمن حدثك انه خطب وهو جالس فكذبه وسئل عبد الله بن مسعود اكان النبي يخطب قائما
فقال اما تقرأ وتركوك قائما وقيل اراد قائما في الصلاة الاشراف الثاني لعلم ان الغالب على
الخلق حب اللذة بالدنيا والتمتع بطيباتها والتوجه نحو عالم الاعلى لا بعجز غالب على جبلة
الناس الا الاقلين كما اشار اليه بقوله ان الانسان لفي خسر الا الذين امنوا وعملوا الصالحات وقل
من الانسان من لم يوجد منه الذ... ايمانا حقيقيا وصدق بالله واليوم الاخر اذا عاينا نفسا
واكثر الذين يعدون الايمان لهذه الاركان اذا افترض عليهم بما يمكنه رجعوا الى القول باللسان فقط

واما هو مع التقليد المحض للمشايخ والاباء من غير برهان ولا حجة اقناعية كالعميان واما التعصب
لمذهب شافعية مع الاصحاب والرفقاء والخلان او الف وعادة حصلت له بسبب المعاشرة مع
المسلمين او التشبه باهل العلم والمتقين بصور اعمالهم والفاظهم الدالة على التسليم من القول
بوجود الاخرة والملك والنبوة والامام والكتاب والوحي والقبر والجنة والحشر والنشر للصحايف والتطاير
للكتب وتجرد الطوع والقبول لهذه المسميات على سبيل التجويز العقلي من غير حصول الحقيقة الا
او حصول طمانينة قلبية توجب التقوى والسكينة عن الامراض الباطنة كما للسعداء من اصحاب
اليمين وشيء من تلك الامور لا يؤثر في قلب الانسان اثرا يوجب انتزاع نفسه عن الدنيا وحسم مادة
الميل الى شهواتها بحيث تزجره بلا زاجر خارجي وبردعه من غير رادع بجره بحكومة عرفية او
امر شرعي يعني بعثت مصلحة او توهمت من طرفهما او انبعث داع حقه حرك سلسلة الحرص
والهوى فيخرج مسرعا الى ما اقتضته طبيعته ودعته ويقبل الى ما يميل اليه نفسه وهواه كالحجر
المسكن في الهواء اذا خلي وطبعه يميل الى اسفل السافلين ولما المومن الحقيقي العارف بالحق
المصدق لما اتى به النبي والشاهد باليوم الاخر كشفا والموقن بان الاخرة خير من الاولى فهو
في غاية الزهد ومعتقد حق التصديق وكثير من الايات القرانية بان اكثر المتسمين بالمومنين كافرون
سرا وقلبا منافقون بالله ورسوله مثل قوله تعالى يا ايها الذين امنوا امنوا بالله ورسوله والكتاب
الذي نزل على رسوله وقوله تعالى وما يومن اكثرهم بالله الا وهم مشركون وقوله وما اكثر الناس
ولو حرصت بمومنين وقوله يا حسرة على العباد ما ياتيهم من رسول الا كانوا به يستهزؤن وقوله تعالى
يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها واكثرهم الكافرون وقوله وكاين من اية في السموات والارض يمرون
عليها وهم عنها معرضون الاشراق الثالث اعلم ان كلام الرسول الخارجي لا يسمع منه من لم يكن له في
الباطن رسول قلبي يرد عليه من وارد الحق سبحانه ويكون القلب به حيا كما قال تعالى انك لا تسمع
الموتى وقال لينذر من كان حيا فالقلب الحي يسمع من رسول الحق يسمع بذلك النور كلام الرسول الخارجي

ويفهمه

ويفهمه ويقبله فهذا القلب الذي هو قابل الفيض بغير واسطة من الحق يكون الرسول بين الحق والعبد
فياخذ الانسان من رسله المعاني والحكم والمواعظ من نور وارد الحق فيبلغها الى قواه الادراكية والحالية
وسائر الامة المسلمة من الاوصاف والاخلاق الحسنة كما روي عنه ع واعظ في قلب كل مومن
وقال بعضهم حدثني قلبي عن ربي وتحقيق ذلك ان كل انسان يلتذ في الامور الغيبية والشهادية
بما في نفسه وطبعه بل كل قوة يدرك وينال شيئا مما يناسبه وينال ما في ذاتها فالبصر مثلا
انما يدرك الاضواء والالوان لانه من جنسها لكونه مشفا نورانيا والسمع يدرك كيفية تموج
الهواء الحاصل من المقروع والمقلوع لان من شانه ان يتقرع وينقلع حاملة يتموج ما يجاوره
من الهواء الراكد وكذا القوة الذوقية القائمة بعصب اللسان ينفعل عن المذوقات بسبب تكيف
الذي هي رطوبة لعابية بكيفية المطعومات فهي نسبة تلك الرطوبة الى كيفية الطعوم كنسبة
الجرم المشف الى كيفية الضوء واللون وهكذا قياس سائر الحواس الظاهرة والباطنة فالوهم يدرك
الموهومات والعقل الذي هو جوهر مفارق يدرك الحقائق المجردة عن الغواشي المادية فلا
بكل قوة وبكل نشاة يكون له فيه حصة يدرك منها ما في تلك النشاة من الامور الغريبة ولهذا
قال بعض الحكماء العقل عند الله ولا يهتدي الى الغيب الا النور ولا يطلع صورة فردانية الا
في مراة فردانية والنفس مراة العقل والعقل مراة الاجسام وهو مراة الله لا شبه مراة عن ذاته
اشعر واليه الاشارة بقوله تعالى ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور فاذا علمت ما ذكرناه فاعلم ان
من جملة القوى المودعة من امر الله في العالم الانساني هو نور فايض من الله على قلب المومن
المجاهد في سبيل الله وهو انما يجيئ اليه من عالم الملكوت ويقذف في قلبه بعد استكمال مراتب
الحس والخيال والوهم والعقل بالعلوم الرسمية والاداب الشرعية وطوى تلك النفوس فوق
اطوار سائر المدارك والمشاعر والعقول الجمهورية وهو من انوار النبوة والولاية فبذلك النور
يقبل الاحكام النبوية ويفهم الامور الالهية وينال الحظ الوافر من العلوم الربانية فيتبع

الرسول الخارجي والمبلغ العيني والرسول الداخلي والمبلغ العيني والوصول بل بركة الرسول وبا
بنال النور كما انا بالعقل يعقل الصادر المعقول المحجوب بحجب الحس والمحسوس فمن لا يكون له دار من
الحق ولا نصيب من نوره فلا يفهم لسان النبي الوارد من الحق الى الخلق ولا يدرك النور الذي
معه والكتاب الذي انزل اليه ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور وهكذا حال اكثر الناس
وما يتبع اكثرهم الا ظنا ان الظن لا يغني من الحق شيئا فلذلك لم يقع مع الرسول من العقل الكبير
لاصحابه في الطف وقت من اوقات صحبته وانفع ساعة من ساعات خدمته معنى لم يفهموه اياه
وصحبتهم له وعروجهم معه الى العالم الاعلى وهو وقت ذكر الله والصلوة التي هي معراج المؤمن
وعمود الدين ومناجات العبد الحبيب بخلوته وبركعه فاما اتيانا لهذا الخسيس الذي على الارض
العلي نظير ذلك ما وقع لهم في ترك النجوى مع الرسول حين وجب عليهم الا بصدقة يسيرة
حبة او شعيرة فضيقوا ذلك الامر العظيم باسناد هذا التراب الرميم لما رعى عنهم امر الكرم وسماجات
الرسول بما بذلوه حتى انزل الله ءاشفقتم ان تقدموا بين يدي نجويكم صدقة
ولم يروا بادي من اراد ان يناجيه فضلا قبل مناجاته صدقة غير امير المؤمنين ع لما نزلت دفاتي
رسول الله ص فقال يا علي ما تقول في دينار قلت لا يطيقونه قال فكم قلت حبة او شعيرة فقال انك
لزهيد فلما راوا ذلك اشتد عليهم فارتدعوا وكفوا عن النجوى حتى نسخ وعرف ان في كتاب
لاية ما عمل بها احد قبلي ولا يعمل بها احد بعدي كان لي دينار فصرفته فكنت اذا ناجيته تصدقت
بدرهم فانظر في هذه الحكاية بنظر التامل حتى يعلم ان اهل المودة الاخروية في غاية القلة والندرة
بالنسبة الى اهل المودة الدنيوية وان نسبة طالب الحق بالنسبة الى طالب الهوى كنسبة الشعرة البيضاء
في جلد البقرة السوداء المطلع الثاني في قوله سبحانه قل ما عند الله خير من اللهو ومن التجارة والله خير
الرازقين فيه اشراقات الاول في ان الحقيقة لهذه القوى المحجوبة من عالم الربوبية وما بايديهم كان

عالم

عالم البرزخ والملكوت وهي المبادي للصور الفائضة على مواد هذا العالم بعد تعطلها ومرورها
على المراتب ومنابع اللذات والخيرات النازلة منها على قوابل الاجسام وطبائع الاجرام لحظة
تكدرها بالشوائب ومفاتيح خزاين النعمة والرحمة والايمان من ابواب الوصول الى الجنة
والرضوان ان ما عند الله احسن عاقبة وخير ثوابا وخير مرجعا وبابا من اللهو والتجارة وهما
زايلان والله خير الرازقين بين نعمكم من حيث لا تحتسبون وان لم تتركوا اللهو والتجارة وما
من دابة في الارض الا على الله رزقها فمن ابتغى به الاخرة كان له نعم الدنيا والاخرة ومن ابتغى
تحصيل الدنيا عن حرث الاخرة قال الله تعالى من كان يريد حرث الدنيا الاية ومن كان ذو دني
الهمة وضيع النظر خسيس الطلب حتى يطلب من الله الدنيا الدنية فعند الله ثواب الدنيا والاخرة
فلا ادنى ان يطلب منه ما هو اعظم من الدنيا فان الله من سعة كرمه وبسط جوده وفيض
وجوده الذي هو سبوح ينبوع ينابيع الخير والرحمة ومفتاح مفاتيح الجود والنعمة يجب ان
يبذل العبد ما يتخلق الامور ويتعالى الامال ويعني ان يطلب منه دنياتها وسفسافها
فلا يرضى ان ينقطع منه الدنيا لانها دنية بل لا شيء لان وجودها وجود ظلي وعند الله
ثواب الدنيا والاخرة لان احدهما من شعشعة ذاته واضواء جماله وجلاله والاخرى من ظلال افعاله
كالذي يكون منزلته عند الملك مقبول شفيع عند الملك معظم يقتصر حقه ويجد ما
عند الله من الدنيا والاخرة وكان الله عطوفا رحيما على عباده جميعا سميعا لمناجات طالبيه وملتجي
مشتاقيه بصيرا بمصالح دينهم ودنياهم فكمال رافته ورحمته امرهم بالرجوع اليه الامر نهاهم
من الانكباب على عالم الدنيوية الاخروية فاسلك مسلك اصحاب الصفوة الاشراق الاول اعلم ان لا دنيا
لذاته مختلفة سوى رزق المعدة وهي رزق القلب ورزق الروح ورزق السر ولكل انسان
فهذا العالم يستحق تحسينه رزق القالب لان هذا ادنى درجات الحيوان بما هو حيوان

والانسان بجنبة حيوانيته يكون من اهل استحقاق الجحيم وللاشارة بقوله وان منكم الا واردها
لان معنى الانسان مشعر بتوجه وتجاوز منها من فوج نار جهنم التي قبل الها اهل السلامة
فقول الحق من مزيد وهي التي وقودها الناس والحجارة اعدت للكافرين المجرمين ولبعض الناس
رزق في القلب ومن رزقناه منا رزقا حسنا والى هذين الرزقين اشير بقوله لفتحنا عليهم من
السماء والارض ولقوله ولو انهم اقاموا التورية والانجيل لاكلوا من فوقهم ومن تحت ارجلهم
واما رزق الروح فلقوله تعالى ورزق ربك خير مما يجمعون واما رزق السر فكقوله ابيت
عند ربي يطعمني ويسقيني فقوله تعالى والله خير الرازقين يحتمل الجميع فان الرزق الحقيقي
في كل رزق انما هو ذاته واما في القسم الاخير فذلك معناه يحتاج الى لطف وتحقيق فافهم واغتنم
الاشراق الثالث اعلم ان الرزق والغذاء وما يجري مجريهما عبارة عن كل مطلوب ومستلذ
والطالب والمستلذ للانسان على ثلاثة اقسام اجناس لانها اما عقلية واما نفسية واما بدنية
فالاول كلذة العلم والحكمة والثاني كلذة الجاه والحكومة والثالث كلذة الاكل والجماع وفي
الاخير حيث يقع الاشتراك بينه وبين سائر الحيوانات فاما المطالب العقلية فهي اقلها
وجودا واشرفها رتبة اما قلتها فلان المعرفة لا يستلذها الا العلماء والحكماء لانها لا ينالها الا
الحكماء واما اقل اصحاب العلم والحكمة وما اكثر المتسمين باسمهم والمترسمين برسمهم واما
شرفها فلانها اللذة التي لا تزول ابدا لا في الدنيا ولا في الاخرة ودائمة لا تمل والطعام والشراب
يشبع منه وشهوة الوقاع ينقطع وتشتغل ويثقل على النفس فيها الباقي ابد الاباد اذا رغب
بالخسيس الفاني فاخرب الاباد فهو سفيه في عقله محروم لشقاوته وادباره ثم العلم النافع
وحلية كالمحال والمال والاولاد فانه يجذب الى الهلاك وانه يجذب الى النجاة ولهذا قال الله
انما اموالكم واولادكم فتنة واما قصور اكثر الخلق عن ادراك لذة العلم فاما لعدم الوجدان

والذوق

وللذوق فمن لم يعرف لم يذق ومن لم يذق لم يشتق اذ الشوق تابع للذوق واما لفساد فطرتهم
الاصلية ومرض قلوبهم بسبب اتباع الشهوات كالمريض الذي لا يدرك حلاوة العسل ويراه
مرا واما القصور فطرتهم اذ لم يخلق بعد لهم الغريزة التي بها يستلذ العلم كالطفل الرضيع
الذي لا يدرك لذة الطعوم اللذيذة الا اللبن فالقاصر عن لذة المعرفة والحكمة ثلثة اما من لم
يحي باطنه كالجنين بل كالميت واما من مات بعد الحيوة باتباع الشهوات واما من مرض بسبب
الصفات الكثيفة مثل العصبية والعناد واللجاج وسوء الظن والتكبر وحب الرياسة فقوله تعالى
في قلوبهم مرض اشارة الى مرض القلوب ولذا قال فزادهم الله مرضا ولهم عذاب اليم لان مرض
القلب مما يشتد يوما فيوما ويرسخ ويؤدي الى الهلاك السرمدي والعذاب الابدي وقوله تعالى
لينذر من كان حيا مشيرا الى من لم يمت حيوة الباطنة وكل حي بالبدن ميت القلب
فهو عند الله من الموتى وان كان عند اهل الحجاب من الاحياء ولهذا كل ميت بالبدن حي القلب
فهو من الاحياء لان العبرة في القيام الحقيقة بالقلب لا بالقالب ولذلك كان الشهداء احياء عند ربهم
يرزقون بالارزاق المعنوية فرحين بما اتاهم الله من فضله وهي اللذات العقلية وان كانوا
موتى بالحس لابدان واما اللذة التي لا يشارك الانسان فيها بعض الحيوانات فهي كلذة
الغلبة والاستيلاء والرياسة او كلها فهي كلذة البطن والفرج فان الاولى موجودة في الاسد
والنمر واشباههما والثانية موجودة في سائر الحيوانات فهذه اكثرها وجودا واخسها رتبة
ولذلك اشترك فيها كل ما دب على الارض ودرج حتى الديدان والحشرات ومن جاوز هذه
الرتبة يتشبث فيه لذة الغلبة وهي اشدها التصاقا بالمتغافلين فان جاوز ذلك ارتقى الى الثالث
فصار اغلب اللذات عليه لذة العلم والحكمة لا سيما معرفة الحق الاول ومعرفة صفاته وافعاله

من الجواهر الملكية والفلكية والنفوس الارضية وما بعدها من جهة مباديها وغاياتها وهي 107
رتبة الصديقين وهي المسماة عند الحكماء والعرفاء بالخير الحقيقي وباقي الخيرات خيرات بالاضافة
والى الخير الحقيقي اشار بقوله تعالى قل ما عند الله خير من اللهو ومن التجارة لما ان ما عند الله
يوجد كل نعمة ولذة دنيوي واخروي لان الجميع ظلال انواره ورشحات بحاره الاشراق الرابع
اعلم ان دعوى كون ما عند الله خيرا من اللهو الذي هو لذة القوة الحسية وشهوة النفس البهيمية
ومن التجارة التي هي لذة القوة الخيالية والنفس السبعية اذ بها يحصل الجاه والحشمة مما يشكل اثباته
على اكثر الناس لغلبة التجسم عليهم وكثافة الحجاب بينهم فان كون معرفة الله وصفاته ومعرفة ملكوت سمواته
وارضه وملكه اعظم من لذة الرياسة وسائر المرغوبات مما يختص دركه بمن نال رتبة المعرفة وذاق شرب
الحكمة ولا يمكن اثباته على من لا قلب له لان القلب معدن هذه القوة كما لا يمكن اثبات لذة الرياسة
ورجحانها على لذة الوقاع عند الاطفال والسفهاء ولا اثبات لذة الوقاع على لذة اللعب بالكرة والجوز
عند الصبيان ولا اثبات لذة الزواج عند خضرة الشابة كالجعل امر بضعها كالانوم لفقدهم
القوى التي بها يدرك هذه اللذات او سلامتها ولكن من كان ذا ذوقية وسلمت النفسية عن الامراض
والآفات فيدرك لا محالة مناسبة من اللذات وعند هذا ينبغي ان يتحقق ان طالب العلوم الباطنية
ان من ذاق عرف وتماينها ان معرفة الله الذ الاشياء ان طلاب العلم وان لم يشتغلوا بطلب المعارف
الالهية والمطالب الربوبية فلا ستكشفوا راحة من روائح هذه اللذة عند كشف المشكلات
وانحلال الشبهات التي قوي حرصهم على طلب العلوم التي يطلبونها فانها ايضا معارف وعلوم
وان كانت معلوماتها غير شريفة لان كل علم فهو حصول صورة مجردة عن موادها عند الذهن
والصورة المجردة اصفى والذ من الصورة المادية فاذا كانت هذه هكذا فما ظنك بلذة من طالع ملكوت

والملكوت

قوله ما عند الله خير للابرار والى الخير الأتم اشار بقوله تم م

في الملكوت حتى انتهى الى معرفة الله وقد انكشف له شيء من اسرار جلال الله وملكوته او لم يصادف
في قلبه عند حصول ذلك طربا وعقلا وفرحا وقربا ما يكاد يتيك به عالم الاجساد كلها وتطير الى
عالم القدس ثم يوجد من يصادف ذلك في كثير من اوقاته ويتعجب من نفسه في ثباته واحتماله
لقوة طربه وسروره وهذا ما لا يدرك الا بالذوق والحكاية قليلة الجدوى فيه الاشراق الخامس
لذة معرفة الله والنظر الى وجهه الكريم والمطالعة لحضرة الربوبية والشهود لاسرار الامور الالهية
الذ اللذات الباطنة من الرياسة والحكومة ومن الشهوات الغالبة على اكثر الناس وخير الاذواق
الصورية والمعنوية يرغب بها من ثناء من عباد المقربين واولياء الصالحين ولهذا ترى
العارف الرباني يؤثر التفرد عن الخلق والخلوة مع الحق بالتبتل والفكر والذكر ويقيم على الدوام
ويترك الرياسة ويستحقر الخلق ويستهزئ بهم كما هم يستهزؤن به لعلمه بفناء شهوتهم وانقطاع
رياستهم وانفساخ لذاتهم الصورية الحسية والخيالية وكونها مشوبا بالكدورات منغصة
بالمزاحمات مقطوعة بالموت الذي يهدم اللذات وينقطع الرياسات ولا بقية لها حتى اذا اخذت
الارض زخرفها وازينت وظن اهلها انهم قادرون عليها اتيها امرنا ليلا او نهارا الاية
فيشتغل بالاشتياق الى هذه اللذات الحقيقية لذة الحكمة والمعرفة بالله والمطالعة لصفاته وملكوت
افعاله ونظام مملكته الاعلى من اعلى عليين الى اسفل السافلين فانها خالية عن المزاحمات و
والكدورات متسعة للمتواردين لا يضيق عليهم بكثرتهم وانما عرضها من حيث التقدير عرض السموات
والارضين لانه لو خرج النظر عن عالم المساحة والخلق والتقدير التقديرية فلا نهاية لعرضها
فلا يزال العارف بمطالعتها في جنة عرضها السموات والارض يرتع في رياضها ويقتطف من ثمارها
وهو آمن من انقطاعها اذ ثمار هذه الجنة غير مقطوعة ولا ممنوعة ثم هي ابدية سرمدية لا يقطعها
الموت اذ الموت لا يهدم محل معرفة الله تعالى لان محلها الروح الذي هو امر رباني سماوي وانما يغير

الموت احوالها وينقطع اشغالها الدنيوية وشواغلها وعوايقها ومخلها وعلايقها فما ان يعلم
ذاتها وصفاتها وكمالاتها الذاتية فلا لعول ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا بل
احياء عند ربهم يرزقون فرحين بما اتيهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم ولا تظن
ان هذا مخصوص بالمقتول في المعركة فان للعارف بكل نفس درجة الف شهيد وفي الخبر ان الشهيد
يتمنى في الاخرة ان يرد الى الدنيا ليقتل مرة اخرى لعظيم ما يراه من ثواب الشهداء وان الشهداء يتمنون
ان يكونوا من العلماء لما يرونه من علو درجة العلماء وفي الحديث ايضا اذا كان يوم القيمة يوضع
الموازين فيوزن مداد العلماء مع دماء الشهداء فيرجح مداد العلماء على دماء الشهداء فاذن جميع
انظار الملكوت السموات والارض ميدان الحكيم العارف يتبوأ منها حيث يشاء من غير حاجة الى
ان يتحرك اليها بجسمه وشخصه فهو من ملاحظة جمال الملكوت في جنة عرضها كعرض السماء والارض
وكل عارف فله مثلها من غير ان يضايق بعضهم بعضا الا انهم يتفاوتون في سعة متنزهاتهم بقدر تفاوت معارفهم
وهم درجات عند الله وهكذا حالهم في الدنيا وفي الاخرة قبل الموت وبعده الا ان الموت يزيد في
الانكشاف وظهور الجلاء ومعصوم حال العارفين ومقاصدهم فانهم واعظم الاشراق الانوار في ذلك
انما عند لقاء الجبار وابهج اللذات وان كل لذة وبهجة تنطوي في ادراك ذاته وصفاته
فاذا علمت ان لذة العلم بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الاخر الذ اللذات عند العارف فلو ربما
فلا تتعجب من اباء هذه اللذة على سائر اللذات واستهانته عن صحبة الخلق ومثل ابن الحب
بعيبه طرده الناس واستخدوه خصوصا المشغوفين بالعقول الناقصة الدنيوية والعلوم الجزئية
المرموقة عند الناس التي يعجب ابناء الخلق لهم ولهذا قال بعضهم اذا اطلع الرجل الى غاية ستشرف
في العلم بالله رماه الناس بالحجارة اي يخرج كلامه عن حد عقولهم فيرون ما يقول جنونا وفضلا

لعم

كلهم ملاحظة لقاءه ومشاهدة ملكوته فقط فهي قرة عينهم التي لا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة
اعين وهذه تمحى الهموم كلها فيهم هما واحدا بل من عرف ان اللذات المرهقة بالشهوات المختلفة كلها القدم
ينطوي تحت هذه اللذة كما قال بعضهم كانت لقلبي اهواء مفرقة فاستجمعت مذ راك العين اهوائي
فصار يحسدني من كنت احسده وصرت مولى الورى مذ صرت مولائي تركت للناس دنياهم ودينهم
شغلا بذكرك يا ديني ودنياي وقال بعضهم من هجره اعظم من ناره ووصله اطيب من جنته
فمن عرف الله تجمعت عنه الهموم والتلهي سواء كانت من باب الدرهم والدينار او من باب
والتنعم من باب الجنة والكرامة او الصيد والاشتهار واضمحلت عنه الشهوة والغضب
فنفسه تشوقت الى طلب المعرفة بالله مثل كل حب وطلب فلا داعي له سوى الله جلب منفعة او دفع
مضرة فلو القي في النار لم يحس بها ولو عرض عليه نعيم الجنة لم يلتفت اليها فكيف الى هذه اللذات
الخارجة ولهذا قال امير المؤمنين ما عبدتك خوفا من نارك ولا طمعا في جنتك بل وجدتك اهلا
للعبادة فعبدتك وقال بعض العرفاء ان ادخلني الجنة برحمته فهو بل الحق وان ادخلني غيرها فنعم الحق فقال
ابو سليمان الداراني ان لله عبادا ليس يشغلهم عن الله خوف النار ورجاء الجنة فكيف تشغلهم
الدنيا عن الله وقال بعض اخوان المعروف الكرخي له اخبرني اي شيء اهاجك الى العبادة والانقطاع عن الخلق
فسكت فقال ذكر الموت فقال اي شيء الموت فقال ذكر القبر والبرزخ فقال اي شيء هذا
فقال خوف النار ورجاء الجنة فقال واي شيء هذا ان ملكا بيده هذه كلها ان احببته انساك
جميع ذلك وان كانت بينك وبينه معرفة كفاك جميع هذا فانه من ذكرناه من مواعظ حكمية
ونصايح فانية ينتفع بها من له قلب سليم ملحوظة بعضها من كلام الله تعالى واحاديث نبيه
واهل بيته عليهم السلام وبعضها من اقوال العرفاء ونصايح الحكماء في هذا الباب طرحا في ان يصيبه

بسبب التنبيه للقلوب الغافلة في مراتب الغفلات وباعثا على ايقاظ النفوس النائمة في مضاجع
الجهالات واذا كنت تعلم ان اهل هذا العصر ممن قال في حقهم الشاعر ولن يصلح العطار
ما افسد الدهر الا ان رضا الله لا يخلو عن مؤمن تقي وصالح نقي وبلاد الله لا يكون ذات حبوب
فنادرا ما تنحل لاجل الدواب والانعام كالفرس والحمار بل لا بد لوجود ذوي الالباب ليكون
مفاد الصحف هذا الكتاب قال الله انما الرسول وحجته هاديا للطريق الفلاح بهتك
استر بهلاه ويتبعون باطنهم بنوره وبرهانه ويقول لا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم زهرة
الحيوة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وابقى فهو سبحانه يسوق عن الخلق الى شلع الدنيا
ونفرة حيوتها الفانية كيلا يتلوث بطهارة ذاته المجردة وعند الفلاسفة بكتاب مستدلا انها
حجابية مشتهياتها وامثال هذه الاية من الايات والنصوص الدالة على ذم الدنيا وتحقير
اهلها وصلاح الاخرة وتشويق اهلها اكثر من ان تحصى مثل قوله فاعرض عن من تولى عن ذكرنا
ولم يرد الا الحيوة الدنيا ذلك مبلغهم من العلم وقوله ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه
وكان امره فرطا الى غير ذلك قال المولوي في المثنوي كفت حق با نفاه بعجز كر دنيا اهل و منكر
وفي كتاب الكافي عن ابي عبد الله قال قال رسول الله لا يجد الرجل حلاوة الايمان
في قلبه حتى لا يبالي من اكل الدنيا ثم قال حرام على قلوبكم ان تعرف حلاوة الايمان حتى تزهد في الدنيا
وعنه انه قال من زهد في الدنيا اثبت الله الحكمة في قلبه وانطق بها لسانه وبصره عيوب الدنيا
داءها ودواءها واخرجه منها سالما الى دار السلام وعنه جعل الخير كله في بيت وجعل مفتاحه الزهد في الدنيا
وعنه قال خرج النبي وهو محزون فاتاه ملك ومعه مفاتيح خزاين الارض فقال يا محمد هذه مفاتيح

خزاين

خزاين الارض يقول لك ربك افتح وخذ منها ما شئت من غير ان ينتقص شيئا عندي
فقال الدنيا دار من لا دار له ولها يجمع من لا عقل له فقال الملك والذي بعثك بالحق لقد سمعت
هذا الكلام من ملك يقول في السماء الرابعة حين اعطيت المفاتيح وروى الشيخ الجليل ثقة الاسلام
ابو جعفر محمد بن يعقوب الكليني في هذا الكتاب بسنده الى جابر رضي الله عنه عن ابي جعفر حديثا
طويلا في باب ذم الدنيا والزهد عنها ذكر فيه يا جابر الاخرة دار قرار والدنيا دار فناء
وزوال ولكن اهل الدنيا اهل غفلة وكان المؤمنون هم الفقهاء اهل فكرة وعبرة لم يصمهم
عن ذكر الله جل اسمه ما سمعوا باذانهم ولم يعمهم عن ذكر الله ما راوا من الزينة ففازوا
بثواب الاخرة كما فازوا بذلك العلم وفيه اشعار بان الفقه ليس معناه في عرف الائمة ولسان
الشارع الا على هذه الصناعة المشهورة بل العلم الذي يوجب الاستغراق في امر الاخرة
وتحصيل الباطن والاعراض عن الدنيا بالكلية ثم قال فيه واعلم يا جابر ان اهل التقوى ايسر
اهل الدنيا مؤونة واكثرهم لك معونة قوالون بامر الله قوامون على امر الله قطعوا محبتهم بمحبة
ربهم ووحشوا الدنيا لطاعة مليكهم ونظروا الى الله عز وجل والى محبته بقلوبهم ثم قال
فانزل الدنيا كمنزل نزلته ثم ارتحلت عنه او كمال وجدته في منامك فاستيقظت وليس معك
منه شيء اني انما ضربت لك هذا مثلا لانها عند اهل اللب والعلم بالله كفيء الظلال وعن امير المؤمنين
في بعض خطبه من عظمت الدنيا في عينه وكبر موقعها من قلبه آثرها على الله فانقطع اليها
وصار عبدا لها ولقد كان في رسول الله كاف لك في الاسوة ودليل لك على ذم الدنيا وعيبها
وكثرة مخازيها ومساويها اذ قبضت عنه اطرافها ووطئت لغيره اكنافها وفطم من رضاعها

وتنعم عن نعمائها وان شئت ثنيت بموسى كليم الله اذ يقول رب اني لما انزلت الي من خير فقير
والله ما سأله الا خبزا يأكله لانه كان يأكل بقلة الارض ولقد كانت خضرة البقل ترى من شفيف
صفاق بطنه لهزاله وتشذب لحمه وان شئت ثلثت بداود صاحب المزامير وقارئ اهل
الجنة فلقد كان يعمل سفائف الخوص بيده ويقول لجلسائه ايكم يكفيني بيعها ويأكل قرص الشعير من
ثمنها وان شئت قلت في عيسى فلقد كان يتوسد الحجر ويلبس الخشن وكان ادامه الجوع وسراجه
بالليل القمر وظلاله في الشتاء مشارق الارض ومغاربها وفاكهته وريحانه ما تنبت الارض
للبهائم ولم تكن له زوجة تفتنه ولا ولد يحزنه ولا مال يلفته ولا طمع يذله دابته رجلاه
وخادمه يداه فتأس بنبيك الاطيب الاطهر فان فيه اسوة لمن تأسى وعزاء لمن تعزى
واحب العباد الى الله المتأسي بنبيه والمقتص لاثره قضم الدنيا قضما ولم يعرها طرفا اهضم اهل
الدنيا كشحا واخمصهم من الدنيا بطنا عرضت عليه الدنيا فابى ان يقبلها وعلم ان الله ابغض
شيئا شقاقا لله ومحادة عن امر الله ولقد كان يأكل على الارض ويجلس جلسة العبد ويخصف
بيده نعله ويرقع بيده ثوبه ويركب الحمار العاري ويردف خلفه ويكون الستر على باب بيته
فتكون فيه التصاوير فيقول يا فلانة لاحدى ازواجه غيبيه عني فاني اذا نظرت اليه
ذكرت الدنيا وزخارفها فاعرض عن الدنيا بقلبه وامات ذكرها من نفسه واحب ان
تغيب زينتها عن عينه لكيلا يتخذ منها رياشا ولا يعتقدها قرارا ولا يرجو فيها مقاما فاخرجها
من النفس واشخصها عن القلب وغيبها عن البصر وكذلك من ابغض شيئا
ابغض ان ينظر اليه وان يذكر عنده ولقد كان في رسول الله ما يدلك على مساوئ الدنيا

وعيوبها

وعيوبها اذ جاع فيها مع خاصته وزويت عنه زخارفها مع عظيم زلفته فلينظر ناظر بعقله اكرم الله
محمدا بذلك ام اهانه فان قال اهانه فقد كذب والعظيم وان قال اكرمه فليعلم ان الله قد اهان
غيره حيث بسط الدنيا له وزواها عن اقرب الناس منه فتأسى متأس بنبيه واقتص اثره وولج
مولجه والا فلا يأمن الهلكة فان الله جعل محمدا علما للساعة ومبشرا بالجنة ومنذرا بالعقوبة
خرج من الدنيا خميصا وورد الآخرة سليما لم يضع حجرا على حجر حتى مضى لسبيله واجاب داعي ربه
فما اعظم منة الله عندنا حين انعم علينا به سلفا نتبعه وقائدا نطأ عقبه والله لقد رقعت مدرعتي
هذه حتى استحييت من راقعها ولقد قال لي قائل الا تنبذها عنك فقلت اغرب عني فعند الصباح يحمد القوم
السرى انتهى كلامه عليه من الله سلامه واكرامه وفي كلام بعض الحكماء على طريق الرمز ما قال الكل
سكارى فكل بحر يغرقون كم بين حائر في الظلمات زحزح عن ضوء الشمس وبين حائر اغرقه
ضوءها في قربها الاقرب وقال ايضا بالحق قوم لا يشغلهم صدمات الاسباب ولا يجزعون
من البلاء فان البلاء ما احاط الله به عبده وقوافل الرجال ولو سلكت لوجدت عليه آثارهم ولعرفت
اخبارهم فكل ارض لم يصبها صيب من الضباب ... فقال ان ... الله حبا
جزاك من ان تعبده خوفا فان العبد بالتخويف دين اللئام وقال لنفسك يا انسان افضل
ما يمكن وتنزهها عن جنبات الامور ... وقال اسلك سبل الله ايها الفكور
بقلب يقظان ... النجم والطلب ... الكلام القريب الاقرب وان كان في العلو الاعلى فخرا
وقدرا فقال الكلمة لا تبطل بالوا ... ولكن تنفع ... عن الفضائل ... مثلا
وابطلها بطلا وان كان الشاغلات من بنات الظلمة ... على ... الوجود كله باسره
وقال لا يزال اهل السيف الجاهلين ان يلتقي ... الشهوة الملتبسة بالحسن في الطريق ان يبسط
بذلك وطوايف من البزاة ... نعرج ان يحب
البطن والفرج في الدارين لعنوا لعنا بقطع ادبارهم وبدعهم الى سوء البرازخ المشحون بالعذاب

وقال يحيى بن معاذ مثقال ذرة من الحب احب الي من عبادة سبعين سنة بلا حب قال ابو القاسم
القشيري الشوق نار الله اشعلها في قلوب اوليائه حتى يحرق ما في قلوبهم من الخواطر والارادات
ورأى بعض الشيوخ بشر بن الحارث في النوم فقال ما فعل ابو نصر التمار وعبد الوهاب الوراق فقال
تركتهما الساعة بين يدي الله ياكلان ويشربان قلت فانت قال علم الله قلة رغبتي في الاكل والشرب
فاعطاني النظر اليه وعن علي بن الموفق انه قال رايت في النوم كاني ادخلت الجنة فرايت رجلا
قاعدا على مائدة وملكان عن يمينه وشماله يلقمانه من جميع الطيبات وهو ياكل ورايت رجلا قائما
على باب الجنة يتصفح وجوه قوم فيدخل بعضها ويرد بعضا قال ثم جاوزتهما الى حظيرة القدس
فرايت في سرادق العرش رجلا قد شخص ببصره ينظر الى الله لا يطرف فقلت لرضوان من هذا
فقال معروف الكرخي عبد الله لا خوفا من ناره ولا شوقا الى جنته بل حبا له فاباحه الله النظر اليه
الى يوم القيامة وقال ابو سليمان من كان اليوم مشغولا بربه يكون غدا ناظرا اليه وقال الثوري
لرابعة ما حقيقة ايمانك فقالت ما عبدته خوفا لناره ولا حبا لجنته فاكون كالاجير السوء بل عبدته
حبا له وشوقا اليه وقالت في معنى المحبة نظما احبك حبين حب الهوى وحبا لانك اهل لذاك
فاما الذي هو حب الهوى فشغلي بذكرك عمن سواك واما الذي انت اهل له فكشفك لي الحجب حتى اراك
فلا الحمد في ذا ولا ذاك لي ولكن لك الحمد في ذا وذاك قال بعض اكابر العلماء في معنى نظمها انها
ارادت بحب الهوى محبة الله لاحسانه اليها وانعامه عليها بحظوظها العاجلة وبحبه لانه اهل
[illegible] جماله وجلاله الذي كشف لها وهو اعلى الحبين واقواهما ولذة مطالعة جمال الربوبية
التي عبر عنها النبي صلى الله عليه وسلم في الحكاية عن الله اعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا
اذن سمعت الحديث واعلم ان بعض العباد قد يعجل لهم بعض هذه اللذات [illegible]

الدنيا الآن فهذا معنى صفاء قلوبهم ولطافة اذهانهم الى الغاية ولهذا قال بعضهم اني لا اقول يا رب
يا الله فاجد ذلك اثقل على قلبي من الجبال لان النداء يكون من وراء حجاب وهل رأيت
جليسا ينادي جليسه وحكي ان رجلا جاء الى ابي يزيد فقال بلغني انك تستعين على عبادة
ربك فقال يا ابن اخي ان كنت تعرفه لان ادنى منازل العارف علمه بانه ليس به شيء من الحول والقوة
فاذا علم ذلك صارت الاشياء كلها له فقال الجنيد من عرف الله حق معرفته صار بجميع حركاته
طاعة وجميع انفاسه ذكرا وجميع لحظاته انسا وجميع ارادته هوية وسئل بعض اصحاب القلوب عن
حقيقة المعرفة فقال الحيرة الغالبة في عليين وجلاله في حجب القدرة التي لا يعرفها الا من انتهى اذنيه
عن سماع البطالات واعمى عينيه عن النظر الى الشهوات واخرس لسانه عن الكلام بالفضول والآفات و
هذا وما قيل في حقيقة المعرفة والعارفون صم بكم عمي فهم وقيل من عرف الله كل لسانه [illegible] وعقل
ودام تحيره وقال بعضهم ان العارف [illegible] فوق المعرفة فالدنيا تبكي عليه بعين
الفناء والآخرة تضحك عليه بعين البقاء وكيف يقدر الشيطان ان يدنو [illegible] وباطنه الا كالبرق في
اللاطف والريح العاصف فيتباعد [illegible] من الشيطان [illegible] بلسان العزة ويفنيه بلسان الحق و
ويعطيه بلسان الفكر ويقبله بلسان المحبة ويبره بلسان المؤانسة فان اتاه من قبل العين احرقه
نور الهيبة وان اتاه من قبل النفس احرقه نور الخدمة وان اتاه من قبل العقل احرقه نور الفكر وان
اتاه من قبل القلب احرقه نور المحبة وان اتاه من قبل الروح احرقه نور المؤانسة وهو اشارة الى قوله
ان عبادي ليس لك عليهم سلطان وقال بعضهم الجنيد [illegible] على الله بين يديه [illegible] بانه
فقال انا اناديه على الغاية بين يدي الله قال عباس بن يوسف رأيت رجلا مشغولا

فلا تسئل عن ايمانه واذا رايته مشتغلا بالدنيا فلا تسئل عن نفاقه وقال بعضهم فهم قوم الهتهم
بالحظوظ وافنوا ابدانهم بالحفوظ اقلهم الى ذكر الحق سبيلا قال الحسين بن منصور بسم الله
منك بمنزلة كن منه فاذا احسنت ان تقول بسم الله تحققت بسم الله الرحمن الرحيم هو الله تقدس وتعلى
توكلي وبه اعتصامي وعنه عن شر خلقه احتجابي وهو ملجائي عند اضطراري وسؤالي اسئله بحق الله
ملهم الحق والصواب ولي الجود في المبدأ والمعاد المآب والصلوة على نبيه محمد المبعوث بفصل الخطاب
وآله المعصومين عما يوجب الاحتجاب الغائبين بالكرامة والامامة الجامعين رتبة الولاية والهداية
عليهم سلام الله في البداية والنهاية وبعد فيقول العبد المسكين محمد المعروف بصدر الدين الشيرازي
هذه نكت ورموز بليغة وجواهر بديعة من كنوز مغلقة بسورة الطارق افاضها الله على قلب هذا
العبد الاثيم وهي حظوة من عرصها الزاخر ولمعة من بدرها الزاهر فاردت ان انظمها في سلك نظام بديعا
من الرسائل المتعلقة ببعض سور القرآن وآيات الفرقان واجمعها مع سائرها معتصما بحبل من
وجه قرابتها ومنظومها وكشفت قناع الاجمال عن جمال عرائسها وابكار معانيها التي لم يطمثهن
انس ولا جان علما على ان سر كلام الله اجل من ان يحيط به تقرير وبيان وان يجمعه الآفاق واطوار لسان
وبنان لكن بمجرد الكلام كيف يشفي الحجاب له ومقلب القلوب قلبي باصبعيه نحو سائر الجهاد
ولا بعد فان يطلع الله احدا على بعض اسرار كتابه ويشرق على قلبه شيئا من انوار خطابه فان لكل نفس
طالب قسطا من نور الله قل او كثر ولكل قلب طالب حظا من آياته جل او صغر ان رحمة الله
واسعة وخزاين جوده مملوة وينابيع وجوده نابعة تفيض على من يشاء من عباده من غير منة
ولا دافعة مهيك اعلم وفقك الله لفهم اسرار القرآن وجعلك متخلصا عن اسر عالم الحدثان
ان المقصد الاقصى والعروة الوثقى في كمال الانسان الذي هو اشرف ما يوجد في عالم الحيوان

معرفة

معرفة احوال المبدأ والمعاد ولاجلها بعث الله النبيين مبشرين ومنذرين الى العباد وانزل
الكتاب نورا يهتدي به الناس في سبل النجاة والرشاد واليها يرجع فائدة الحث على
الطاعات المنورات للقلب بالترغيب والزجر عن المعاصي المظلمات المكدرات للنفس بالترهيب
وان للانسان في الجملة احوالا ثلثا يعبر عنها بالايام الثلثة وهي حال المبدأ والمعاش والمعاد
المشار اليها في قول امير المؤمنين عليه السلام والاكرام رحم الله امرأ اعد لنفسه واستعد
لرمسه وعلم من اين وفي اين والى اين فذكرها الحق سبحانه في هذه السورة الكريمة على ترتيبها
بالطف وجه واتمه واوضح بيان وابينه فنبه في اول السورة بقوله فلينظر الانسان
مم خلق امر المبدأ ومنها الى قوله انه على رجعه لقادر امر المعاش ومنها الى قوله والسماء ذات الرجع
امر المعاد ثم اكد ثبوت هذه الاحوال بالقسم وتكريره وشهودا به ثم في اثبات الامور العظيمة
المهمة معرفتها للانسان لتنبيهها وينبعث عن نوم الغفلة ورقدة الطبيعة في عالم الجهل والنسيان
ثم اشار الى جلالة قدر كتابه وعلو منصب نبيه المرسل بقوله انه لقول فصل وانهم يكيدون
كيدا واكيد كيدا فان الاول يثبت حقيقة القول والثاني يشير الى صدق الرسول وتعظيم شان
النبوة اذا علمت هذا فاعلم انه لما كان خلق السموات من اعظم الدلايل على وجود الواجب
الوجود وعظمة شانه وابهر برهانه واوضح الاسباب الموصلة الى معرفة توحيده ودوام
سلطانه وكمال جلاله وجماله وعلو شانه ورفعة مكانه عن ان يناله مكان ويقربه
زمان اقسم الله سبحانه بها فقال بسم الله الرحمن الرحيم والسماء والطارق لان فيها من الشواهد
الجلية والخفية على معرفة ذاته وصفاته ولهذا عظم الله امر السماء والنجوم في كتابه المجيد فاقسم
بهما في كثير من الايات كقوله والسماء ذات البروج وقوله والشمس وضحيها والقمر اذا تليها
وقوله فلا اقسم بالخنس الجوار الكنس وقوله والنجم اذا هوى وقوله فلا اقسم بمواقع النجوم

وانه لقسم لو تعلمون عظيم كل ذلك تنبيها على انها موضع القدسيين ومعبد الروحانيين
ومحلا بل صنع خالق السموات والارضين وايات عظيمة اذ الاولين هو الذي نورها وصورها
ودورها وبعضها في دوام اشراقه عليها وشوقها الى مزيد افاضة وربما الامر اليها
محركها بالتسبيح والتهليل وعداها التوسل الى التي بجليل فما من شخص من اشخاص الفلك الا ودونه
نفس ومعقل محركان شوقا وطربا الى حضرة البارئ وقبا الملأ الاعلى وما من جرم كروي لوفوراته
الا وفيه شواهد وايات عظيمة دالة على عظمة مبدعها ومنشئها ولهذا كرر الله ذكرها وانشأ
الى شواهدها واياتها الدالة عليها عليه سبحانه في قوله ان في خلق السموات والارض الاية
ومدح الناظرين فيها والمتفكرين في خلقها بقوله ويتفكرون في خلق السموات
والارض فقال بعد قوله ويل لمن قرأ هذه الاية ثم مسح بها سبلته اي تجاوزها من غير تفكر وذم
المعرضين عن التدبر فيها فقال وجعلنا السماء سقفا محفوظا وهم عن اياتها معرضون وقال
اولم ينظروا في ملكوت السموات والارض ولا يتوهمن احد ان معنى النظر الى ملكوت السماء بان
يمد البصر اليها فيرى زرقة السماء وضوء الكواكب وصور البروج فان البهائم يشاركه في هذا النظر
للانسان فان كان هذا هو المراد فلم مدح الله به ابرهيم على نبينا وعليه في قوله وكذلك نري
ابرهيم ملكوت السموات بل المقصود منه النظر لما فيها من الدلائل والايات العجيبة والبراهين
والشواهد العظيمة البرهان المنبهة على ثبات الحق الاول ووجوب وجوده وكمال قدرته وارادته
وتمام حكمته وجوده فنقول اما دلالتها على وجود البارئ جل اسمه من وجوه من جهة الوجود
والامكان والحدوث وطلوع الكواكب وافولها ونحو ذلك وكونها مركبات الوجود من مادة
وصورة وكونها ذوات نفوس لها ارادة وعلم وعشق ومنبع الاولى فلان وجودها
الممكن هو المحتاج الى السبب اذ الامكان لكون معناه سلب ضرورة طرفي الوجود والعدم بالنظر الى

الذات المتصفة به وهو علة الحاجة الى المؤثر لانها لما استوى طرفاها امتنع وجودها الا لمرجح
وهو الله تعالى اما ان الممكن ما استوى طرفاه فلاستحالة ان يكون احدهما فيه اولى به لذاته
لا تحتج ان لمكن طريان الطرف الاخر فهو اما بسبب او لا بسبب فان كان الاول فيستقر الاولوية
لعدم ذلك السبب وان كان الثاني فيلزم امكان ترجيح المرجوح من غير مرجح وهو باطل وان لم
يمكن طريان الطرف الاخر كان ذلك الطرف ممتنعا وهذا الطرف واجبا فيخرج في امكانه وهو
خلف الفرض واذ قد علم استواء طرفي الممكن فلابد من مرجح يرجح وجوده الى علته وهو الله
سبحانه نفيا للدور والتسلسل واما الوجه الثاني فلان الممكن ما لم يجب وجوده من موجده موثره
لم يوجد وهو الوجوب السابق واذا وجد فحال الوجود لا يمكن عدمه وهو الوجوب اللاحق
فكل ممكن محفوف لا محالة بالوجوبين السابق واللاحق وهما مستفادان من غيره لا من ذاته بل
من غيره وهو الصانع جل اسمه فلان الممكن يستصحب الاحتياج الى المؤثر حال البقاء لبقاء الامكان
المقتضي للحاجة الى المؤثر فلابد له من علة مبقية تحفظه ولا يبقيها حافظه والمبقي هو الحق
فظهر اذن ان كانت السماء يدل على وجود الحق ثم ولولا ارادة الاختصار لاطنبنا الكلام فيه واما الدليل
على امكانها فحيثيتها الباعثة للتركيب من مادة وصورة او من جسمية مطلقة وامر يخصصه بعينه
خلوها عن الانفعالات والحركات واما الوجه الثالث وهو من حيث جسميتها فلانه قد دل البرهان
عندنا على ان الاجسام من حيث جسميتها حادثة اي دائمة فهويتها الشخصية تحت حقيقة الحركة
والزمان لان الزمان من جملة مشخصاتها وهو اي الزمان اي اتصال التجدد والتقضي و
معدود الغيرات باجزائه المنفصلة عند الوهم كالايام والشهور والسنين فللسماء هوياتها
الشخصية الواقعة تحت الحركة والحدوث يحتاج الى محدث غير حادث ولا متجدد بحقيقتها والا انتقل
الكلام الى علة حدوث ذلك المحدث وتجدده ويقتضي اما الى الدور او التسلسل وهما باطلان
واما الى علة ثابتة لا يكون متغيرا اصلا وهو الواجب جل ذكره فالله سبحانه هو مقوم السموات

والارض واليه ينتهي سلسلة الاسباب والمسببات وليس لغيره رتبة الافاضة والايجاد بل التهيئة
والاعداد لا يرى الافلاك والكواكب احياء ناطقون بادلة القرآن والعقل فهي مؤثرة في احوال العنصريات
بدليل ارتباط الحوادث العنصرية بالحركات السماوية والاتصالات الكوكبية لانا نقول هذا تمسك
بالدوران وهو لا يفيد الظن فكيف البرهان وان الظن لا يغني عن الحق شيئا والمتبع هو البرهان
الذي لا يرد من الحق في القلب على ان لنا دلائل قطعية على انه لا مؤثر في الوجود الا الله وما زعم
فذلك مبني على علم الهيئة والنجوم وهو لا يدل على الربط العقلي بين الاشياء بل على الارتباطات
الوضعية والتاثير امر عقلي لا يستنبط الا بالبرهان قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين فان قلت
اسناد الحوادث اليها كفر ام لا قلت نعم كفر لكن لو قال ان المؤثر هو الله سبحانه وهو قد اجرى
حكمته على هذا النظم والترتيب وربط هذه الاثار بهذه الاسباب فلا باس اذ نسبة الاثار
اليها كنسبة القطع الى السكين والكتابة الى القلم لانها بمنزلة الصحايف المكتوبة فيها احوال الخلق
وارزاقهم وعقولها ونفوسها المحركة اياها بمنزلة اقلام الحق الاول والعقل بمنزلة يد الرحمن
والكاتب هو الله ومن انكشف له امر العالم كما هو علم ان الافلاك والكواكب لا يتحرك بما يحركها
وكذلك محركها فهكذا الى ان ينتهي الى المحرك الاعلى الذي لا محرك له ولا هو متحرك في نفسه
فهي كلها مسخرات بيده كتسخير القلم والقرطاس بيد الكاتب فالتفات العبد في النجاة الى الشمس
والكواكب بعينها هي التفات من اخذ المجرم الى القتل فكتب الملك توقيعا بالعفو عنه فيرى نجاته
من القلم والقرطاس لا من محرك القلم عليه فاخذ ويشتغل بالحمد والشكر لهما وهذا غاية الجهل
على ان القلم بما هو قلم لا حكم له في نفسه وانما هو مسخر في يد الكاتب فلم يلتفت اليه ولم يشكر
الا الكاتب فالشمس والقمر والنجوم مسخرات بامره والسحاب والمطر كلها مسخرات في قبضة القدرة
فتحرك القلم والقرطاس في يد الكاتب والمفتاح في يده يفتح الابواب كما في الادعية السجادية في الصحيفة

الكلام حيث قال الداعي بها عليه السلام في مناجاته المروية للهلال جعلك مفتاح شهر حادث لامر حادث
واذا انكشف لك ان جميع ما في السموات والارض مسخر له كما اشار اليه بقوله وقد يحيك في
السموات والارض الآية انصرف عنك الشيطان خائبا وابى عن مزج توحيدك الافعالي بشي من
الشرك المشكل فيحق المنجم والطبيب بانك لا توقعك في الهلكة الاخروية وهو الشرك في الوجود
والبقاء الى العزة فتحتاج الى سلوك طريق الموحدين لتخرج عنها وانما بفضل الله وملكوته حرز
خاصة لو فتحنا الباب اليها في مواضع تليق به واما الوجه الرابع فهو من حيث طلوعها وافولها
فلان التغير والحركة من خواص الاجسام ولو اختصها ما يستحق مؤثرا عن الطبيعة المشتركة بحيث بعض
الاجسام بها دون بعض اذ لو كانت الحركة مثلا من مقتضيات الجسمية بما هو جسمية لم يوجد جسم الا
الا متحرك وكذلك تخصيصها بوجوه مخصوصة ولها مختلفة من السرعة والبطوء والشرقية والغربية
وغيرها يحتاج الى الصانع تخصيصها بها الا بمن لكل واحد منها طبيعة خاصة تحركها على الوجه
المخصوص لانا نقول الطبيعة المختصة غير كافية في افادة الحركة وتغيرها على هذا الوجه كما ستعرفه
بل يحتاج الى مؤثر غير مستحق القوة والتاثير وهو الله سبحانه كيف وكل من انصف من نفسه يعلم ان الحجب
والحركة ولو باعتبار المادة والمحل والمتعلق بوجه ينادي عليه بالامكان والحدوث والحاجة الى
مؤثر مقدس عن التغير والتجدد ولهذا اعرض ابراهيم على نبينا وعليه السلام عن الاجسام النيرة وطبايعها
المختصة لما طلع فيها الربوبية فقال فيها لا احب الافلين بصيغة الجمع باثار والموت الا لانحطاط كونها ذوي
العقول فانه عليه السلام مع علمه بان لكل منها باطنا ملكوتيا ذا قوة نفسانية ولو فرض عقلية نفى عنهم
الالهية وحكم بان درجتهم لكونهم ذوي فقر فهي في الحدوث والافول الامكان منحطة عن استحقاق
نسبة الالهية اليها متوجها بوجهه قبل الذي فطر السموات والارض حنيفا مسلما منزها عن شرك كما حكى الله
عنه بقوله اني وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض حنيفا مسلما وما انا من المشركين واما الوجه الخامس
مهوان الهيكل لا اصل لها والا لزمت في قولها حجة فنقول مفصلهم تفصيل الكلام على تقدير علم ما

للهيولى الهيولى ويمكن الجواب بان هذا الحجة والصورة دون الهيولى لا تفعل بل تحقق آثارها بالهامة علته
وصفته فلا بد من توسط الهيولى في فعلها بل في نفسها ومع ذلك لكل منهما حاجة الى الاخرى من غير استلزام
كما علمت اما الهيولى فتحتاج في وجودها وبقائها واما الصورة ففي تشخصها وتشكلها فهما متلازمان في الوجود
معان في التحقق فلا تقابل بينهما من غير تقدم كل منهما بالاخرى وهو جزء جسم ولا حاجة فيكون هو الواجب
او ملكا مقربا عقلا بانيهم كلا منهما بالاخرى باذن الله تعالى وهذا القدر والشر واما الثالث فالسادس
وهو ان الكل من السموات محركا نفسانيا لها قوة عقلية وذلك لان حركة السماء والكواكب ليست طبيعية
لوجوه ثلثة احدها ان الحركة الطبيعية للافلاك وما فيها دائمة الحركة ما دام وجودها باذن الله وثانيها
ان الحركة الطبيعية تطلب ما تسكن عنده طلبا على اقرب الطرق فهي اذن مستقيمة وحركاتها مستديرة
كما يشاهد ولان المستقيمة لا يصلح لان يحفظ بها وجود الزمان المتصل الذي يستحيل ان ينفصل الى الاجزاء
في الوجود الا في الوهم كما قررنا في موضعه وثالثها ان الطبيعة لا تبتغي بهرب وباعث مطلوبا ولا تهرب
عن مطلوبها والسابق بخلاف ذلك فهي اذن غير طبيعية ولا قسرية اذ القسر خلاف مقتضى الطبع فهي
نفسانية حيوانية وليست في الحيوانية المطلقة مثلها اذ مطلوب الحيوان بما هو حيوان في حركة الارادية
اما جلب منفعة وهو الشهوة او دفع مضرة والغضب وهما مختصان بالابدان القابلة للنمو والذبول و
الافلاك لم يحصل من استكمالات الاجسام الناقصة الحافظة العنصرية الفطرية كالنمو والنمو بل
كظلال الانوار العالية الخاصة من بعض الجهات للمبادئ الفاعلية كالامكان ونحوه على طريق الافضال
لا الاستعداد ولهذا موضع تأمل نقلنا عنه الاشراق ولانها لو كانت حيوانية من باب الشهوة والغضب
فلا يحتمل تسكن صنوه وانه ليس بالبس فهي اذن ليست بدنية حسية فلا بد اما ان يكون غرضها شيئا
ولعقليا فيما طلبه بالحركة او مطلوبا دفعي الحصول فيسكن ان نالت او تعطلت ان لم ينل في مدة منها له
فلها مطلب كلي وليس منها ارادة كلية موجبة لعلم كلي بل على نفس ناطقة محركة لها تخيلها الجزئي الحاصل

يصدر عنها عند حالة غير طبيعية وهي موقوفة الى حالة طبيعية هي سكونها وذلك عند ارتفاع الحالة الغير الطبيعية م

المتكونين لا لارادتها وعلمها فالنفس الناطقة علة لوجودها وحافظة فيما بينها من زيادتها ونقصانها
وتمسك عما بينها في جانب الحق ويجري سفينتها باسم الله في بحر الحقيقة ثم ليس غرضها امر ملحوق
من الثناء والمدح فان الحركات الكلية الدائمة لا بد ان يكون لامر منقطع به ولا يجب الدوام وليس المخلوق
كذا فهذا حركاتها ليس لامر دنياوي في هذا العالم الذي هو موطن الاوهام وما ينبعث منها الحركات الى
تلك الاجرام الشريفة العلوية من ان يتحرك لاجلها وصاحب الحديث الصحيح يحكم بهذا قبل الرجعة الى الذهاب
في تحريكها الشوق اما ان نال ذاته او لمشتبه بصفة فيه او لمشتبه فيقتدى فالافلاك توجيهات ما سبق
من الحقيقة فمعنى الثالث وليس المشبه به جرما فلك دائما لانكات الحركات منفعة ولا نقصها دائما التامة
الحركات فلا شيئا فلحقا دائما لانفعل بل المشبه به اما الواجب سبحانه بواسطة امور عقلية مفارقة
فكثرة الجهات الحركات والتشبيهات كما قال تعالى وأوحى في كل سماء امرها واما ان الامور العقلية وقد
من انها آيتها الى الله تعالى كما علمت ولانها لما اشتركت في دورية الحركات فلها معشوق واحد
هو مبدأ الكل وغاية الكل وهو الوجود المطلق والوجود الحق ولما اختلفت في الجهات والسرعة
والبطوء فلكل منها ذات عقلية هي بالفعل من جميع الوجوه يتشبه بها وبواسطتها تتشبه بالحق
الاول فلكل منها حركاتها بعدد محركاتها العقلية ثم النقيضة لان في الحركة لا بد من دوامها كان جزئية
بقوة نفسانية يتخيل الحدود الثانية ان نسبة المراد العقلي الى جميع الحدود والمرادات الجزئية
واحدة فلا يقتضي تقديم بعضها على بعض فلكل سماء وكوكب محرك من اول تشوق منفعل فهو
نفس ومحرك غير متحرك بل مفارق ومعشوق غير منفعل بل فاعل وهو عقل ولكل محرك واحد
ومعشوق واحد هو آلة الكل ومبدأ الكل وغاية الكل فثبت ان الافلاك وما فيها متشبهة بان الحركة
بوسيلة الحركات اذ بها يحصل الاستكمالات اللائقة بها والكمال بما يوجب قربها المتشبهة من الكامل
بالفعل من جميع الوجوه فان قلت لم ما دامت الحركات منشأ الاستكمالات وهي شيء غير الحركة فلذا في
الفلكيات في جواهرها وصورها وكيفياتها وكمياتها اللائقة بها وسائر الامور الممكنة فيحققها

بالامكان العام كانت بالفعل بحسب اول فطرتها ولم يبق منها شيء بالقوة الا ما هو ضعيف الوجود
سهل الحصول من باب النسب والاضافات وهي لا ضعفها منقصر وجودها عن الجمع فيها فلو وجدت
على التعاقب لامتنا التناقضات على القوة العدمية والقام حق استعداد ذات بالعدد سبحي في استبقاها
النوعي فاخرجت اشخاصها الى الفعل بما امكنها من التبادل التعاقبي الجاري لافاضة الانوار من العوالم
الفوق الحجر الدائم على التوقف حصد الى تحصيل هذا الكمال الموجب لقرب من المقربين الى المبدا الفعال
والتشبه بما هو الاعلى الاعلى الاهال لا تفضل الى نفع السوافل الاعلى نحو النسخ والاستخدام والازم
كونه لا علة لكمال الفاعل ومن ظن ان التشبه بواحد ولكن الافلاك حيث بين عرضها نفع السافل
عند استواء الجهات كرجل خير اخذ سلوك احد الطريقين المتساويين له لنفع السافل فلما لم يجز ذلك
في اصل الحركة لغالبها على لعجز لتعيين الجهة وليس علينا ان نعلم كنه ذلك التشبه الا بنفسه حيث نرى
من انفسنا عند هم تزلزلنا ولهما حيا بامور روحانية عند سماع ايات قرانية او نفرات نهايته سبحه في الحال
العاكفين حول جناب الحق كيف ينبغي ذلك تحرك لحمها في فتحيها هنا دقايقا ما شعور بها وتقشعر منه
جلودنا كما قال الله تعالى الله نزل احسن الحديث كتابا متشابها مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم
ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله فعلى بنية في حركاتها كالمناجي مع ربه مامور وهيئة في جذبها حتى
من عشاقه بحسب ما يتفكر فيه تحركاتها اذن عبادة ما فلكية وصلوة ما ملكية لاستجلاب سوانح
النور وعود فيض الحضور لهذا الشرائية يمكن ان يراد بقوله والسماء والطارق سماء عالم الصغير او سماء
العالم الكبير لصحة اطلاقها عليها بحسب المفهوم وهو الفوقية والاحاطة فان كان الاول فيكون
اشارة الى ما هو الانسان بما فيه من انواع القوى الظاهرة والطارق فاشارة الى نفس الناطقة او يكون
السماء اشارة الى النفس الناطقة لانها محل الواردات الغيبية الالهية كما ان السماء محل عجايب صنع الله

فير

فسير الكواكب وحركتها المختلفة سرعة وبطوء ورجوعها واقامة واستقامة ونسب بعضها
الى بعض بالمقارنة والمقابلة والتثليث والتربيع والتسديس والخسف والكسف وساير اوضاعها
وحالاتها على سبيل احوال القصص الادراكية للنفس والاحكام العملية لها كاقتران بعضها مع بعض
ومقابلة بعضها البعض والتعاكس بينها والتقارب والتباعد في المقدمات القياسية وانتقاض بعضها
ببعض واحتجابه بذلك فيكون الطارق اشارة الى ما يرد عليها من العالم الالهي والفيض القدسي
من السوانح الملكوتية والمواهب الربانية وان كان الثاني فيكون المراد من السماء مجموع الافلاك بما فيها
ومن الطارق المختص الكواكب واما المفارقات النورية المتعلقة بها تقريبا منيرة او تنويرها
وافاضة وتنويرا فوجل اسمه وما ادريك ما الطارق النجم الثاقب كما ان حقيقة الانسان هي روح معنا
ونفسه الناطقة وعقله المدبر له كذلك حقيقة كل ذي روح عقلي كما يقع اطلاق اسم الانسان على كل من
النفس والبدن وعلى المجموع لتشكل باعتباركا حق في موضعه كذلك التسامح ايضا اطلاقا للفظ
في كل ما له روح وجسد حقيقته كالكوكب هي نفس المدبرة وعقله الفعال على هذا كان الطارق اشارة
الى جنس المفارقات العقلية ينبغي ان يراد بالنجم الثاقب عند الذي يثقب ظلام عالم الامكان بنوره وبارقة
على مادة الكواكب ويطرد العدم عن ماهيته بافاضة وجوده عليها كما ان جسم الكواكب بضوئها النوري
وطبعها النورية الحسية يثقب ظلام عالم الاجسام بضوئه فينفذ فيه ولذلك ايضا يقال للكوكب
درى لانه يدرى الظلمة اي يدفعها واما وصف الطارق فلانه يبدو بالليل في عالم الحس عند احتجاب
الشمس عن الابصار كما ان حقيقة العقلية يبدو على العقل في ليلة ظلمة الامكان وجهة الغيب
الامكاني قبل اشراق شمس الحقيقة على البصاير الناظرة لا زالة الغشاوات الامكانية الظاهرة على
انا الحجب الاعيانية ولذلك يقال في اللغة للاتي ليلا طارق وقيل لانه يطرق الجني اي يصكه
والجهة الثانية بحسب عالم الحس جنس النجوم او بعض الشهب التي يطرد بها الظلام او يرجم بها الشياطين

كما يرجم شياطين النفوس الوهمانية عن بلوغ سماء عالم الحكمة بانوارها العقلية وفي الكشاف فان
قلت ما يشبه قوله وما ادريك ما الطارق النجم الثاقب الا ترجمة كلمة واحدة فبين لي اي فائدة تحته
قلت اراد الله عز من قائل ان يقسم بالنجم الثاقب تعظيما له لما عرف فيه من عجيب القدرة ولطيف الحكمة وان
ينبه على ذلك فجاء بما هو صفة مشتركة بينه وبين غيره وهو الطارق ثم قال وما ادريك ما الطارق
ثم فسره بقوله النجم الثاقب كل هذا اظهار لفخامة شانه كما قال فلا اقسم بمواقع النجوم وانه لقسم لو تعلمون
عظيم قوله جل اسمه ان كل نفس لما عليها حافظ هذا جواب القسم سوى كانت ان نافية وذلك في قراءة
لما مشددة بمعنى الا او كانت مخففة من الثقيلة وذلك في قراءتها مخففة على ان ما صلة اذ على
التقديرين والقراءتين هي مما يتلقى به القسم اي ما كل نفس الا عليها حافظ مهيمن عليها رقيب
او ان كل نفس لعليها قائم مهيمن وانما ادخل سور الموجبة الكلية في الشق الاول على النفس ليعم جميع النفوس
من المفارقات والفلكيات والعنصريات والحافظ الرقيب لها على جهة العموم هو الله سبحانه لقوله وكان الله
على كل شيء رقيبا وكان الله على كل شيء مقيتا ولكل نفس رقيب خاص وهو ملك يحفظ عليها ويحصي عليها
ما تكسب من خير وشر وروي عن النبي وكل بالمؤمن مائة وستون ملكا يذبون عنه كما يذب عن
قصعة العسل الذباب ولو وكل العبد الى نفسه طرفة عين لاختطفته الشياطين وللنفوس الانسانية
رقيب واحد عقلي يسمى بروح القدس عند اهل الشرع وبالعقل الفعال عند الحكماء ويترجح ان بحسب (?)
القراءتين وسياق الاية انتهى فان قيل اذا حملتا على الحقيقة كان ذلك صحيحا واما اذا حملت
على الثانية فيكون المعنى ليس كل نفس فيكون السور سور السلب الجزئي فلا يتم فاوجه التوفيق بين
القراءتين قلنا يجاب عنه من وجهين الاول ان السور وامثاله من المصطلحات الحادثة فلا يجب تطبيق
كلام الله عليه واللفظ في وجه يفيد العموم لانه نكرة وقعت في سياق النفي على ما هو مبين في كتب

عندهم

الاصول

الاصول والعربية والثاني انه لما ثبت بالدلالة العقلية ان لكل نفس حافظا وقد عبرت عنه القراءة
الاولى فالقراءة الثانية وان دلت على السلب الجزئي فالاولى ان يحمل على العموم مجازا وليصرف السلب
الجزئي على السلب الكلي بصرف العام على الخاص وذلك اذ الخلاف لا يرتبط بشيء كما تقرر في عالم البرهان (?)
ليحصل التوافق بين القراءتين والجمع بين الدلالتين هداية عقلية من تامل في حال النفوس الانسانية
علم يقينا ان لها حافظا عقليا هو ملك من الملائكة المقربين وله جنود واعوان من جنس الملائكة
الذين هم تحتهم بعضهم تحت المقربين كما دل عليه الحديث المنقول انفا وذلك لان النفس جوهر مجرد
اما جوهريتها فلكونها محل الصفات المتعاقبة عليها مع بقائها فهو من خواص الجوهر واما تجردها
عن المواد فبادلة كثيرة منها انها تدرك المعقولات وهي معان مجردة مما سواها فكل ادراك فهو
بحصول صورة المدرك او حضوره عند المدرك وكل ما يحصل في جسم فانه لا يخلو عما يلزم الجسم في
وجوده الانفعالي وتخصصه المادي مثل الشكل والمقدار والوضع وغيرها فلو حصل معقول في جسم
لكان يحصل له مقدار وشكل ووضع وكان يخرج من ان يكون معقولا بل يكون محسوسا متخيلا ينفعل
عن الجوهر هذه الصفة ومنها انها تشعر بذاتها ولو كانت موجودة في جسم او الة لم تشعر بذاتها
لعدم حضورها لذاتها بل لما هي الة ذاتها ولذلك اشار معلم الفلاسفة ارسطاطاليس الحكيم كل
راجع الى نفسه فهو روحاني اذ لو كانت في الة لا تدرك ذاتها الا عند ادراك الة فكانت بينها
وبين الة اخرى وبينهما الة اخرى لا تدرك ذاتها ولا تدرك الة ذاتها الا بالة اخرى متوسطة
بينها وبين الة والنفس تدرك ذاتها بذاتها وتدرك الة بذاتها لا بالالات لحضورها
بذاتها حضورا اشراقيا عند النفس من غير حاجة الى صورة اخرى وبالجملة فكل موجود في الة فذاته
لغيره وكل ما نال ذاته فذاته له لا لغيره فيكون مجردا عن الاغيار ومنها انها تدرك الاضداد

مغايبجث يمتنع ان يوجد على ذلك الوجه في المادة ومنها ان البدن في التحلل والذوبان دائما
لاستيلاء الحرارات الغريزية والغريبة الداخلة والطبيعة عليه والنفس ذاتها عينها لانك
انت الذي كنت صبيا وشابا بعينك فتعاليت عن الانطباع وان تكون نفس المزاج ومنها انك
تذهل عن كل عضو من اعضاء بدنك احيانا من قلب ودماغ او غيرهما ومن البدن مجموعا وخصوصا
وقت النوم او السكر ولا تذهل عن ذاتك فانت وراء ذلك كله فانت انت لا بدنك ولا بجزء
بدنك فتعرفها ولا تكن كالذين نسوا الله فانساهم انفسهم ولهذا المطلب وجوه كثيرة
من البراهين والاقناعيات لا نطول الكلام بذكرها وفيما ذكرناه كفاية للمحق بصيرة ان شاء الله
واذا ثبت انها جوهر غير جسمي وهي قابلة لادراك المعقولات بالقوة اولا ثم بالفعل فلها مراتب
اولها الاستعداد المحض ويسمى به العقل الهيولاني ثم استعداد آخر قريب عند حصول اوائل العلوم
البديهية لادراك الثواني اما بالفكر او بالحدس ويسمى به العقل بالملكة ثم يحصل لها بعد ذلك قوة وكمال
اما القوة فهي ان يكون لها حالة بسبب الانظار والفكر والمشاهدات بها يحضر المعقولات متى شاءت
من غير طلب وتعب وهذا هو اقرب الاستعدادات ويسمى به العقل بالفعل لكونه بحيث ينبغي ولو لم
يعقل ما يعقل واما الكمال فهو ان يكون المعقولات لها حاصلة بالفعل مشاهدة ويسمى به العقل
بالعقل المستفاد وعند ذلك تشبهت بالباري صائرة عالما عقليا يضاهي العالم في الصورة لا في
المادة واذا علمت هذا فاعلم ان مخرج النفس من القوة الى الفعل في كمالها العقلي ليس ذاتها اذ
الشيء لا يخرج ذاته من النقص الى الكمال والا لكان الشيء اشرف واكمل من ذاته ضرورة ان المعطي للكمال
لا يقصر عنه ولا جهة الفعل غير جهة الانفعال وهي ليست جسما ولا جسمانيا من مادة وصورة حتى تفعل

١ص٢٣

باحديهما وينفعل بالاخرى ولا ايضا الجسم هو مكمل النفس لان مرتبته دون مرتبتها ولا نفس اخرى لانها
من نوعها اذ لا اولوية لبعض افراد طبيعة واحدة بحسب ذاتها النوعية ولان النفس بما هي نفس
لا توجد الا باستعمال الجسم ومسامتة الوضع والا لكانت عقلا محضا وكم من نفس مرتبته رامت لتخرج
نفسا من القوة الى الفعل فمنعت من الحق انك لا تهدي من احببت فمخرجها الى الكمال ملك روحاني
عنده صور الاشياء بالفعل وهو فعال المعقولات ويفيضها على قلب من يشاء باذن الله والحجة
ان النفس اذا غابت عنها صورة عقلية كانت ادركتها فلها الرجوع اليها من غير سبب كسب
فلا بد لها من خزانة عقلية يحفظ لها المعقولات عند ذهولها وليست الخزانة نفسها او جسمها
اما الاول فلعدم تميزها بحيث يحفظ ما تدرك وتتصرف وبالآخر يحفظ ويخزن واما الثاني فلما علمت
من ان المعقول لا يحل الجسم المنقسم بالمقادير الوضعية فاذن لها مكمل هو ملك مقرب عقلي لم يكن فيه
جهة القوة والاستعداد اصلا والا لكان نفسا محوجة الى مخرج آخر اياها ومكمل لها فيتسلسل او يتقرر
وكلامنا فيه او ينتهي الى محض عقل بالفعل وهو مطلوبنا فلكل نفس لها حافظ من جواهر الملائكة
المقربين يحفظ لها ما عليها لانها اذا اتصلنا به فاض علينا بالانوار وكتب في قلوبنا الايمان لانه
قلم الحق الاعلى واذا اعرضنا عنه بالتوجه الى المحسوسات محي الكتابة ونفوسنا كمرآة اذا قوبلت
الى جهة نقابها عن الكدورات والمعاصي قبلت واذا اعرضت او احتجبت تخلت ونسبته الى نفوسنا
كنسبة الشمس الى الابصار وليست مقدماتها موجبة للنتيجة لانها الوسائط والعرض لا يوجد سببا
بل المقدمات معدات والواهب غيرها فان قلت ما الحاجة الى اثبات هذا المبدأ العقلي
بعد اثبات الحق الاول قلنا النفوس كثيرة لا بد لها من مبدأ ذي جهات كثيرة في الفاعلية والجهات
الكثيرة مرتبتها منحطة عن مرتبة الذات الاحدية الصرفة بمراحل كثيرة فلا بد من وسائط بيننا

بيننا وبينه لغاية بهجته وعلوه ونهاية عجزنا وقصورنا فلا نصل الى جنابه الاعلى حتى نرتب حجابه
وفي الحديث ان لله سبعين الف حجاب من نور وظلمة لو كشفها لاحرقت سبحات وجهه كل ما انتهى
اليه بصره فاذا تحقق ذلك فاعلم ان الله سبحانه خلق للانسان جنودا وحفظة غائبة عن عالم الحس
تخدمه وتحفظه عن الآفات وتكتب عليه اعماله وتضبط له احواله فبعض هذه الجنود مبادي الادراكات
والانفعالات وبعضها مبادي التحريكات وبعضها كتبة الاعمال وبعضها حفظة الاحوال ولكل
صنف منها رؤساء ومرؤوس وخدام ومخاديم فخدم المبادي الادراكية مبدء نظري سبيل ما
عليها اربعة مخاديم عشرة مرتبتها دعوته هو ينظر اليها ويتحقق بها كما يستخدم هو غيرها من
صور اشياء تكون من نوعها او جنسها ولبعضها جنود واعوان لا يمكن احصاؤها كثرة وانبثت
في مملكة البدن ليس في موضع فلم يخلو منها وعنده المبادي التحريكية سبل سوق تخدمها
ولجنود ما حادثه مات لاحدهما تخدمه لجلب ما تشتهيه من الاشياء الكثيرة الملائمة للطبع والاخر
تخدمه لدفع ما تكرهه من المضار والمنافيات للطبع ولهما جنود غير محصورة تجلبها سوقها منها
بمنزلة الدعائم والوزراء للوفق لكل منها اسم خاص عند الله وصفة خاصة وفعل خاص ولكل
منها محل خاص هو موضع سلطانها ومحل عالم هو موضع تصرفاتها وقد مكن الله جميعا على
التصرف في مواد الاجسام الحيوانية والنباتية وغيرها مما في الارض بالجذب والدفع والقبض والبسط
والحبس والامساك والاحالة والتبديل والنمو والالصاق والقصور والتشكيل كما اشار
بقوله وخلق لكم ما في الارض جميعا كما قد مكن الله جميع النفس الاولى على التصرف في صور تلك المواد
وعوارضها وتنوعها ولمضارها ولمخايلها في صقع النفس وعالمها وتقطيعها وتلجزها وتاليف

بعضها

بعضها ببعض وانهاجها الى غير ذلك من انحاء التصرفات كالحفظ والاسترجاع كل ذلك
بامر الله المطاع بعنايته بتعمير هذه النشأة الانسانية في هذا العالم كما دل عليه الحديث المنقول
انفا في معنى قوله ولو وكل العبد الى نفسه لاختطفته الشياطين انه لولا افادة الله له هذه
الجنود الباطنية الطبيعية والنفسانية حتى يفهم ويدبره مدة في هذه الدنيا ليتزود في
الاخرة بالاعمال الصالحة ويكتسب المعارف الحقيقية بتاييد الملك المعارف الكلية لاختطفته
شياطين هذا العالم من الجواهر الطبيعية والنفسانية المستولية على الاجسام بالافساد والقطع
والتحليل والقتل والاهلاك فان بدن الانسان في معرض الآفات ومعرض البليات كالحرق
بالنار والغرق في الماء والسحق والنزول المفرط من الهواء والخسف والزلزال من الارض وشرب
السموم والادوية الضارة الجمادية والنباتية ومصادفة العقر الحيواني كالسبع الضاري والكلب
العقور والافعى ومواجهة الحيات الانسية وغير ذلك فكل هذه من قوابع الشياطين بصدد اختطاف
العبد في هذا العالم ان وكل نفس الى نفسه ولم يحفظه الحفظة بامر الله ولولا افادة الله بتعقب له
المخلصين جنودا الذين يحفظونه ويذبون عنه في طريق الاخرة عن اختطاف ضرب آخر من الشياطين
وهم الذين يريدون ان يسمعوا الى الملأ الاعلى فيقذفون من كل جانب دحورا ولهم عذاب واصب
الا من خطف الخطفة فاتبعه شهاب ثاقب ويقول بعضهم على الله شططا من اثبات الصاحبة والولد
سبحانه ويحكم على حكم المحسوس بالمحسوس والافق الذي خلص من اضلالهم وافسادهم ووساوس
وعدهم بالتردي بقادم على الخير فادانتهم بالباطل على صورة الحق والحق على صورة الباطل والله يهدي
من يشاء الى صراط مستقيم فقوله جل اسمه فلينظر الانسان مم خلق لما من سبحانه ان كل نفس لما عليها حافظ
ومبدأ الوجود وهو علة الفاعلية اذ دان بهديه سبيل معرفة الله تعالى وصفاته وافعاله اذ بها

ثم حيوته الكاملة في النشأة الآخرة وبعضها من الجهالة وعلائق الرتبة بعذاب الابد فهي متوقفة
على معرفة النفس لان النفس سلم المعارف كلها والمرقاة الى الحضرة الالهية بمعرفتها منشأ معرفة
الحق واما صفته وفعله والشيء ذو الاسباب لا يمكن العلم به الا من جهة العلم باسبابه وكل الاسباب
اربعة في المركب فاعل وغاية ومادة وصورة وفي الامر البسيط كالنفس ثلثة لان صورته
ذاته بخلاف المركب فان صورته ليست ذاته بل جزؤه وعلة جزئه الاخر بمعنى اخر كما ان المادة جزئه
الاخر وهي ايضا علة الصورة لا بهذا المعنى بل بمعنى اخر فالانسان صورته نفسه الناطقة ومادته
حاصلة من الطين اللازب ثم من النطفة المركبة من العناصر الحاصلة من الاخلاط الاربعة ومن لطائفها
وبخاراتها الارواح البخارية ومن كثائفها ومن رواسبها الاعضاء ويتوسط بينهما الاعصاب
والعروق والاوردة والشرايين والعضلات ومجموعها البدن وهو المادة القريبة للانسان
المأخوذ منها جنسه وفصله مأخوذ من النفس التي هي صورته وفاعله الملك المقرب فيه باذن الله
باسم ملك ذكره لقوي موكلة على السموات والارضين كما اشار اليه بقوله عليها حافظ وغايته
عبادة الله وطاعته كما اشار اليه بقوله وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون فاذلك امر
معناه بالنطق فاسباب ماهيته ووجوده في النشأة الاولى فليعلم ويستدل بها على فطرته
على النشأة الثانية لكانه عليه وعلى بعضه ولقد علمتم النشأة الاولى فلولا تذكرون اي حال
نشأتكم الثانية والطريقة ترتيب امور معلومة للتادي الى المجهول فانه خلقنا الانسان صورته
من حيث هي صورته من هذه النشأة واما فاعله وغايته فلهما النشأة الاخرى والمادة قبل
غير زمان تقدمت معرفتها وسبيل النطق اليها والاستدلال بها على غيرها فقال فلينظر الانسان
مم خلق خلق من ماء الاستفهامية المستعملة لطلب تمام حقيقة الشيء او شرح ماهيته ودرسها

قبل

باقل الوجهين بعد معرفتها البسيطة الطالبة للتصديق بوجوده وبالثاني قبلها اذ فالعلم بعلم شرح الاسم
لا يطلب معرفة وجوده فاجاب بقوله جل اسمه خلق من ماء دافق يخرج من بين الصلب والترائب
والدافق صب فيه دفع ومعنى الدافق اما المدفوق كعيشة راضية بمعنى مرضية والغرض فيه الاسناد
الى الدافق الذي هو مصب لاقيام المصدر به كالحداد والمشمس واما الاسناد المجازي لان الدافق
للنسبة كالقطع لصاحب السكين قال الفراء واهل الحجاز يجعلون الفاعل بمعنى المفعول في كثير من كلامهم
نحو سر كاتم وهم ناصب وليل نائم وانما قال من ماء ولم يقل من مائين مع ان الاصل المولود منهما
جميعا لامتزاجهما واتصالهما ماء واحدا في الرحم حين ابتداء الخلقة واما قول بعض الاطباء
ان ماء المرأة هو الاصل كاللبن وماء الرجل للانعقاد كالانفحة فهو قول يرجع لا يعبأ اليه
على ان الدافق لا يليق به بل الحمل على مني الرجل اولى لانه كالصورة المركب ومني المرأة كالمادة لرد الشيء
بالصورة هو بالفعل وبالمادة هو بالقوة اولا ترى ان نسبة المولود الى الاب اولى من نسبته الى
الام يخرج من بين صلب الرجل وترائب المرأة وهي عظام الصدر والصلب فيه اربع لغات بفتحتين
وبضمتين وبالضم والسكون وبصيغة الفاعل وقيل الكاف في العظم والعصب من الرجل واللحم
والدم من المرأة وهذا ايضا مؤكد لما مر من كون مني الرجل هو الاصل ان قلت ثبت ان مثل العظم
والعصب من الاعضاء الاصلية متكونة من المني والزائدة كاللحم وغيره متكونة من الغذاء فان قلت
ان النطفة تتكون من فضلة الهضم الرابع وتنفصل عن جميع الاعضاء حتى يستعد ان يتولد منه
تلك الاعضاء فلم قال يخرج من بين الصلب والترائب التي هي عظام الصدر قلت اختلف الحكماء
والاطباء في الانفصال المني عن جميع الاعضاء او عن الانثيين فقط فيكون المني متشابه الاجزاء
او مختلف الاجزاء فارسطو وشيعته ذهبوا الى تشابه اجزاءه لانفصاله عن الانثيين وذهب بقراط
وشيعته الى انه ليس متشابه الاجزاء لانه يخرج عن كل البدن فيخرج من اللحم شبيه به ومن العظم شبيه

به وهكذا من جميع الاعضاء فاجزاؤه غير متشابهة الحقيقة بل جاذبيها متخالفة حسب اختلاف ما
ما انفصل عنها وهو غير متشابه الامشاج بل متشابه الامتزاج متقبل عند الحس والكل من الطرفين
حجج كثيرة مسطورة في كتب الطب اما ما تمسك به ابقراط في تصحيح مذهبه فمنها عموم اللذة لجميع البدن
ومنها المشاكلة الكلية فلولا ان لكل عضو منه سلا قسطا لما كان المشاكل بحسب عضو واحد ومنها
مشاكلة عضو الولد بعضو ناقص من الابوين وعضو في شامة او فيناه وقد قدح ارسطو في هذا
المذهب وابطله بوجوه احدها ان المشابهة تقع في الظفر والشعر وليس يخرج منهما مني وثانيها
ان المني لا يرسل الاعضاء الآلية مع ان المشابهة تقع فيها وثالثها انه يلزم كون المولود في الرحم انسانا
ورابعها جواز ان تكون الولد من مني المرأة وحدها لانفصاله من جميع اعضائها وخامسها ان الحيوان
قد يسفد مسفادا واحدا فيتولد منه اكثر من واحد فلو لم يكن منيه متشابه الاجزاء لم يتولد منه
الا واحدا وسادسها مشابهة الولد لجد بعيد لا الوالدين فقد حكى ابو علي في حيوان الشفا ان واحدة
ولدت من حبشي بنتا بيضاء ثم هي ولدت بنتا سوداء وسابعها كثير من الحيوانات يلد من غير
جنسه وثامنها لزوم كون المني حيوانا صغيرا جمع الفريقين وفي الكل نظر وذكره يؤدي الى التطويل
وعلى التقديرين بيان الجواب عن ما طلبت اما على مذهب ارسطو وتابعيه فللقرب الى موضع خروجه
المني خصا بالذكر واما على مذهب الاخرين فلورود هذه الفضلة من الاعضاء الى الانثيين بعدما ورد
على هذه العظام صلب الرجل وترائب المرأة ولذلك ورد استحباب وضع اليد على ثدي المرأة عند ارادة
المجامعة معها قبل الدخول لتشتد رغبتها بتهيج مادة الشهوة وتحريكها من ذلك الموضع وفي
الكشاف الترائب عظام الصدر حيث يكون القلادة وقيل الترائب اليدان والرجلان والعينان
عن الضحاك وسئل عكرمة عن الترائب فقال هذه ووضع يده على صدره بين ثدييه وقيل ما بين

المنكبين

المنكبين والصدر عن مجاهد وقيل المشهور في كلام العرب انها عظام الصدر والنحر وتحقيق
قيل ان المني متشابه الاجزاء والقوة المولدة لا شك انها قوة عديمة الشعور والادراك وعلى
تقدير شعورها وادراكها فسبيلها سبيل البسائط المؤثرة على نهج واحد ونسبة متشابهة
والتي هذا شانها اذا فعلت في مادة متشابهة الاجزاء وجب ان تفعل فيها فعلا واحدا
متشابها فكان يلزم ان يكون المولود من المني كرة فاحتج لها الطبع وحده والشاهد خلافه
وهذا هو الحجة في اثبات كروية البسائط وهذا الشك مدفوع لا بما ذكره صاحب التفسير الكبير
من ان اللازم المذكور وهو كون المولد كرة لا يتم على تقدير كون المني متشابه الاجزاء ابقية لانا
اذا فرضناه مركبا فلا بد ان يكون الاجزاء البسيطة حاصلة فيه بالفعل ولكل منها قوة بسيطة
تفعل في مادة بسيطة فيجب ان يكون كل واحد منها كرة فالمولود من المني كرات منضمة بعضها
ببعض فهذا ايضا فاسد لانه يعيد الاشكال بل لانه لا يلزم من اقتضاء القوة البسيطة في استدارة
الجسم المتشابه الاجزاء المقادير التي ابيناها من اجسام مختلفة الصور كالبسائط العنصرية والفلكية
اقتضائها الاستدارة للجسم المتشابه الاجزاء المقادير التي ما الفنا اجسام مختلفة الصور لظهور الفرق
الفاحش فان القوة البسيطة تمنع اختلاف اثارها في الامزجة في الثاني لاختلاف المادة المنفعلة فيها
بنية الجزء لكل عضو مادة يليق به ثم بافادة الصورة ما يحسن لها من التصوير والتشكيل وكذا
ولبعض الحكماء كلام في هذا الباب ليس ببعيد عن الصواب لا باس بذكره وهو ان المادة المنوية
تشتمل لا من واحد هو النفس ولكن النفس لها الات ولوازم وقوى متخالفة تجعلونها من
الاتحاد فيجب ان يكون في المادة استعدادات بالقوة مختلفة متفقة على ضرب من وجوه الوحدة
في كيفية المزاج كاتحادات تشتملها الاشياء الى مبدأ واحد لان اختلاف الاستعدادات في المادة لمو

بالفعل فكانه اشار اليها فركب تركيب كل قوة يجب ان تكون فيها هيئات هي لوازم لتلك
القوى بها تصير فعالة وبسبب هذه الالات ينقسم عضو واحد الى اعضاء كثيرة وبسبب اختلاف
ترتيبات القوى يختلف اوضاع هذه الاعضاء كما ان بالعلوم والمعقولات التي وجبت اولا
والعقول يحصل ما بعده وكما ينتقش في العقول تلك الصور على سبيل اللزوم من دون شركة
المادة واستعدادها فكذلك ينتقش في القوة المصورة من النفس هيئات تنبعث منها صورة
شكل الانسان بشركة المادة لوجود هذه القوة في المادة فتبين انه يجب للمتفكر ان يعلم ان النفس اذا
تعلقت باول عضو كالقلب صار البدن شيئا فان النفس يحيي الحيوان بالقلب وان يفيض وجود عامة
الاعضاء ما دام صلوحه للتعلق باقيا وهو كونه ذا بخار لطيف فيجري فيه ولكن انما يتم نزع الروح
الذي يصلح لحمل قوى الحس والحركة في الدماغ لحصول الاعتدال هناك على وجه الكمال كما ان قوى
التغذية يتم فعلها بالكبد وحينئذ حاملها من القلب لجميع هذه القوى ولا يستقل من القلب الى عضو
كما زعمه المخالف هذا القول مبدأ الحس في الدماغ لكن افعال الحس لا يتم به بل باعضاء اخرى فانما
وقع هؤلاء فيما وقعوا لغفلتهم عن ان القلب هو بالحقيقة العضو الرئيس الذي به يصير الجسم حيوانا
ذا نفس وما سواه خادم له والكلام في تفصيل الالات والقوى النفسانية وكيفية ظهورها
وكيفية تكون الجنين خروج عن طور هذا المقام والتفصيل في الانعام قوله جل اسمه انه على رجعه
لقادر بين الحق سبحانه في الاول حال المبدأ للانسان بان ينظر مبدأه ومادة وجوده
واشار ثانيا الى ان يعلم من اصل خلقته ومادة طينته ما ينتبه به امر معاده في نشره ومعاده
وليكتسب الحكمة الخلقية والترتيبية والدينية ويعلم ان محل العجز والافتقار ومقام النقص والاضطرار
ليس له على شيء بل ولا على نفسه سلطان ويستفيد من ذلك العلم بقدرة الحق وسلطانه و

حكـ

حكمة ببرهانه وتفرده بوجوب الوجود واستغنائه عن كل وجود واشار بان لا معاد الا وان يمكن
مقدور عليه ولا يتم الا من القدرة الالهية والحكمة الجبروتية ولما كان العلم بالموت من القضايا
التي لا شبهة فيها اعرض عن ذكره صريحا وتكلم بالمعاد الذي هو من مزال الاقدام ومداحض العقول
والافهام وتعرض لبيانه على وجه التعريض والتلويح ورب تعريض ابلغ من التصريح فقال انه
الضمير للخالق كما دل عليه خلق لقادر لبيني القدرة لا يتأتى عنه شيء من المقدورات ولا يعجز بعضها
ان الذي خلق الانسان ابتداء من نطفة هي امر بالقوة في غاية الوهن والسخافة وقبول الاثر والفساد
فهو قادر على اعادته والتنكير في قوله لقادر للتفخيم اي لقادر واي قادر ونظيره انه الفرد ومنحى
الرجع تدلى الى القول خالص الحسن والجبائي وقتادة ان الذي خلقه ابتداء من هذا الماء يقدر على
ان يرجعه حيا بعد الموت وعن عكرمة ومجاهد انه لقادر على رجع الماء في الصلب وعن الضحاك انه
على رد الانسان ماء كما كان قادر او قال مقاتل بن حيان كان يقول انه قادر على رد الانسان
من الكبر الى الشباب ومن الى الصبي ومن الى النطفة ومن الى الاحليل ومن الى الصلب فكيف لا يقدر
على حياته بعد الموت والاصح القول الاول لا تحول جل اسمه يوم تبلى السرائر منصوب برجعه
اللهم الا ان نصب بجعل الضمير في رجعه للماء وفسر برجعه المخرجه من الصلب والترائب او
الاحليل او للانسان وفسر برده ماء او نطفة ومعناه يظهر مضمر السرائر الاخبار والمعنى
جمع السريرة وهي ما استتر في القلوب من العقائد والنيات وفي النفوس من الاخلاق والصفات
وبلاؤها تعرفها والتمييز بين حقها وباطلها وحسنها وقبيحها وطيبها وخبيثها كما قال الشاعر
ستبقى لها في مضمر القلب والحشا سريرة ود يوم تبلى السرائر وعن الحسن انه سمع رجلا ينشد
هذا البيت فقال ما اغفله عما في والسماء والطارق يعني اعلم ان الله خلق الوجود كله

عوالم منها برزخا ولاخرى ويعبر عن كل منها بيوم فكل يوم من ايام الدنيا مدة دور الفلك
الاعظم وربما يطلق على زمان دورة القمر بل على زمان دورة الشمس ايضا وهو مجموع سبعة
الاف سنة وكل يوم من ايام البرزخ الف سنة مما تعدون وسبعة الاف سنين مما تعدون وكل يوم
من ايام الاخرى وهي ايام الله يكون خمسين الف سنة لقوله تعالى تعرج الملائكة والروح اليه في يوم كان
مقداره خمسين الف سنة فخلق الجسم من الدنيا والنفس من البرزخ والروح من الاخرة وجعل الوسائط القدم
الحاكمة الثلاثة لنقلها من عوالم الانسان ثلثة ملك الموت ونفخة الفزع ونفخة الصعق فالموت
للاجسام والفزع للنفوس والصعق للارواح فاذا كان الانسان في هذه الدار كان الحكم فيها
لظاهر الجسم وهو المقهور بشاهد الحس والمباشر للاحكام والافعال التي تناسبه وتليق به والنفس
واحوالها والروح واسرارها مستتران في وجوده مختفيان تحت حجابه ومحجب صفاته واثاره
والامدادات متصلة بهما بواسطة فاذا جاء الحق تنتقل النفس والروح الى دار البرزخ اماتت الجسم
بواسطة ملك الموت واعوانه ثم نشأت النفس في البرزخ النشأة النفسانية المثالية وتكون في
عالمها البرزخي وكانت هي المشهود بجوارحها ومشاعرها فان للنفس في ذاتها سمعا وبصرا
وذوقا وشما وهذه الحواس الدنياوية ظلال لتلك الحواس وحجابها ولا ترى انها تنفتح
وتعمل عملها عند فقد هذه الحواس كما في المنام والنوم اخ الموت وهي ايضا هنالك مباشرة للاحكام
وقادرة على الافعال بنفس تلك الحواس لان مبادي الحواس ومبادي الافعال هناك متحققة ولا
يومئذ مستقلة بالجسم والروح بواسطتها وصورتها في البرزخ على صورة ما غلب عليها من الاعمال
والاخلاق والنيات فقوله تعالى انه على رجعه لقادر اي على رجعة النفس والذكر بتأويل انها

يمن

بين الانسان المذكور صريحا او المخلوق المذكور ضمنا واليوم في قوله يوم تبلى السرائر يوم البرزخ
وهو القيمة الوسطى اذ فيه يحشر بعض الخلق لانه يوم ملك الضمائر النفسية وكشف الظواهر الجسمية
وفيه يحشر الناس على صور نياتهم كما ورد في الحديث وورد ايضا يحشر بعض الناس على صور تحسن
عندها القردة والخنازير وذلك لاستيلاء الصفات الشهوية والغضبية على نفوسهم اكثر مما تستولي
على نفوس تلك الحيوانات وفيه يميز الخبيث من الطيب لقوله تعالى ليميز الله الخبيث من الطيب وفيه
امتياز المجرمين عن المؤمنين كما في قوله تعالى وامتازوا اليوم ايها المجرمون فالبرزخ عالم متوسط بين عالمي الدنيا
والاخرة المحضة كالشفق والفجر بين الليل والنهار وهو مستقر الانفس والارواح المنتقلة عن هذه الدار
من بعد الزمان الى حين انقضائه لقيام الساعة الكبرى والقيمة العظمى ولذلك يعبر الحاكم فقال الله تعالى
ومن ورائهم برزخ الى يوم يبعثون لهم فيها رزقهم بكرة وعشيا وقال النار يعرضون عليها غدوا
وعشيا يعني في البرزخ ثم يخبر عن الاخرة بقوله ويوم تقوم الساعة ادخلوا آل فرعون
اشد العذاب لان فرعون وآله كانوا من اهل الشقاوة العقلية والحجاب الكلي عن رؤية ربهم
كما اشار اليه بقوله كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون وذلك لمكان استعدادهم وفطرتهم بسبب
من علمهم العلوم الجدلية والحجابات السفسطية ومما يدل على عالم البرزخ ايضا قوله فاما الذين
شقوا ففي النار خالدين الابيات واما اهل جنة البرزخ وجحيمه كان مدة الخلود فيهما مقيدة بدوام
السموات والارض فاذا انقضى حكمهما حكما ونفسا بالتبديل الاخروي الى عالم العقل والجبروت
وموطن الارواح العقلية انقضت مدة الخلود فيهما فخلودهما الا مدة وجوده برزخيه وليس كذلك
دوام اهل الاخرة الكبرى اذ لا امد لها فلا وجود لها مقيد بوجود غيرها ومما يدل على البرزخ
ما ورد ان ارواح المؤمنين في حواصل طير بيض وارواح الشهداء في حواصل طير خضر ترعى في
الجنة وتأوي الى قناديل معلقة بالعرش ومعنى حالة الروح في جنة البرزخ حين تصور النفس

بالصور الانسانية البرزخية فهو هذه الحالة في عالم بين العالمين عالم الاجسام وعالم الارواح
فاذا اراد الله نقل الانفس من دار البرزخ حين كمال اليوم الدنيوي نقلت الانفس من البرزخ
بنفخة الفزع وتعاد اليها الاجسام الدنيوية كما قال الله تعالى ويوم ينفخ في الصور ففزع
من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله ثم بين ان نفخة الفزع مخصصة بنقل الانفس
من دار البرزخ بقوله تعالى وكل اتوه داخرين فقال ايضا مخبرا عن النشأة الاخروية الروحانية بقوله
ثم الله ينشئ النشأة الاخرة ففي هذه النشأة تكون بعد محو الارواح حين يقول سبحانه لمن الملك اليوم
فلا يجيبه احد فيجيب نفسه لنفسه فيقول لله الواحد القهار وذلك لان المجيب قبل ذلك هو الروح
الناطقة المجيبة المقرة الطائعة فلما اوجب عليها هذه الوفاة المميزة لها صفة الحدوث المنزهة لباريها
بصفة القدم اجيب بهذا الصعق وهو نهاية الاجل المسمى عند المنزهة بحسب النشأة ثم يحيى من هذا
الصعق بالنفخة الثانية بمزيد اختصاص التجلي الاكمل في المظهر الاعظم المظهر للاسماء الباطنية التي [illegible]
نبه عليها بقوله على ما نعى عنه فاحمده بمحامد لا اعرفها الان ففي هذه النشأة الاخروية الروحانية
كانت الروح هي المشهودة المباشرة للاحكام الاخروية والنشر والجسم [illegible] فيها مختفيات
عنها [illegible] الله يبدأ الخلق ثم يعيده ثم اليه ترجعون [illegible] النشأة الثالثة والله
اعلم [illegible] فالذي [illegible] قوة ولا ناصر القوة كالسمع والبصر والنامية والغاذية
والناصر كالاهل والولد والخيل والبغال وكلاهما مسلوبان في النشأة الثانية عن الانسان ودنياك
لا تحجبها بالاسباب العرضية والعلل الخارجية الاضافية التي تختص وجودها بهذا العالم
وهو عالم المواد والاستعدادات الناشئة عن جهات القابلة والحركات واما النشأة الاخروية
فالمبادئ هناك ذاتية لا اضافية والجهات منحصرة في الجهات الفاعلية الاخذة من المبدا الاعلى

بلا

فيكون الحكم منحصرا في ذلك اليوم الحكم والاقتدار بحسب التمكن والاقتدار والقدرة والاختيار فلا قوة
ولا منعة للانسان في ذلك اليوم يمنع بها فلا ناصر ولا دافع يمنع ويدفع عنه لانقطاع النسب
الوضعية والاسباب العنصرية البشرية فالامر يومئذ لله يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء ليس لاحد
غيره ملك ولا سلطان ولا قدرة ولا قوة على شيء بل الكل يكونون يومئذ مشغولين بانفسهم
يوم يفر المرء من اخيه وامه وابيه وصاحبته وبنيه لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه فان قيل هل فيه
دليل على نفي الشفاعة قيل لا لان الضمير في قوله يرجع الى الانسان وهو كالمهمل في قوة الجزئية هذا
ما قيل ويحتمل قوله تعالى لكل امرئ يومئذ شأن يغنيه انه يدل على العموم والحق ان الشفاعة لا تثبت
الا بعد تحقق المناسبة الذاتية بين الشافع وما يشفع له وكون الشافع من الوسائط العقلية لا [illegible]
فلهذا لا ينافي ثبوتها كلية الحكم المذكور اذ السلب من جهة والايجاب من جهة اخرى كما علمت قوله جل
اسمه والسماء ذات الرجع والارض ذات الصدع هذا قسم اخر منه سبحانه تاكيدا للامر العظيم والرجع
سمي رجعا كما سمي اوبا لانه يرجع ويئوب كل حين من باب اطلاق المصدر وارادة المشتق او من باب
حمل معناه عليه مبالغة ولارادة التفاؤل فسموه رجعا واوبا بالرجع ويئوب ولا يبعد ان يقال سمي
بالرجع لان الريح يرفع الابخرة والادخنة من البحر والارض ويبرزهما الى الجو فينعقد سحابا ماطرا
فيهبط بالمطر ويرجع الى حيث رفع منه لان السيول والاودية تجريان منصبان الى البحر جرا وقيل رجع
السماء اعطاؤها الخير الذي يكون من جهتها حالا على مرور الازمان فيرجع بالغيب وارزاق
العباد ولاحد ان يقول السماء ذات الرجع لاستدارة حركتها فهي في كل ان ترجع الى موضعه تقدرا او
انها ذات الرجع لكونها ذات كواكب راجعة في سيرها ويسمى الكوكب رجعا باحد الوجهين المذكورين
وهي الخمسة المتحيرة لكون كل منها في فلك غير شامل الارض يسمى بالتدوير على فلك شامل لها يسمى
بالحامل بنسبة حركة احدهما وهو التدوير الى حركة الاخر سرعة اعظم من نسبة نصف قطر الاخر الى نصف

وقيل رجع السماء اعطاؤها الخير الذي
يكون من جهتها حالا بعد حال على
مرور الازمان فيرجع بالغيب و
ارزاق العباد مقدم م

فلكه ونسبة حركة الآخر الى الاول بطئا بالعكس كما هو مبين في علم الهيئة فعلى هذا هذه الآية و
يوافق ما نقل عن ابن زيد في مجمع البيان ان المعنى بالرجع شمسها وقمرها ونجومها لانها تغيب
ثم تطلع ويحتمل وجها آخر وهو ان الانسان لما كان عالما صغيرا فيه جميع ما في هذا العالم فلا يبعد
ان يراد بقوله والسماء ذات الرجع الدماغ وما فيه من القوى المدركة والمفكرة وما يحصل
من الاحوال المذكورة والالهامات والعلوم بالوجه المذكور وان خصت الرجع بالقوة
المذكرة التي يقال لها المترجمة ومحلها التجويف المؤخر من الدماغ كما عرفتها فانها وظيفته
عندنا ويل السماء بالدماغ ينبغي ان يأول الارض ببدن المعدة او الكبد يتصدع عما ينبعث
منه الاغذية والاخرية والصدع اسم ما يتصدع عنه الارض من النبات او تتشق به من الانهار والعيون
بحبوها ولا يبعد ان يراد من الارض والنبات قلب الانسان اعني النفس الناطقة وبحسب استعداداتها
الثابتة منها بامداد العقل الفعال الذي هو كالسماء فان النبات له انواع متفاوتة واصناف
مختلفة فيكون بعضها اشارة الى المرتبة الاولى للاستعداد وهو العقل الهيولاني الذي هو اول
مراتب النفس القابلة للمعقولات الكلية وبعضها تلويحا الى ثاني مراتبها المسمى بالعقل بالملكة الحاصل
باستعمال الحواس وحصول الاوليات وهو مناط التكليف وبعضها ايماء الى المرتبة الثالثة وتسمى
حينئذ عقلا بالفعل عند تحصيل النظريات لها بحيث انها متى شاءت والتفتت اليها حصلتها
بلا كسب وتعمل وبعضها اشارة الى المرتبة الرابعة وهو حصول العلوم الكلية والحقائق العقلية لها
مشاهدة ويسمى العقل المستفاد المتحقق في دار المعاد وعند هذا التاويل يكون معنى السماء
ذات الرجع العقل الفعال لانه يرجع النفوس من هذا العالم الى ما منه هبطت منه في المحل الاعلى
كما قال بعض الحكماء هبطت اليك من المحل الارفع ورقاء ذات تعزز وتمنع وما اشبه حال

هذه

هذه المرتبة المراتب الحاصلة من ارض النفس الناطقة بمباشرتها عالم العقل بحال المواليد الحاصلة
من الارض فان الجماد بازاء العقل الهيولاني لما فيه من قابلية كونه غذاء للانسان والنبات بازاء
العقل بالملكة لما فيه استعداد تغذيته للحيوان وخصوصا الحبة من الحبوب التي تكون في الانسان
بازاء العقل بالفعل لانه قريب الهيولاني ببعيدها انا والانسان الحسي بازاء العقل المستفاد الذي
هو الانسان العقلي فتأمل فانه كثير الجدوى قوله جل اسمه انه لقول فصل وما هو بالهزل هذا
جواب القسم ولذلك يقال له الفرقان والضمير للقرآن يعني ان القرآن يفصل بين الحق والباطل
بالبيان عن كل واحد منهما وهذا هو المروي عن الصادق عليه السلام فان قلت لم يسبق ذكر القرآن
ليصح رجوع الضمير اليه قلت الامر كذلك الا ان سوق هذا الاخبار لان وصفه بكونه فصلا ليس
يشعر بان المراد هو الكتاب العزيز الذي هو لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه
وقيل معناه ان الوعد بالبعث والاحياء بعد الموت قول فصل اي مقطوع به لا خلاف ولا ريب
فيه فلا يبعد ان يراد بالقول ما هو بمعنى التكوين على ارادة المعقول ويكون اشارة الى تحقق البعث
ففيه يتميز الحق من الباطل ولهذا يكون يوم القيمة يوم الفصل لان الاخرة دار الفصل والتميز ولا
تفرق فيه المختلفات معنى ويتميز فيها الاشياء صورة ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون بتفرقها
والدنيا دار اشتباه ومغالطة يتشابك فيها الحق والباطل ويجتمع فيها الخير والشر والنور
والظلمة وان صدق على الاخرة انها يوم الجمع لان هذه الازمنة والامكنة المتمادية سبب لاحتجاب
الكائنات بعضها عن بعض فاذا ارتفعت الحجب بين الخلائق وجمع الخلائق في
كلهم الاولون والآخرون قل ان الاولين والاخرين لمجموعون الى ميقات يوم معلوم فلهذا يوم

الجمع ويعم الفصل ولا منافاة بين هذا الجمع وذلك الفصل بل هذا يوجب ذلك كما قال سبحانه
هذا يوم الفصل جمعناكم والأولين وما هو أي القرآن بالهزل بل هو جد كله أو القول بوقوع
الساعة ليس بمجازفة بل له حقيقة وعلى التأويل الذي ذكرناه يكون معناه أن تكوين القيامة
ليس عبثا بل الغرض المجازاة وإصابة كل أحد بما قدمت يداه على نحو قوله تعالى وما خلقنا السماء
والأرض وما بينهما لاعبين وذلك لأن الهزل والإعراض والعبث ينبئ عن نقصان فاعله أو
قصور فطنة وأنه سبحانه هو الكامل المطلق والقيوم بالحق والعزيز العليم الذي لا يحوم حول ساحة
عزته وجلاله نقصان تكيف عليه إرادته وتعتريه اثبات عن نوع زائد على ذاته يقهره ويعرض
بجبره لأن كبرياءه أرفع من أن يتطرق إليه سبيل الحدث وجنابه أشمخ من أن يتخطاه فلم يمكن فقد جل
جناب الحق عن أن يكون شريعة لكل وارد أن يطلع عليه إلا الواحد بعد الواحد سبحانه فاستغن يا نفس
عن الهزل واللهو وتخلق بأخلاق الله الواحد الأحد واستيقظ عن نوم الغافلين وانتبه عن
رقدة الجاهلين الذين لا يهمهم إلا هواهم ولا يحركهم إلا مناهم وتنبه ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع
قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق يا من ضيع العمر في الهوى واسلكي سبل ربك بالجد الان لان الذي
قدمت وما انفقت بلغت ... الحسين وما خرجت عن باب عتبتك قدما الى دخول منازل
المقربين اللهم اتمم لنا نورنا واغفر لنا ذنوبنا انك على كل شيء قدير وبلغنا اللهو في حق
قوله جل اسمه انهم يكيدون كيدا وأكيد كيدا الضمير راجع الى مشركي مكة أي يعملون
المكايد والحيل في ابطال القرآن واطفاء نوره ويأبى الله إلا أن يتم نوره ويكايدهم بمقابلتهم
أي يقابلهم بنقض تدابيرهم وهدم مكايدهم وسمي جزاء الكيد من حيث انه عليهم ولا وظفوه

اخر

اخيرا على نحو الاستدراج وبعده ولا يبعد أن يراد بالكايدين القوى النفسانية وخصوصا
الوهمية المكارة المنازعة للقوة القدسية في طريق الحق فإنها وإن كانت منازعة اياها
الا انه باضافة نور الهدى على قلب عبد المؤمن واعطاؤه البرهان اليقين القدسي وتأييد الله
التام الحدسي يغلبها فوقها على كلها ويظهرها عليها ويخلصها من كيد القوى سيما الوهم الذي
هو خليفة الشيطان ويجعلها مسخرة خادمة للقوة القدسية مطيعة منقادة تابعة معها الى جناب
الحق مسلمة مسالمة بعد ما كانت اشد منازعة متأبية عن طاعة الحق كافرة جاحدة كشف استار الكيد
اليه بمجاز من باب المجاز كما هو الظاهر فيكون علاقته هو المراعية كقوله تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها والملاقاة اسم
على الصفات وترتب الغاية فقط او مشاكلة الفعلية فكذا الموضع تأويله باعتبار الغايات لا باعتبار
المبادئ كالرحيم والمنتقم وغيرهما مما لا يليق مباديها من انفعالات بالبارئ في الموصوف بها مكيده تعالى
من انواع الكيد والكيد من حيث لا يشعر استعارة سوء فعل الكائدين بكيده والمعنى انه تعالى يجازي الذين
كفروا والابطال القرآن واطفاء نور الرسول الذي هو هدى للناس ورحمة او ابطال نور القوة
القدسية التي هي نور يهتدي في ظلمات بر المحسوسات وبحر المعقولات بكيد منه وله ليكيد فيبطله
الكاذب على يد الكتب السماوية وينظم الدين الذي يصدع به على الدين كله ولو كره المشركون ويغلب
النور القدسي على ظلمات سائر القوى الوهمية والخيالية والحسية التي بعضها فوق بعض
ان يشيد الفعلين بالمصدر المؤكد وتنكيره اشعارا بان الامرين شأن عظيم وخطب جليل
الحق ابلج والباطل لجلج وجاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا قوله جل اسمه فمهل الكافرين
امهلهم رويدا امر نبيه بأن يمهلهم ولا يتصدى للانتقام منهم ولا يشتغل بمكافأتهم وعداوتهم
ولا يقدم على مجادلتهم ومبادأتهم وان ينتظر بكيد الله عنه ومناصلة دونه ومن ثم جاء بالسينية

في عالم الانسان فيجذبها الى عالم القدس بابطال كيد جنود الشيطان م

ليبطل عليه انه اذا علم ان الله يكيدهم ويذهب عنه لوعة امهالهم والوثوق بصنع الله بهم من قوله
رويدا ان النصرة نابتة عما قريب فانه اسم الامهال اليسير ان كان المراد عذاب يوم بدر فالمعنى ولا تعجل
على قطع هلاكهم بل اصبر عليهم قليلا فان الله يجزيهم لا محالة بالقتل والذل في الدنيا وان كان المراد
عذاب يوم القيامة ونكال الاخرة فالمعنى قلل الامهال فلا محالة يحل بهم باس الله وانتظرهم وارض
بتدبير الله فيهم وقضائه عليهم لان ما هو كائن آت لا محالة فهو قليل والنكتة في تكرير اصل
اللفظ مع تغيير الهيئة افادة زيادة والتسكين منه والتصبر عليه وقال ابن جني قوله فمهل الكافرين
امهلهم رويدا غير اللفظ لانه اراد التوكيد وكره التكرير فلما تجشم اعادة اللفظ انحرف عنه بعض الانحراف
بتغيير المثال فانتقل عن لفظ فعّل الى لفظ افعل فقال امهلهم فلما تجشم الثالث جاء بالمعنى وترك اللفظ
قطعا فقال رويدا لما كانت قرابته عن امهل بحمائته ان في الاية تنبيهات على علو منصب الرسالة
وكمال عناية الله في شان الرسول لحملها انه لم يامره بمكايدتهم ومماكرتهم ابدا بانهم لبيسوا من
معارضة باعتهم اخس واحقر واذل من ان يستحقه لخلقه منهم ومنها تنبيها انه قابل
كيدهم بكيده تنبيها بان الله للرسول بمنزلة المحب الموافق او الاب الشفيق للولد حتى يكون
مخاصمتهم لخاصمتهم لله وما لكنا الاشارة الى ما كل من خلاف امره ونهيه اذن جريمته الله
كما اليه الاشارة بقوله من اذى وليا فقد اذنته بالحرب وفي رواية من اهان لي وليا فقد بارزني
فكيف بالانبياء من هو سيد الانبياء والكل اوليا ومبارزته ومنها انه امره بان يمهلهم ويمهلهم
فلا تشتغلن بطلبهم ومنهم فلا تشوش خاطرك المنيرة ولا بكيد ولا يوقع خاطره الشريف بالتفكر

في خصومتهم بل المنجي في استدفاع مضرتهم واستكفاء مؤنتهم الى جناب الله الحق المجازي لهم على مكايدهم
وسائر افعالهم السيئة اسوء الجزاء من غير ان يسعى هو في ذلك تعظيما لشانه واجلالا لمكانه وتنزيها
لباله ونفسه لعينه الذي هو محل الواردات الغيبية ومورد النكات الالهية ومحاسنها ان
تطريق المفهوم على نيله خاطره بانه يبتدأ عدته فان المخفى امهلهم ان ولا تكايدهم في
الكف كيدهم وادفع شرهم فاكف بكفايتنا واستظهر بعنايتنا فانا نعصمك من الناس ونكفيك
الناس ونعيذك من شر الوسواس الخناس كل ذلك طمانينة له وتسكينا لقلبه النفيس وفيه
ايماء الى انه ينبغي لمن يرتقي الدعوة ويدرج في الحيل ويبطل المدعوين بها ان يتظافر ولا يتفكر في
ضحو ان ينتقم منهم من تقربت هدايته وبلغ الهداية تم الكلام رجاء ان يجعلنا من المهتدين
حامدين لله على نعمه وسوابغ منه ومصلين على ملائكته وانبيائه واوليائه على حبيبه محمد
وخاتم النبيين واهل بيته وعترته الطاهرين جعلنا الله من الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون
بفضله وكرمه وجوده ونعمه فلقد فرغ الفراغ عن تسويد هذه الحواشي الشريفة في العشر الاول
من شهر محرم الحرام المطابق لسنة ثلث وستين والف من الهجرة النبوية حامدا منيبا الى الله العلام
الوهاب الغافر للذنب بكرمه العميم ثم جلّ عن ما يقول الظالمون علوا كبيرا ومصليا على نبيه واله
اجمعين علي بن الخلخالي الى الله الغني جعل الله اعتقاده مائلة بنا واسخا في محبة اهل البيت بسم الله الرحمن الرحيم
لا يبلغ عند وعي البصائر النافذة في حجب الغيوب وسرادقات الملكوت في وجه معنى صلى عنه
الوجود على اتم الوجوه وهو الذي عبر عنه خالج الحجب في لسان العرب بقول الله والمعنى بذوي
البصائر من يدرك وجود ذلك المعنى من غير مقدمة عليه كما هو حال اهل النظر وذلك المعنى في

ويتقدس عن ان يطمع منه خيفة بطونا ظاهرة وسبحانه عن ان يطمع طامع في حلول ذلك
فهو المتعزز بذاته لا بعزة فلان وفلان دون نفسه هي التي اقتضت هذا التعزز على الغير كما ان الشمس بذاتها
تقتضي في سلطانها وكمال اشراقها ان تكون متعززة عن ان يمتد اليها ابصار الخفافيش وهو المثل
الاعلى ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر ولولا انه ذكره في القياس المقتضي للاذن لما جرى
قلم هذا الحبر على ضرب مثله وكيف لا يستحيل ضرب المثل في حضرة من ليس كمثله شيء فالشيء المثال الذي
ضربناه ليس بتمثيل الكمال المقصود فانها لا يقتضي بذاتها الا تعززا وتعاليا لان وجودها
مستفاد من الغير مع جميع صفاتها وليس في الوجود موجود له ذات يحق لها حقيقة الوجود
سوى الواحد القهار الذي هو منزه عن كل كمال لا يدركه الانبياء والمقربون فضلا عن نقصان
تخيله ضعفاء العقول الذين يحكي عنهم القديم ويقولون يظنون بالله ظن السوء عليهم دائرة السوء
فلعزة ذاته على عموم الخلق قال في كتابه الكريم سبحان ربك رب العزة عما يصفون ولكمال كرمه
وغاية عنايته بعباده نزه نفسه عن النقصان تلطفا بهم وتعطفا عليهم فقال جل من قائل
لم يلد ولم يولد ولم يتخذ صاحبة ولا ولدا وهو منزه في بصائر العارفين عن الكمال الذي يمكن ادراكه
للخلق حسب تنزهه عن الجاهلين عن كل نقصان

كل ممكن وجد يجب وجوده بالقديم هكذا جرت سنة الله تعالى في الملك والملكوت ولن تجد لسنة الله تبديلا
وكل ما لم يوجد بعد فمحال الوجود لعنى به الا بذاته والمحال لا يكون مقدورا وما لم يوجد الشيء مقدورا فالقدرة
الازلية لا توجده وبيان ذلك ان السبب في وجود الموجودات هو الله سبحانه وتعالى وهو موجود
ولا مانع من وجود المسبب مع وجود السبب الا بفقد الشرط لان وجود المشروط مع عدم الشرط محال وهيهنا

محله شروط الممكن اوجب القدرة الازلية وجوده بالضرورة وما لم يوجد شرطه فهو واجب الوجود
اما لذاته واما بغيره فكل معدوم فهو محال الوجود اما لذاته واما لغيره فقد اعوز الشيء اذا
احتاج اليه واعوزه الدهر اي احوجه ان شئت اذ ليس بعد الواجب والمحال ولا حائل يحول بينهما
واما الامكان فحد فاصل بينهما ولا حقيقة له اصلا كالنقطة الوهمية التي تفرض على خط مستقيم
ولا الحد الحاصل بين الماضي والمستقبل من الزمان وكان لو لم يحدد الماضي متصلا باول حد
المستقبل واما الحد الذي يفصل بينهما فلا حقيقة له الا في الوهم فانك اذا فرضت نقطة وهمية على
خط الزمان فانقسم الى الماضي والمستقبل لم يجد شيئا فاصلا بين الماضي والمستقبل نحو من خط
الزمان حتى يكون هو حقيقته الحد الفاصل وهي النقطة المفروضة في الوهم

اذا خطر بالبال ان الله تعالى لم يوجد امرا يرجع اليه وهو مع انه غني من يبتغي محال الامر من الطرفين
الطبع المحض ولا يوصف الله تعالى بذلك فاعلم ان هذا السؤال يجري في اكثر العقول العقلاء وهو الخاطر الذي
خطر لداود حيث قال يا رب لم خلقت الخلق فقال كنت كنزا مخفيا فاحببت ان اعرف فكان
المعنى الذي يقتضي صدور الوجود عنه هو الذي كنى عنه بقوله فاحببت ان اعرف فلا يتصور ادراك
ذلك للعارفين واما مسبب العقل ان يسأل على وجوده من وجود الموجودات فذلك بعد
ما يتحقق عنده ان الله تعالى عالم بالجزئيات بحيث لا يشك فيه فان العقل اذا تحقق اسناد
الموجودات اليه وتحقق بعد ذلك علمه بالايجاد صفة مرتبة للوجود لذلك الذات كان العلم
بتلك الصفة مرتبة فكما لا يجوز للوجوب ان لا يكون قديما فلا يجوز له ان لا يكون صادرا عنه
الخلق فكان قول القائل لم كان مصدرا للوجود كقوله لم كان قديما فالجواب انه لو لم يكن قديما
لم يكن واجبا ولو لم يكن واجبا لما كان موجودا ابدا لم يكن واجبا فمن تحقق اسناد الوجود اليه فلا بد وان

وان يقول الايجاد صفة له فنقول هذه الصفة ان كانت نفس حقيقة الوجود له فالسؤال باق عن كونه
موصوفا بها هو كالسؤال باق عن كونه فاعلا وان كانت غير نفس حقيقة الوجود له وهو صفته
ما فهي خارجة عن ذاته والعوارض تحتاج الى العلل والواجب يأبى بذاته ان يحتاج في شيء
الى شيء والا لم يكن واجبا من عجائب الآيات قوله فلنقصن عليهم بعلم وما
كنا غائبين وهو مشعر بان كل شيء حاضر له وانه حاضر مع كل شيء فلذلك لا يعزب عن علمه شيء
واما قوله عز وجل وسع كل شيء علما فان استعمال السعة فيه مع ذكر العلم العجيب من كل عجيب
وبيانه ان الموجودات مستفادة من علمه وعلمه محيط بكل شيء كما قال عز من قائل احاط بكل شيء
علما فالحق ان الله تعالى هو الكثير والكل وان ما عداه هو الواحد والجزء لا بل وكل ما سواه فليس بجزء
فوحدانيته الا من الوجه الذي يلي كثيره وكثرته وتحمله لهذا الكلام الغامض في نفسه ما لا يطلع الا
عالم واعلم ان الشمس وان كانت واحدة والشعاعات الفائضة منها كثيرة فالحق ان يقال ان الشمس
هي الكثيرة والشعاعات هي الواحدة واذا كان العلم المستفاد من وجود المعلوم يسمى علما وهو علم
الخلق فكيف لا يسمى الصفة الالهية التي هي مبدء الموجودات كلها علما بل الاولى والحق انه لا يطلق اسم العلم
الا عليها فان اطلق على غيرها فبالمجاز المحض والتوسع البعيد والاشتراك الصرف من حيث الحقيقة
عند العارف وان كان العلماء يحكمون بان اطلاق لفظ العلم على علم الله تعالى وعلم الخلق بطريق
التشابه فقول من قال بان الله تعالى مقدس لا يعلم الجزئيات تعالى عن قولهم علوا كبيرا كان مذهبه
معتقده من جهة ان علم الجزئيات داخل تحت الماضي والمستقبل فظن ان تغيرها يوجب تغير العلم
بها وهذا هو عين الجهل المحقق لان الزمان جزء من الموجودات لانه عبارة عن مقدار الحركة والحركة

من صفات الاجسام خاصة ومعلوم ان الاجسام احسن اقسام الموجودات الصادرة من العلم الازلي
والموجودات كلها ازليها وابديها مستفادة منه فليس وجود العلم الازلي موقوفا على وجود
شيء بل وجود كل شيء موقوف على وجوده فاذا كان الزمان جزءا من الموجودات كما بيّن فكيف
يجوز ان يقال يلزم من تغير بعض الموجودات تغير علمه وانما كان يصح ذلك ان لو كان
علمه متوقفا على وجود الموجودات كما هو حكم علم الخلق فاذا لم يكن علمه كذلك فلا يلزم من تغير
من الموجودات تغير العلم المحيط بها لان الموجودات كلها الى الله تعالى وحده فالحاضر من الازمنة
والماضي منها والمستقبل متساوية النسبة اليه والموجودات اذا نظرت اليها بنظر العقل ترتيب
فان بعضها متقدم على البعض كتقدم المفرد على المركب ولكنها اذا اضيفت اليه ونسبت الى الواحد
الحق تساوت نسبتها اليه فهو واسع وأسع كل شيء علما اي لولا علمه بوجوبه لما وجد والذي
وجد والذي لم يوجد داخلة على التساوي تحت علمه المحيط الذي يعجز افهام الخلق دون
ادراكه وتتلاشى عقولهم تحت ملاحظة حقيقته وتتحير اوهام دون الوصول الى اثر من
آثاره ازلا وابدا على اصل علم الخلق كالابصار لذات الشمس شعاعا اصلا فالمثال المحسوس الذي
يشهد بنظر العوام عليه وكيف لا وعلمه الازلي كان موجودا قبل هذا الزمان وقبل جميع الموجودات
كما هو الان موجود وليس لعقولنا الضعيفة ان تدرك علمه بالجزئيات على ما يجب ولكنها
تدرك عجزها عن درك ذلك كما يدرك الوهم عجزه عن درك حقيقة موجود لا يكون داخل
العالم ولا خارجه ولا متصلا به ولا منفصلا عنه فلا يمكن ان يعبر عن حقيقة العلم الازلي من طريق العلم	به ولا منفصلا عنه
الا بهذه العبارة الموضوعة لمعنى غير معنى اريد بها ههنا ولذلك تتشوش العقول والافهام
دون ادراك ذلك فمن قصر عقله وفهمه وعقله عن ادراكه بالعجز على قوة فهمه فليكره ان ينظر
في فهمه ههنا ان يتفتح له بابه وليستعن بالله عز وجل على التوفيق لها بالجهد القلب من العجب

لما نعجز عن الادراك المختفي فيه ولا نبادر الى التكذيب دون التوقف فيه فهذا معتقد قوم عقلوا
بجمع سنين في العلم القديم ما يعتقده سائر العقلاء حتى يهديهم الشهود فضلا منه وكرما
لا استحقاقا منهم واستحبابا والله تعالى شاء بذلهم معرفة بعجز عقولهم عن ادراك الامور الالهية فمن طمع
ان يحيط علمه وعقله بحقيقة علم كان موجودا قبل الكون ومثل القبل وهو سبب وجود الموجودات
ومحيط بالكل احاطة لا يتصور ان يكون وراءها احاطة فقد طلب بعض الامور الا دون على معقول
طائر وهو التوهم وطمع في تناول العيوق وما خلع الحقيقة عن عزيزه العقل واما الذي
ان يعد شاكا من الجاهلين عند اهل العقل فقولنا العجز عن ادراك علم الازل من الكمال لا بل من
المجاهد عن ادراك علمنا به حجابا كثيرة ومثبتة على الى علينا كثيرة فلا ترى الى فعلنا وكما يستحيل
في قدرتنا اختراع شيء بعد المجادة لا من شيء وليس كذلك يستحيل في قدرته الازلية لانه بديع السموات
والارض اي موجدهما ومخترعهما لا من شيء فكذلك يستحيل في علمنا ان يتغير المعلوم ولا يوجب تغيرا
منه لان علمنا مستفاد من العلوم ولا يستحيل ذلك في علم الله تعالى الذي يستند اليه وجود الموجودات
كلها نعم لما كان العقل يدرك في اول نظره تفاوتا بين القديمين ولم يدرك تفاوتا بين العلمين
تاه في الحكم فوقع في هذه الاغلوطة وينحل بهذه الاحجية والله تعالى فوق العقل ومحيط بعقل
وكيف يتصور ان يحيط العقل به وبصفاته ولحاطه الجزء بالكل في غاية العقل البعيدة من ضرورات
الوجود الحاصل منه وقد ذكرنا ان الوجودات كلها لا نسبة لها اصلا من سعة العلم الالهي الازلي
فكيف يليق بالعقل ان يطمع ومن قصر فهمه عن ادراك هذا الفهم فهو لجهله وقلة استعمال قدره لادراك
عجزه وليس لقصوره سند الا منتوج حوصلة عقله على قدر العقول في من يحجا معا ديها وما
على ان ذلك بفهمهم البرهان من نسل محمد الى كافة الخلق ونطق على لسانه الحق فقال جل من قائل

مميز

بعضها مع تعدد فاينما تولوا فثم وجه الله ان الله واسع عليم ولو لم يكن في القرآن سوى هذه
الاية لكان كافيا للشهادة على عجز الجاهدين المكذبين باحاطة العلم الازلي بالجزئيات
فكيف ولا حرف منه الا وهو شاهد على تمام وكذلك انه ذكر في تلك الاية صفة الواسع
مع ذكر العليم وقرن ذلك بان قال فاينما تولوا فثم وجه الله وهذه اشارة لطيفة صريحة
الى ان كل موجود وجد فله نسبة ما الى وجهه ولولا تلك النسبة لما وجد كل شيء تعالى ان
لان وجهه اليه وهذا معنى علمه بالجزئيات آية من آيات التوفيق ولنتمم على شيء شفيعا هنه

براحتي وتو ... وهو فريتي

حسب الامر فرشه